مجلة إسلامية شهرية جامعة

البيان

AL BAYAN

السنة السادسة والعشرون . العدد ٢٨٧ . رجب ١٤٣٢ هـ . يونيو ٢٠١١ م

سماحة المفتي العام:
رسالة الإعلاميِّ المسلم

نصائح في العمل السياسي
للإسلاميين في مصر

حوار مع د. أيمن ضراغمة

القاعدة...
هل تعلن مبادرة لوقف العنف؟

تحالف النجادية مع «العقيدة المشائية»
ضد ولاية الفقيه

السلفيون
وآفاق المستقبل

مستشفى أبها الخاص

الراعي الطبي لمهرجان أبها للتسوق

إتفاقية التعاون الطبي مع جامعة ماكجيل بكندا ومركز ديترويت الطبي العالمي

استشاريون سعوديون في جميع التخصصات

مجمع خاص ومتكامل للنساء

كفاءات طبية متميزة

تجهيزات طبية حديثة

وحدات متخصصة في خدمتكم

وحدة طب وجراحة المخ والأعصاب
وحدة جراحة العظام والعمود الفقري
وحدة جراحة التجميل وشفط الدهون
وحدة جراحة الكلى والمسالك البولية
وحدة الجراحة العامة والمناظير
وحدة الأنف والأذن والحنجرة
وحدة الأمراض الباطنية والمناظير
وحدة أمراض الشرج والمستقيم

وحدة طب وجراحة العيون
وحدة النساء والولادة
وحدة الأطفال وحديثي الولادة
وحدة جراحة الأطفال
وحدة الجلدية والتناسلية
وحدة الأمراض الصدرية
وحدة العلاج الطبيعي والتأهيل

وحدة أمراض الكلى
وحدة السمنة والسكر
وحدة الطب النفسي
وحدة أمراض القلب والشرايين
وحدة علاج الروماتيزم والمفاصل
وحدة طب وجراحة الأسنان
وحدة العناية المركزة

وحدة الطوارئ واستقبال الحوادث على مدار ٢٤ ساعة

جهاز الليزر الأخضر KTP
لاستئصال تضخم البروستاتا

المنظار الجراحي

جهاز الأشعة تحت الحمراء للبواسير

جهاز الموجات الصوتية رباعي الأبعاد

جهاز الليزر الكربوني للعناية بالبشرة

جهاز قياس جهد القلب

جهاز ديكسا DEXA لقياس هشاشة العظام

أبها - شمال الخطوط السعودية -هاتف: ٢٢٩٢٢٢٢ فاكس : ٢٢٤٤٨٠١ ص ب : ١٧٩٤
البريد الإليكتروني : info@aph.med.sa www.aph.med.sa

ABHA PRIVATE HOSPITAL

مجلة البيان
إسلامية . شهرية . جامعة

خدمة العملاء

السعودية

ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.
هاتف خدمة العملاء مباشر: ٢٢٥١٩٦٧
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس:٤٥٣٢١٢١

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني

التحرير
editors@albayan.co.uk
خدمة العملاء
sub@albayan.co.uk
التسويق
sales@albayan.co.uk
العلاقات العامة
pr@albayan.co.uk

الموزعون

الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
الإمارات العربية المتحدة : شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩
هاتف : ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦ .
سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .
البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ **المنامة:** ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
السعودية : الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
السودان: الخرطوم، مكتب المجلة ٨٣٢١٢١٨٣.
قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ – ٤٥٥٧٨١١ – ٤٥٥٧٨١٢ – فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٢٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء : ص.ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥

رئيس التحرير
أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير
د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير
أحمد بن عبد العزيز العامر
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
د. يوسف بن صالح الصغير
فهد بن صالح العجلان
د.أحمد بن عبد المحسن العساف
فيصل بن علي أحمد الكاملي

سكرتير التحرير
إسلام السيد علي

الإخراج الفني
محمد سالم لرضي

عنوان المجلة على الشبكة العالمية
www.albayan.co.uk

الحسابات

السعودية: مصرف الراجحي
آي بان: SA١٣٨٠٠٠٠٢٩٦٦٠٨٠١٠٠٢١٠٠٧

الاشتراكات

السعودية ودول الخليج	١٢٠	ريال سعودي
بريطانيا وايرلندا	٤٧	يورو
أوروبا	٥٥	يورو
البلاد العربية وإفريقيا	٤٥	يورو
أمريكا وبقية دول العالم	٥٥	يورو
المؤسسات الرسمية	٦٠	يورو

الافتتاحية

٤ القاعدة... هل تعلن مبادرة لوقف العنف؟
التحرير

العقيدة والشريعة

٨ رسالة الإعلامي المسلم
عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ
١٢ بيان السلف والغاز الخلف
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

السياسة الشرعية

١٤ ولي الأمر... واجباته وحقوقه
محمد بن شاكر الشريف

الغرب: قراءة عقدية

٢٠ «توراةٌ أصليةٌ» في عَرَبة القِسِّيس!
فيصل بن علي الكاملي

قضايا دعوية

٢٢ معوقات في طريق التعاون بين الدعاة
هشام عقدة

الإسلام لعصرنا

٢٦ الدولة الدينية والدولة المدنية
أ. د. جعفر شيخ إدريس

حوار

٢٨ حوار مع الدكتور أيمن ضراغمة
أجرى الحوار: نائل نخلة

نص شعري

٣٢ وجه يَ القديم
د. وليد قصاب

ملف العدد

٣٤ **السلفية... منهج، أم جماعة؟**
فهد بن صالح العجلان

٣٨ **تجديد الخطاب السلفي**
د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

٤٦ **مقررات شرعية في ائتلاف الصفوف السلفية**
إبراهيم الأزرق

٥٢ **أيها السلفيون! استقيموا يرحمكم الله**
أحمد فهمي

٥٦ **السلفيون وقواعد اللعبة السياسية**
حسن الرشيدي

٦١ **الخطاب الإعلامي السلفي... (السياق، والمكونات، والمرتكزات)**
أحمد عمرو

٦٤ **صورة السلفيين في الإعلام الغربي في مرحلة ما بعد الثورة**
محمد سليمان الزواوي

المسلمون والعالم

٦٨ **محددات فهم الصراع على السلطة في إيران...**
علي حسين باكير

٧٢ **المظاهرات العراقية حراك سياسي في مواجهة الاحتلال الأمريكي وحكوماته**
حارث الأزدي

٧٦ **الصومال بين نشاط المنصِّرين وغفلة المسلمين!**
مجدي داود

٨٢ **مرصد الأحداث**
جلال سعد الشايب

خاطرة أدبية

٨٧ **المسافر**
عبد الغني محمود

عين على العدو

٨٨ **الصهاينة والمصالحة... بين الرفض وتوقُّع الانهيار، والانتظار**
د. عدنان أبو عامر

قراءة

٩٠ **عرض لكتاب (المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية) تأليف أ. د. عبد الرحمن الزنيدي**
إبراهيم بن عبدالرحمن التركي

الورقة الأخيرة

٩٤ **نصائح في العمل السياسي للإسلاميين في مصر**
د. وليد الطبطبائي

[كلمة صغيرة]

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين، أما بعد:

فقد تمر بالإنسان أو الإنسانية على مدى الزمن حوادث ومواقف تدعو إلى الاعتبار والاتعاظ بما فيها من غرائب وعجائب؛ فبينما إنسان جالس آمناً مطمئناً في داره لا تشير الأحوال إلى أي تغييرات أو تحوُّلات في وضعه على المدى القريب؛ إذا بالوضع يتغير تغيُّراً كاملاً في شتى نواحيه في لحظات معدودات. وبينما هو جالس على كرسي الحكم يأمر وينهى والكل يسمع ويطيع، ولا يوجد في الأفق ما يشير إلى أية تغييرات في هذا المشهد المألوف، إذا به يتغير تغيُّراً كاملاً في أيام معدودات؛ وكأن ذلك من قَبيل الأحلام وليس حقيقةَ الواقع المحسوس! وهذه المشاهد متكررة على مدى التاريخ الإنساني في بُعدَيه (الزماني والمكاني)، وعلى الرغم من هذا فلا يلتفت كثير من الناس إلى علة ذلك؛ لكن تبقى قلة من الناس يتعظون مما يمر بغيرهم ويحاولون تلافي أسباب التحولات وذهاب النعم وحلول النقم فيبتدرون ذلك قبل أن يَفْجَأهم؛ وهؤلاء هم أصحاب القلوب الحية التي تدرك ما لا تدركه العيون ممن أراد الله – تعالى – سعدهم وفلاحهم، وينطبق في حقهم القول المأثور: (السعيد من وُعِظ بغيره، والشقي من اتعظ بنفسه).

وقد مرت ببعض دولنا العربية تحوُّلات وتغيُّرات جذرية لم يكن تصوُّر وقوعها – حتى في مجال الأحلام والمنامات – ممكناً، ولكنَّ سنن الله غلاَّبة ومن يغالبها غلبته وهزمته ثم ألقته مذموماً مدحوراً؛ فَلْيتعظ كل إنسان مما مر أمامه؛ فَلْيُقم العدلَ، وَلْيَحكم بشرع الله – تعالى – وليمنع الظلم بكل ما آتاه الله من قوة حتى لا يأتيه زمن فيندم ويقول: ليتني فعلت وفعلت... ولات حين مندم.

وقد حكى القرآن قصة بني النضير عندما أخرجهم الله – سبحانه وتعالى – من المدينة وهم يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ثم عقب عليها بقوله: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]؛ أي تفكَّروا يا أصحاب الفهوم والألباب في عاقبة من خالف أمر الله وخالف أمر رسوله، وكذَّب كتابه؛ كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم.

ومما جاء في التاريخ أن جعفر بن يحيى البرمكي قال لأبيه وهما في القيود ولبس الصوف والحبس: يا أبت! بعد الأمر والنهي والأموال العظيمة [أي التي كنا فيها] أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس؟ فقال له أبوه: يا بني! دعوةُ مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها، ثم أنشأ يقول:

ربَّ قوم قد غدوا في نعمةٍ
زمناً، والدهرُ ريانٌ غدقْ
سكتَ الدهرُ زماناً عنهُمُ
ثم أبكاهم دماً حينَ نَطَقْ

وهذا بعض ما نراه في عالمنا اليوم؛ فهل من معتبِر؟

القاعدة...

هل تعلن مبادرة لوقف العنف؟

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه، وبعد:

يتحدث علماء السياسة عن مسارات أربعة ممكنة للتحدي الشعبي الذي يطالب بالتغيير:

أولها: اليأس الذي يعقبه الاستسلام والرضا بالأمر الواقع.

ثانيها: اعتماد منهج الواقعية السياسية باتباع طريق «الكفاح التراكمي»؛ أي مراكمة المكتسبات على أمل أن يؤدي ذلك التراكم في يوم ما إلى التغيير الشامل.

ثالثها: اللجوء إلى العنف وسيلةً مباشرةً لإحداث التغيير المطلوب.

رابعها: خيار الاحتجاج الشعبي السلمي، أو ما يطلق عليه بعضهم «حرب اللاعنف».

بعد مرحلة الاستقلال من الاستعمار الغربي، واجهت الشعوب مرحلة زمنية انتعشت فيها الآمال بإقامة أنظمة حكم تُرسي معالم الحرية والعدالة وتحقِّق طموحاتها وتطلُّعاتها؛ لكن بعد مرور بضعة عقود تحوَّلت الأحلام إلى كوابيس وتبدَّلت الآمال لتصبح أطلالاً، وارتسمت أمام الشعوب تلك المسارات الأربعة للتعبير عن إحباطها الشديد ليس من حكامها فقط، بل من النخب التي توراثت الحكم كابراً عن كابر، حتى أصبح تغيير شخص الزعيم لا يؤدي إلى تغير في إستراتيجية الحكم وأساليبه مع ثبات النخبة.

في البداية خضعت الأغلبية للأمر الواقع ولم تستسغ فكرة الخروج على الحكم، أو لم ترَ سبيلاً لتحقيقه، بينما ارتأت شرائح أخرى أن تلجأ لمسار الكفاح التراكمي، أملاً في تحقق الهدف الشامل بزوال ديكتاتوريات ما بعد الاستقلال، ولو بعد حين.

قبل ٣٥ عاماً لجأت مجموعات منبثقة من الجماهير إلى اتباع نهج العنف لتغيير الواقع السياسي، وكان النجاح الأبرز الذي تحقق في هذا الصدد هو اغتيال الرئيس المصري الأسبق أنور السادات، لكن بقيت المشكلة نفسها: تغيَّر الزعيم وبقيت النخبة، ومن ثَمَّ كان القادم الجديد يحمل للشعب واقعاً أكثر سوءاً من سابقه.

توسعت تطبيقات العنف في عدد كبير من الدول الإسلامية وتنوعت الجماعات التي تمارسه، لكن كافة التجارب أخفقت في تحقيق نتائج ملموسة على صعيد تغيير الواقع السياسي؛ على الرغم من الدماء الغزيرة «المحرمة شرعاً» التي سالت والخسائر المتراكمة على كافة الأصعدة، ولم تتحمل أغلب تلك الجماعات سوى دورة واحدة من العنف لتقدم بعدها مراجعات وتراجعات عن ذلك النهج؛ سواء على المستوى الفردي أو الجماعي.

في العقد الأخير برز تنظيم «القاعدة» بوصفه أبرز الجماعات التي لا تزال تتبنى العمل المسلح منهجاً للتغيير، ودخلت القاعدة - سواء بفكرها أو تنظيمها - في حالة عداء مستعرة مع عدد كبير من دول العالم (العربي والغربي) فتداخلت الأهداف وتشوشت الرؤى ولم يعد بإمكان أي باحث أو مراقب منصف أن يجيب بدقة على سؤال: ماذا تريد القاعدة؟

ولأن الأهداف تُعَد من الناحية المنهجية أهم معيار لتقويم الأداء، فيكون مسدداً بقدر اقترابه من تحقيقها، أو منحرفاً بقدر ابتعاده عن بلوغها؛ فكيف يكون الحال عندما تكون الأهداف نفسها - كمعيار للتقويم - مشوشة وغير واضحة؟

كانت الجماعات الجهادية في السابق تعتمد بدرجة أساسية في خطابها الدعائي على «المرئيات» التي يتم تصويرها في مناطق القتال ضد أعداء الأمة في البلاد الإسلامية المحتلة (أفغانستان، الشيشان، البوسنة) وكانت تلقى رواجاً لأن العدو معروف ومحدد، والهدف واضح غير ملتبس، وعندما تحولت الدفة وتغيرت التوجهات لتصبح الدول الإسلامية نفسها هي العدو، والهدف هم المسلمون أنفسهم، فقدت تلك الجماعات قدراتها الدعائية مرة واحدة، فليس معقولاً أن يتم الترويج في الأوساط الإسلامية لفيلم دعائي يصور كيف يسقط المسلمون ضحايا عمليات تستهدف - أو هكذا تزعم - تغيير واقعهم إلى الأحسن.

في الأشهر الأخيرة تعرض نهج العنف الذي تتبناه القاعدة إلى ضربة قاتلة؛ فقد بزغ في الأفق العربي مرحلة ثورية جديدة تتبع نمطاً غير مسبوق في العمل الثوري، وفي أسابيع قليلة حققت تلك الثورات - على أرض الواقع - نتائج مبهرة تجاوزت ما خططت له جماعات العنف السابقة والحالية (في عالم التمنيات).

لم تقتصر الضربة التي تلقتها القاعدة من الثورات العربية على تداعي نهج العنف فقط، بل تعدى ذلك إلى ملامح ومعالم أخرى ميزت أداء القاعدة، وتمكنت الثورات العربية من النجاح بأضدادها، ونذكر أهمها:

- القائمون بالثورة العربية أشخاص غير منظمين لم يلتق أغلبهم في عالم الواقع، ولم ينطلقوا من تصورات معمقة أو تخطيطات معقدة.
- الأدوات التي استخدمتها الثورة بسيطة وغير مكلِّفة وبإمكان أي شخص أن يصل إليها.
- لا توجد مواصفات كثيرة لقبول الشخص عضواً في الثورة، بل كل الشباب وجميع فئات الشعب مدعوون للمشاركة فيها.
- العلنية: هي السمة الرئيسية للعمل الثوري العربي؛ فلا تنظيمات سرية ولا عمل تحت الأرض.
- لا توجد وسائل غير قانونية أو ممارسات عنيفة، بل الشعار الأول للثورة هو «سلمية، سلمية»؛ لا استخدام لأي سلاح من أي نوع.

إن تكرار استخدام هذا النمط الثوري في أكثر من بلد عربي؛ إنما يثبت - بدون أدنى شك - نجاعة هذا الأسلوب وقدرته - بإذن الله - على تغيير الواقع السياسي إلى الأحسن، مع أهمية الالتفات إلى فارق هائل بين نهج العنف وبين نهج «اللا عنف» في التغيير؛ وهو أن الأسلوب الأخير يتيح إلى حدٍّ كبير تغييرَ رأس النظام والنخبة الحاكمة أيضاً، بينما يقتصر نهج العنف في أحسن حالاته على إرباك النظام أو إسقاط رأسه، دون أن تكون له القدرة على إزاحة النخبة الفاسدة الحاكمة؛ وهذا يعني أن التغيير قد يكون إلى الأسوأ، والدليل على ذلك أن مجموعات

التغيير في حالة العنـــف غالباً ما تدخل في مرحلة «محنة» بعد تنفيذها لعملياتها، بينما فـــي حالة «اللاعنف»؛ فإن الثوار (بعد الثورة) يكونون في موضع التكريم والاحترام وتتوفر لهم مجالات رحبة للتأثير في الواقع السياسي الجديد.

ولعلنا نذكر التصريح الذي أدلى به عبود الزمر (أحد العقول المخططة لعملية اغتيال الســـادات)؛ حيث قدَّم اعتذاراً للشـــعب المصري؛ لأن هذا الاغتيال أوقع المصريين في حقبة مبارك ثلاثين عامـــاً، وكان ملفتاً للنظر أن يكون العمل الثوري «اللا عنفي» في مصر هو الســـبب الرئيســـي في الإفراج عن أبـــرز معتقلي نهج «العنف» بعد ثلاثين عاماً أمضوها في السجون.

بعيداً عـــن الثورات العربية، فقد تلقَّـــت القاعدة ضربة أخرى أيضاً، تمثلت في اغتيال مؤسسها وزعيمها ورمزها الأول (أسامة بن لادن)، ومع كون الاغتيال كان متوقعاً بســـبب حالة المطاردة المستمرة منذ سنوات طويلة؛ إلا أن تداعياته لا تخفى على النظر، وسواء كان ابن لادن في مرحلتـه الأخيرة قائداً رمزياً أو قائداً ميدانياً للتنظيم، فإن اختفاءه من الساحة يعد منعطفاً تاريخياً هاماً، وعند المنعطفات يُستحسن بالسالكين للدروب الشائكة أن يتمهلوا قليلاً ريثما يراجعون مواقفهم ويحددون مساراتهم على ضوء المتغيرات الجديدة.

إن التزامـــن بين الإخفاق المنهجي واختفاء الرمز المؤســـس، جدير بأن يدفع العقلاء داخل التنظيم إلى إعادة النظر والتفكير في الوقائـــع والمآلات، وصولاً إلى طـــرح القضية التي ينتظرها ويتـــوق إليها كثيرون؛ وهي إعلان القاعدة مبادرة شـــاملة لوقف العنف والتخلي عنه منهجاً للتغيير السياسي في الدول الإسلامية.

إن النجاح الذي حققته الثورات العربية (الســـلمية) ضاعف نفور الرأي العام من ممارســـات العنف؛ ومؤدَّى ذلك: أن مواصلة القاعدة لممارســـاتها القديمة سوف تلقى رفضاً عارماً بين فئات المجتمع، وســـيكون على التنظيم أن يواجـــه ليس فقط الأنظمة الحاكمة، ولكن الشعوب المحكومة أيضاً.

إن إعـــلان القاعدة عـــن مبادرة لوقف العنـــف، ليس عملاً عادياً، ولكنه قرار اســـتثنائي يحتـــاج إلى إخلاص لله – تعالى – وحده، وجرأة في الحق وقدرة على استيعاب المتغيرات السياسية؛ فقد أصبحت القاعـــدة ملجأً يلوذ به الرؤســـاء إذا ضاقت بهم الحيل وتقطعت بهم الســـبل، وفقدوا الصديق والحليف، عندها يكرر هؤلاء الشـــعار القديم المتجدد: إما أنا وإما القاعدة! قالها القذافـــي وأبناؤه في إصرار عجيب على أن قواته تقاتل القاعدة وليس الثوار المدنيين؛ وكأن القذافي ســـيكون أسعد حالاً لو كان

للقاعدة وجود فعلي في ليبيا أو مشاركة حقيقية في الثورة، لربما سيرقص عندها فرحاً بوجود التنظيم، وليس بغيابه.

لا نبالغ إذا قلنا: إن إعلان القاعدة تخليها عن العنف منهجاً للتغيير السياســـي، سيحقن دماء المســـلمين، ويكف عن بلادهم شـــروراً كثيرة، ويخرجهم من دوامة الفتن والاضطرابات، وربما يحقق نتائج لا تقل أهمية عن التغيير السياسي نفسه؛ فهذا الإعلان من شـــأنه أن يُحدِث تغيرات هائلة في التوازنات السياسية، وفي الميزانيات العســـكرية، وفي الأعمال الاستخباراتية، بل ستنعكس آثاره (الدينيـــة والاجتماعية والثقافية) على أغلب الدول العربية والإسلامية، وســـتختفي «الفزاعة» الأولى للترهيب من الأعمال الدعوية والخيرية، وســـيفقد المخطط السياســـي الغربي أحد المســـوغات المهمة للتدخل والاختراق والإفساد للواقع السياسي في الدول الإسلامية.

لقد أصبحت التيارات الإســـلامية بكافة تنويعاتها وتفريعاتها تحـــت المجهر الغربي، بعد أن دلف العـــرب إلى عصر ثوري جديد، فالـــكل خائـــف ومتوجس من طموحـــات الإســـلاميين وتطلعاتهم السياســـية؛ ولا ينقصهم المـــال أو التخطيـــط أو العملاء، الجميع يتربصـــون ويترقبون في انتظار أي خطأ من هنا أو هناك ليتم على الفور توظيفه وإعادة تدويره من أجل إعاقة التقدم الإسلامي؛ فهل تفعل القاعدة خيراً وتلقم أعداء الأمة حجراً؛ بأن تعلن عن تراجعها النهائي والدائم عن نهج العنف، وتحولها للعمل التغييري الســـلمي، والاكتفاء بمقاومة الاحتلال الأجنبي لبعض الدول الإسلامية؟

هـــذا ما نتمناه ونأمله، واللهَ نســـأل أن يُلهم المخلصين لهذا الدين السدادَ والرشادَ.

للنشر والتوزيع

دار التدمرية

الجديد
والمخفض
دائماً

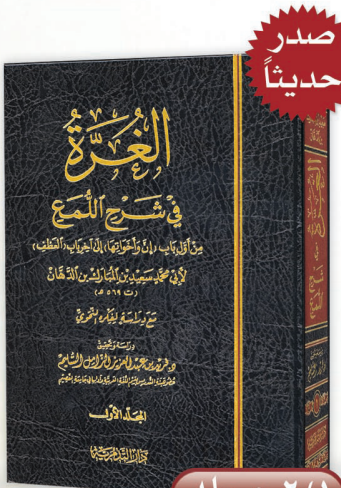

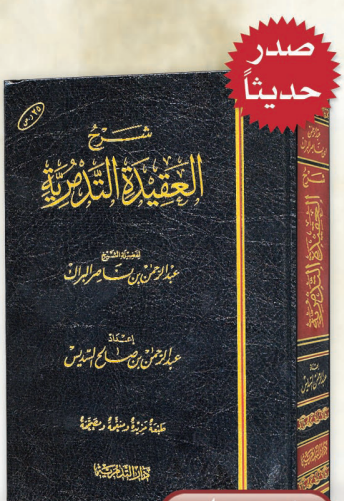

الآن

مجموع مؤلفات
وبحوث ورسائل
فضيلة الشيخ
عبد الله محمد الطيار

٢٧/١ مجلد

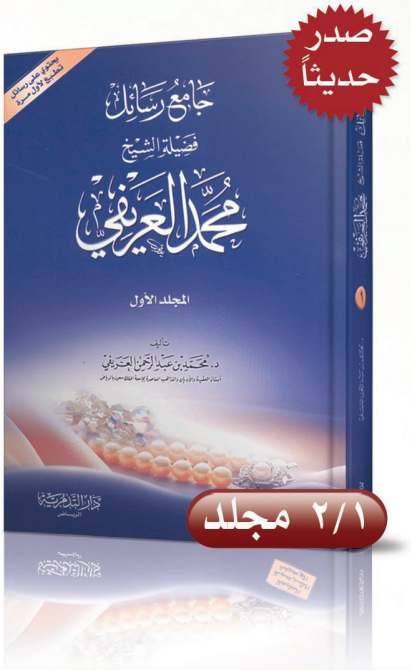

الرياض ـ الدائري الشرقي ـ جنوب مخرج ١٥ مقابل جامع الراجحي
الجديد هاتف: ٤٩٢٥١٩٢/٤٩٢٤٧٠٦ فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
بريدة ـ طريق الشاحنات ـ حي الصفرا ـ هاتف ٣٢٦٢٢٦٢

tadmoria@hotmail.com

رسالة الإعلاميِّ المسلم(*)

تشرفت مجلة البيان بزيارة خاصة من سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء، التقى خلالها عدداً من الصحفيين العاملين في الصحافة الإسلامية، وألقى سماحته كلمة توجيهية لهم، وأجاب عن بعض الأسئلة، وقد حفنا سماحته بكتابة هذه المقالة:

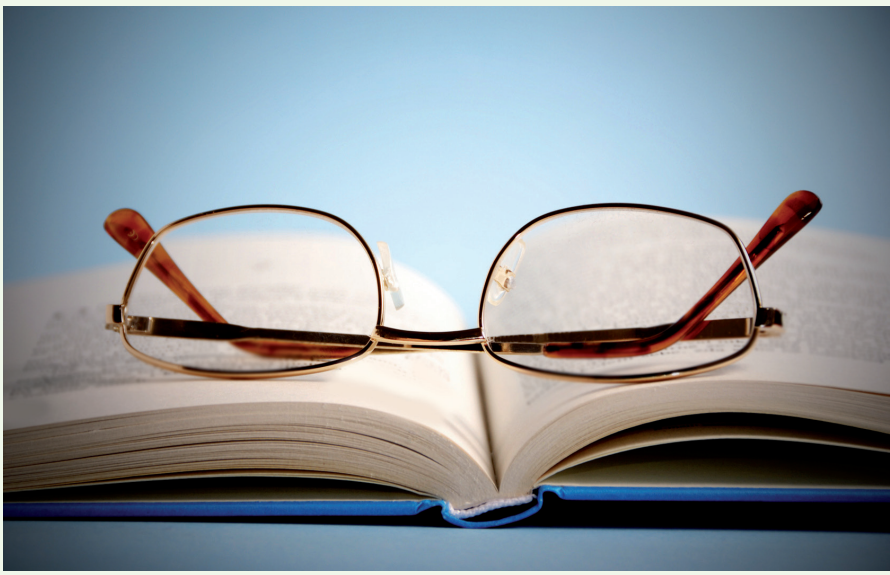

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ(**)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وجعلنا من خير الأنام، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعباد نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد:

فإن رسالة الإعلام رسالة عظيمة، ورسالة لها وزنها وقيمتها قديماً وحديثاً؛ لكنها في الزمن الأول كانت محدودة بين الأشخاص، محصورة في من له حق التوجيه والإرشاد للناس، كما أمر النبي ﷺ معاذاً - رضي الله عنه - لما بعثه إلى أهل اليمن مرشداً وداعياً لهم إلى الإسلام بقوله: «فأعلِمْهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخَذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم...» الحديث[1]، فالإعلام هنا إبلاغ الحق ونشره. لقد كان الإعلامي في السابق له حدوده وخصوصيته، وفي هذا الزمن أصبح الإعلام ذا شأن كبير، ومدى بعيدٍ، وأصبح يؤثر على آراء الناس، وفي أخلاقهم، وأعمالهم، وتصوراتهم؛ لذا كان الواجب على الإعلاميين الإسلاميين حقاً أن يكونوا أهل نصيحة للأمة، وأهل دعوة صادقة، وأهل صدق في ما يقولون، وفي ما يطرحونه من قضايا، وفي ما يعالجونه من مشاكل.

فالأمة المسلمة تواجه تحديات كثيرة، تحديات ضد عقيدتها، وضد أفكارها، وضد مجتمعاتها، وضد أمنها، وضد قِيَمها، وضد اقتصادها، وضد وحدتها، وضد كل عمل فيه خير للأمة الإسلامية، هي تحديات من إعلام فضائي، وإلكتروني، وغير ذلك، وهي تحديات قائمة ظاهرة؛ فكيف يواجهها الإعلام الإسلامي؟ وكيف يواجهها الإعلاميُّ المسلم؟ كيف يواجه رجلُ الإعلام هذه التحديات العظيمة؟ أيواجهها بمجرد قول ورأي فقط؟ أو أنه يواجهها برأي، وحكمة، وبصيرة؛ بأن

(*) كلمة ألقاها سماحة المفتي العام للمملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، في مقر مجلة البيان في ١٨ ربيع الأول ١٤٣٢هـ.

(**) المفتي العام للمملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء.

(١) متفق عليه.

يتصور ذلك الباطل المدسوس، ويتصور هدفَه ومغزاه على الأمة الإسلامية، وهذه الأراجيف والإشاعات يتصورها تصوراً حقيقياً، ويدرسها دراسة متعمقة؛ لينظر ما وراء السطور، وما الهدف والمقصود من ما قيل ونُشر؟ ثم يعالجها بحكمة، ونقاش هادف يقصد منه إيضاح الحق، ودحض الباطل. يقول الله - تعالى -: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]، نعم! الحق جاء، والباطل أمام الحق لا يثبت إذا جاء الحق مدعماً بالأدلة على لسان إعلاميٍّ مسلم ذا دين وتقوى يرجو الله ويخافه، ويتصور الموقف بين يديه، وينظر لمصدر المعلومة، ويستشعر حقيقة نفسه، وأنه مؤمن وُجِد في هذه الدنيا ليعمُر الأرض بطاعة الله، وكُلِّف بالواجبات والفرائض ليقوم بنصرته لدينه، وجهاد في سبيله، وإنقاذ الأمة مما لُبِّس عليها، ومما جُنِي عليها من أفكار منحرفة، وآراء ضالة؛ وذلك لأن الإعلامي المسلم ينبغي عليه - في مناقشة الباطل - أن يدحض حجة المبطلين. قال الله - تعالى - عن المشركين: ﴿ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣]. قال بعض المفسرين: هذه عامة في كل زمان، ومع كل أهل الباطل؛ لأن الباطل لا يمكن أن يثبت أمام الحق. قال الله - تعالى -: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

فالإعلامي المسلم لا بد أن يكون آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر؛ بأن لا يخط بقلمه إلا أسطراً مضيئة ملؤها الخير، والصدق، والأمانة، والدفاع عن الأمة الإسلامية وعن قضاياها؛ فلا يخط بقلمه إلا ما فيه خير للإسلام وأهله، ورحم الله امرأً نصر الإسلام ولو بشطر كلمة، إنه يأمر بالمعروف لأن كتاباته، ومناقشاته، وأطروحاته كلها تتضح بالخير، وكلها تهدي البشرية، وكلها تصلح الأمة، وكلها تسعى في تقويم ما اعوجَّ من السلوك؛ ذلك أن الإعلام اليوم يقوم عليه علماء نفس واجتماع، وأناس لهم تفنن في ترويج الباطل، وخداع الأمة، فإذا وُجِد إعلامي مسلم ذا طابع إيماني، وقدرة جيدة، ولغة سليمة، وفهم صحيح، وتصور للحق يحمل على الإيمان والهدى ليعالج قضايا الأمة علاجاً صحيحاً من خلال المجلات، ومن خلال الصحف، ومن خلال القنوات الفضائية، ومن خلال الإنترنت في المواقع والمنتديات؛ لا يخلو من أن يناقش فكرة، أو يكتب قولاً سديداً، وينشر مقالاً مفيداً، ويكون رحب الصدر، واسع الأفق؛ يسمع، ويقرأ، ثم يعالِج وينشر؛ فكم من مواقع على أيدي بعض إخواننا نفع الله بها، وصار لها شأن ودور فعَّال في دمغ الباطل، وإيقاظ الأمة الإسلامية مما يحاك ضدها؛ إذ إن هذه المنتديات الآن مليئة بأنواع من الشرور، وفي بعضها خير، ولكن الخير يحتاج إلى حملة من رجال ذوي تقى وعلم؛ إعلاميون إسلاميون، متجردون لنصرة الدين والدفاع عن قضايا الأمة، ويعملون على دمغ الباطل، وتبيين الحق، ويسعون لزهق الضلال الذي رُوِّج له، وكُذِب به على هذه الأمة الإسلامية، ويحرصون على عدم إشاعة الأخبار الكاذبة ودفنها في مهدها، والتأكد من صدق المشكوك فيها قبل نشرها، وهل المصلحة في نشرها، أو الإعراض عنها امتثالاً لقول الله - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

إننا في زمن بأمسِّ الحاجة إلى الدعوة إلى الله، وإن وسائل الإعلام إذا استقامت فنعمَّا هي، والمسلم يَلِج كل وسيلة من الوسائل النافعة المفيدة؛ يلجها بصدر رحب ليناقش، ويدعو إلى الخير، ويهدي إلى الحق، ويحذِّر من الباطل والضلال؛ فأنت مسلم؛ فليس لدعوتك حدود، وليس لها أقاليم، أنت مسلم تدعو إلى الله هيئت لك فرص ما سبقت لمن قبلك؛ فرص النشر السريع، والكلمة التي تكتبها الآن خلال ثوانٍ يقرؤها كثيرون في مشارق الأرض ومغاربها.

فهي فرصة سانحة هيئت لك - أيها الإعلامي المسلم - لتقوم بواجبك داعياً إلى الله، مرشداً عباد الله، متصوراً للحق داعياً إليه؛ لأن الإعلام الإسلامي يحتاج إلى الرجال الصادقين، والرجال المخلصين، والرجال المتفانين في خدمة هذا الدين؛ لأن الله - جل وعلا - فرض علينا القيام بهذه الدعوة، فقال الله - تعالى -: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال - تعالى -: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

إن القنوات الفضائية يلج إليها من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وإن كان يشاهد ويرى ما لا يُقِرُّه بنفسه، ولا يرضاه، لكنه يتحمل كل شيء في سبيل أن يوصل كلمة ومعلومة لعلها تجد أذناً صاغية، أو قلباً واعياً ينتفع بها، ويستفيد منها، ويؤثِّر بها على غيره.

إن هذه القنوات المتعددة، ومواقع الإنترنت، والتقنيات الحديثة هي من أقوى الوسائل لو استغلها المسلمون الإعلاميون في سبيل الدفاع عن الحق، وفي سبيل تأصيل العقيدة، ونشر قيم الإسلام وأخلاقه، ولانتَفَعَ بها كثير من المسلمين، واهتدى بها غير المسلمين، إن الغرب: إما أن يكون عند كثير منهم جهل بالإسلام، أو يكون عندهم إعراض عن العلم والحق؛ لكنهم إذا

ووجهوا بالحقيقة اعترفـــوا بذلك من خلال هذه المواقع النافعة التي انبرى لها رجال نحسبهم – ولا نزكي على الله أحداً – أنهم صادقون في ما يقولون؛ انبـــروا غيرةً على دين الله ليدعوا إلى الله على بصيرة، وينشـــروا الحق، ويدافعوا عنه فهكذا واجبنا؛ لأن الإعلامي له مســـؤولية، وعليه واجب؛ فمتى صلح واستقام وكان طريقه طريقاً ســـليماً، ومنهجه منهجـــاً قيِّماً فعندها يتم الخير والصلاح.

إن الأَوْلى بالإعلاميِّ المسلم أن يتذكر الحديث الذي رواه أبو هريـــرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال: «من دعا إلى هـــدى كان له من الأجر مثل أجور مَـــنْ تَبِعَه من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شـــيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثـــل آثام مَنْ تبعـــه لا ينقص ذلك من آثامهم شـــيئاً»[1]؛ فأنت إذا دعـــوت إلى الله وانتفع بك آلاف النـــاس، وانتفع بانتفاعهم آخـــرون، وتواصل الخير، وانتظمت سلســـلة الانتفاع فأنت على خيـــر وأجر كبير، وصدقة تجري لـــك بعد موتك بعدد من انتفع واهتدى بســـببك، ويدل لذلك ما رواه أبـــو هريرة – رضي الله عنه – قال: قال النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»[2].

وفـــي المقابل والضـــد عندما ينحرف الإعلام عن مســـيرته، وينحرف عن منهجه القويم ويتَّجر به المتَّجرون، ويروجه المتسوقون، ويكون لا لله، ولا لأجل الله، عند ذلك تقع المصيبة والبلاء؛ فإعلام منحرف يســـمعه الطفل والشـــاب والكبير، هذا الإعلام هو الذي يؤثِّر على مســـيرة الناس، ويكون سبباً في ضلالهم وهلاكهم وعلى مـــن روَّجه إثمٌ ووزرٌ من اتَّبَعه، إذن فإن من واجب الإعلاميين ومن له اســـتطاعة على تغيير هذا المنكر إصلاح هذا الإعلام الجائر، وعلينا أن نســـعى جميعاً لخدمة هذا الديـــن، والدفاع عن قضايا الأمة الإسلامية، والسعي بالخير والصلاح؛ فهكذا واجب المؤمنين. قال الله – تعالى –: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

يقول العلماء في قوله – تعالى –: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوســف: ١٠٨]: البصيرة هنا عامة؛ تشمل العلم الذي يعلمه، فلا يدعو عن جهل؛ بل لا بد أن يكون على حق ويقين مما يدعو إليه، وتشـــمل أيضاً فهم الداعي لحقيقة مَن يدعـــوه: ما أحواله؟ ما أخلاقه؟ كيف التعامل معه؟

لأن الداعـــي إلى الله إذا كان على بصيرة اســـتطاع أن يوظف دعوته في سبيل الخير؛ فيدرس، ويقرأ، وينظر، ويفتش ما المطروح في الســـاحة من آراء وأفكار؟ حتى يستفيد من الخير، ويعالج الشر والباطل، ويُعلِي كلمة الحق، هكذا المسلم يدعو إلى الله على بصيرة؛ علـــى علم وهدى؛ ولهذا لما وجَّه النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن في العام العاشـــر من الهجرة قال: «يا معاذ! إنك تأتـــي قوماً أهل كتاب...» الحديـــث[3]، قال العلماء: إنما قال لمعـــاذ ذلك لأن أهل الكتاب أهل علم ومناقشة، ومناقشةُ أهل العلم ليست كمناقشة جاهلي نشأ على فكرة معيَّنة، لكنَّ هـــؤلاء الذين عندهم علم وانحرفوا عنه لا بد أن يكون الجدال معهم مختلفاً عن الجدال مع من ليس كذلك؛ فالوثني ضال، والمتمســـكون بدياناتهم بعد بعثة رسول الله ﷺ ضالون؛ لكن هناك من يحتاج إلى نقاش خاص، وهناك من يُدعَى دعوة عامة.

فالمهم أن الكاتب الإعلامي عندما يكتب قصة، عندما يطرح موضوعـــاً، عندما يناقش قضية يجب عليه أن يتقي الله، وينظر مـــا هو الخير والصلاح للأمة في كلماته، هل هذه الكتابة تخدم الإسلام وأهله أم لا؟ جاء في الأثر عن عمر – رضي الله عنه – أنه قال: «كلٌّ منا على ثغر من ثغور الإســـلام، فاللهَ اللهَ! أن يؤتى الإســـلام من قِبَلِنا»؛ فكلٌّ منا على ثغر، والواجب علينا أن ندافع عن الأمة الإســـلامية، والحذر أن يكون منا خطأٌ، فيزلَّ بخطئنا أناس، ويغتر بخطئنا أناس، ونتحمل الأوزار والآثام.

فيا أيها الإعلاميون! وصيتي لكم ولنفسي تقوى الله في سرنا وعلانيتنا، وأن نصدق الله في ما نقول، فإن الله – سبحانه وتعالى – يقـــول: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِـــي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْـــهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّـــمَوَاتِ وَمَا فِـــي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَـــيْءٍ قَدِيـــرٌ﴾ [آل عمران: ٢٩]، ويقـــول – تعالى –: ﴿فَلَوْ صَدَقُـــوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُـــمْ﴾ [محمد: ٢١]؛ فالصدق مع الله حســـن النية وحسن القصد، والتحرك على ضوء الكتاب والسُّـــنة حتى يكون المسلم على بصيرة من أمره، وعلى بيِّنة من أمره.

وفي الختام أســـأل الله – ســـبحانه – لي ولكـــم التوفيق، والهداية، والســـعادة في الدنيا والآخرة، كما أسأله – جل وعلا – أن ينصر دينه، ويُعلِيَ كلمَتَه، ويوفِّق المسلمين لما يحبُّه ويرضاه، وأن يوفق ولاة أمور المسلمين لما فيه الخير والصلاح، وأن يجنِّب أمة الإســـلام المزالـــق والمتاهات، وأن يحقـــن دماءهم، ويحفظ أعراضهم، ويصـــون أموالهم، ويجمعهم على الخير والتقوى؛ إنه على كل شيء قدير.

وشـــكراً لمجلة البيان على إتاحة هذه الفرصة، وأســـأل الله للجميع التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان أجمعين.

(١) أخرجه الإمام مسلم، والإمام أحمد، والنسائي، وابن ماجة، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الإمام مسلم، والنسائي.

(٣) متفق عليه.

بسم الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وإِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً (المؤمنون:92)

حملة أمة واحدة

نحن أمة

أكثر من 1600 مليون مسلم

أكثر من 350 مليون ناطق بالعربية

57 دولة إسلامية

32 مليون كم2 (خُمس مساحة اليابسة)

by www.exotox.com

المنظمون

رابطة الصحافة الإسلامية

"واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا"

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحاداً

وحدتنا.. قوتنا ونهضتنا.. وعنوان وجودنا

تابعونا ايضاً:

www.ummawaheda.com

بيان السلف وإلغاز الخلف

د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف(*)
www.alabdulltif.net

غَلَب على المكتوب والمنشـــور في هذه الأيام هشاشة العبارات وركاكتها، واستحوذ التكلُّف والتصنُّع في الألفاظ، وساد التشقيق في الكلام والإسهاب؛ بل ربما تجاوزوا ذلك إلى ابتذال الأسلوب، ومقارفة كلمات سوقية وأشباهها، ونال ذلك الرسائلَ الجامعية والبحوثَ المحكَّمة.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «أتى على الأمة العربية بضعة قرون وهي في تدلٍّ وضعف في اللغة، لا يمضي عليهم قرن ولا عام إلا والذي بعده شر منه، وما سببه إلا تنكب ســـبيل الأولين في حفظ الكثير من الكلام العربي الحرِّ الفصيح وفهمه»(١).

ولقـــد كان قدوتنا محمـــد ﷺ أفصح الناس، كمـــا كان أنصح الناس وأعلمهم؛ فقد أوتي جوامع الكلم، فكان يبلِّغ المعاني الكثيرة الجليلة بألفاظ وجيزة بليغة، تمتاز بالجزالة والســـبك، والتنزُّه عن التكلُّف ومجانبة وحشي اللغة و شواذها(٢).

وأهل السُّـــنة والجماعة على ســـنة رســـول الله ﷺ؛ ففي تقريراتهم: الوضوح والظهور، والإفصاح والبيان، ومن ذلك: أن الســـلف الصالح أثبتوا أن صفـــات الله – تعالى – معلومة المعاني؛ فقـــد أمر الله – تعالى – بتدبُّر القرآن كله في عدة آيات، والتدبُّر هو العقل والفهم. وجَانَب السلفُ تأويلات المتكلمـــين و تكلفاتهم، وتحريفهم الكلم عن مواضعـــه، كما جانبوا جهالات المفوِّضة وضلالهـــم، والذين جعلوا آيات الصفـــات – وهي ظاهرة الدلالة

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.
(١) فتاوى محمد رشيد رضا: ٤/ ١٣٨٦.
(٢) انظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية لكمال عز الدين ص٦٢، ووحي الرسالة للزيات: ٣/ ١٠٥.

بيِّنة المعاني - مجرد «أمانيَّ» لا تُفهَم ولا تُعلَم. فَرضي أهلُ التجهيل بالسفسطة وإنكار الحقائق البديهة.

ومما يجدر ذكره أن مفوِّضة هذا العصر قد يشغبون على أهل السنة، فيطالبون بتعريف ما كان بدهيّاً جلياً (كالسمع، والبصر، والنزول، واليد) مما لا يزيده التعريف إلا خفاءً واشتباهاً، وكل ذلك من أجل أن يوقعوا مخالفيهم: إما في التمثيل والتكييف، أو التفويض والتجهيل، وهذا شغب مكشوف وضلال مفضوح، وكما قال الإمام الذهبي: «السؤال عن النزول ما هو عيٌّ؛ لأنه إنما يكون السؤال عن كلمة غريبة في اللغة؛ وإلا فالنزول، والكلام، والسمع، والبصر، والاستواء، عبارات جلية واضحة للسامع؛ فإذا اتصف بها من ليس كمثله شيء، فالصفة تابعة للموصوف، وكيفية ذلك مجهولة عند البشر»[1].

وتعويل السلف الصالح على الألفاظ الشرعية، والعبارات الدينية حقق لهم بَرْد اليقين والإجلال والتعظيم لشعائر دين الله - تعالى - وشرائعه، كما أورثهم الفهم والبيان والبلاغة والإيجاز؛ فإن في الألفاظ القرآنية والنبوية من الغَناء والشفاء والحرمة ما ليس لغيرها، وفيها من الحِكَم والمعاني ما لا تنقضي عجائبه[2].

بخلاف أهل الزندقة والأهواء فهم في ريبهم يترددون، وفيهم من الاستخفاف بدين الله ما هو مبسوط في موضعه، كما أنهم يتقصَّدون الإلغاز والتلبيس، والتعمية، والتأسي بالمذهب الباطني في تحريفاته ونفاقه، وسرد ألفاظ طويلة لمعانٍ خفيفة[3].

ومهما يكن فإن الاحتفاء والتعويل على العبارات المجهولة الغامضة هو جادة سلكها المتكلِّمة والمتفلسفة ومن نحا نحوهم من منافقي هذا الزمان؛ حتى قال ابن تيمية عنهم: «كلما كانت العبارة أبعد عن الفهم كانوا لها أشد تعظيماً، وهذا حال الأمم الضالة؛ كلما كان الشيء مجهولاً كانوا أشد له تعظيماً؛ كما يعظِّم الرافضة المنتظَر الذي ليس لهم منه حسٌّ ولا خبر، ولا وقعوا له عيناً ولا أثراً.

وكذلك تعظيم الجهال من المتصوفة ونحوهم للغوث وخاتم الأولياء، ونحو ذلك مما لا يعرفون له حقيقته، وكذلك النصارى تعظِّم ما هو من هذا الباب، وهكذا الفلاسفة»[4].

بل زعم الفخر الرازي أن وقوف الناس على معاني القرآن يُسْقِط وقعها عن القلب. وهذا كلام في غاية البطلان والتهافت؛ فإن الشخص يجد في نفسه أنه كلما كان أكثر فهماً للقرآن كان أشد تعظيماً وإجلالاً لكلام الله تعالى. قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

ولما تحدَّث ابن القيم عن منزلة التعظيم قال: «هذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلى قَدْر المعرفة يكون تعظيم الربِّ - تعالى - في القلب، وأعرَف الناس به أشدهم له تعظيماً وإجلالاً»[5].

ثم إن من دسائس المبتدعة ومن سلك سبيلهم من العصريين: أنهم يعشقون العبارات الغامضة الشائكة ويخدعون الناس بتلك الألفاظ العويصة؛ فهذه الألفاظ المشتبهة المشكلة قد عظَّموا من شأنها، وهوَّلوا في نفوس من لم يفهمها.. وإذا اعترض عليهم معترض قالوا: أنت لا تفهم هذا، فعندئذ يلحق ذلك المعترض ما في النفوس من الأنفة والحميَّة، فيسلِّم بألفاظهم الغامضة حتى لا يتهم بنقص في فهمه وعقله[6].

واسترواح الغموض والشذوذ نابع عن كِبْر وعُجْب وحبِّ التفرُّد والتمايز عن الآخرين؛ وإلا فهذه الألفاظ التي بهرجوها وهوَّلوها «من باب القعقعة بالشنان لمن يفزعه ذلك من الصبيان، ومَن هو شبيه بالصبيان»[7].

والحاصل أن هذه الألفاظ لا حقيقة لها عند الإنسان، بل هي هذيان وإفك وبهتان، نظير منتظِر الرافضة، وغوث الصوفية، ومعصوم النصيرية[8].

لقد كان وضوح تقريرات السلف، وجلاءُ عباراتهم من أعظم الأسباب في قبول مذهب السلف وانتشاره؛ حتى اعترف بعض المبتدعة بذلك قائلاً: «هذا إذا سمعه الناس قبلوه وتلقَّوه بالقبول، وظهر لهم أنه الحق الذي جاء به الرسول ﷺ، ونحن إذا أخذنا الشخص فربَّيناه وغذَّيناه ثلاثين سنة، ثم أردنا أن ننزل قولنا في حَلْقه، لم ينزل في حَلْقه إلا بكلفة»[9].

(١) العلو: ٢/١٢٢٩.
(٢) ينظر: النبوات لابن تيمية: ٢/٨٧٦.
(٣) ينظر: الانحرافات العقدية في الأدب العربي لسعيد الغامدي ص (٦٩٠ - ٦٩١).
(٤) الدرء: ٥/٣١٥ - ٣١٦.
(٥) مدار السالكين: ٢/٤٩٥.
(٦) انظر: الدرء: ١/٢٩٥.
(٧) الدرء: ٤/١٨١.
(٨) ينظر: بيان تلبيس الجهمية: ٤/١١٨.
(٩) الدرء: ٥/٦٢.

ولي الأمر... واجباته وحقوقه

تحدثت في مقالات سابقة عن شروط ولي الأمر في الشريعة الإسلامية، كما تحدثت عن رئاسة الدولة بين الشريعة والقانون الوضعي، وفي هذه المقالة أتحدث عن واجبات ولي الأمر وحقوقه:

إن الاجتماع الإنساني يحتاج - من غير شك - إلى قيادة يرجع الناس إليها في ما يرومونه من تحقيق مصالحهم وفي ما يدرأ عنهم غوائل ما ينزل بهم من نوازل؛ بحيث لا يحول تباين الآراء أو تعارض الإرادات للجماعة الإنسانية في ظل هذه القيادة دون سير الجميع في خطى ثابتةٍ متوازنةٍ نحو تحقيق المصالح العامة، وهذه قضية كلية يشترك فيها بنو آدم كلهم، وليست خاصة بجنس دون جنس آخر، ولا بأهل دين دون دين آخر، ولا يكاد تُعرَف جماعة إنسانية على مدى التاريخ الإنساني عاشت حياة راقية حققت فيها ما تصبو إليه دون وجود هذه القيادة التي يرجع الناس إليها.

وقد أخذت هذه القيادة مسمَّيات متعددة على مدار التاريخ الإنساني باختلاف البيئات والثقافات، فمن ذلك: الملِك والسلطان والأمير والرئيس. وأما في الشريعة الخاتمة المنزلة على رسول رب العالمين محمد ﷺ فقد أخذت اسم الخليفة.

محمد بن شاكر الشريف

alsharif@albayan.co.uk

تعريف الخليفة:

«خَلْفٌ نَقِيضُ قُدَّام، وجاء خِلافَه؛ أَي بعده، واسْتَخْلَفَ فلاناً من فلان: جعله مكانه. وخَلَفَ فلان فلاناً إذا كان خَلِيفَتَه. يقال: خَلَفه في قومه خِلافةً.

الخَلْفُ، بالتحريك والسكون، كلُّ مَنْ يجيء بعد من مضى، إلا أَنه بالتحريك في الخير، وبالتسكين في الشر... الخَلِيفةُ مَن يقوم مَقام الذاهب ويَسُدُّ مَسَدَّه... والخَلِيفةُ الذي يُسْتَخْلَفُ ممن قبله، والخَلِيفةُ السلطانُ الأَعظم»[1].

ومن هنا يتبين أن الخليفة يطلَق باعتبارين:

١ - جاء بعد واحد سبقه.

٢ - أنه قام مقامه، وسد مسده، ومضى على سيرته وسنته.

وهذا يقود إلى أن لفظ الخليفة قد يطلق على شخص من الناحية الشكلية فقط؛ وذلك إذا جاء بعد

(١) انظر: لسان العرب، مادة (خ ل ف).

من سبقه ولم يسر على سنته. كما يطلَق عليه من الناحية الحقيقية؛ وذلك إذا تابع من سبقه وسار سيرته، ومن هنا يظهر أن الإنسان قد يطلَق عليه هذا اللقب وقد يُنفَى عنه؛ وذلك باعتباريـن: فيطلق عليه باعتبار أنه جاء بعد من سبقه وفي الوقت نفسه يُنفَى عنه باعتبار أنه لم يقم مقامه ولم يتَّبع سنته أو يَسِر سيرته، ومن المعلوم أن أول من تولى القيادة لدى المسلمين هو رسول الله ﷺ، وعلى ذلك فإن لفظ الخليفة يستحقه على وجه الحقيقة من تولى الأمر واتبع سنة رسول الله ﷺ وسار سيرته في قيادة المسلمين، ولو جاء بعده بعدد من القرون، وأما من خالف سنته ولم يسر سيرته منهم فإنما يطلَق عليه هذا اللقب باعتبار الشكل فقط، وهو أنه جاء بعد من تقدمه، ولعل تعريف الماوردي للإمامة يدعم هذا التوجيه. يقول - رحمه الله تعالى -: «فإن الله جلَّت قدرته ندب للأمة زعيماً خلف به النبوة، وحاط به الملة، وفوض إليه السياسة؛ ليصدر التدبير عن دين مشروع، وتجتمع الكلمة على رأي متبوع» ثم يقول: «الإمامة: موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»[1]، وقال ابن خلدون: «الخلافة نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا»[2]، وفي الموسوعة: « رئاسة عامة في الدين والدنيا خلافة عن النبي ﷺ»[3]، و «رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابةً عن النبي ﷺ»[4]، فهذه مجموعة نقول من مذاهب فقهية متنوعة تبيِّن أن الخلافة نيابة عن صاحب الشرع، وهو مما يبيِّن خطأ قول من يقول: إنها نيابة عن الشعب أو الأمة ممن تأثر بالفكر الديمقراطي.

واجبات الخليفة:

لقد أوجبت الشريعة على الخليفة كثيراً من الواجبات التي ينبغي عليه الجد والاجتهاد في تحصيلها حتى يكون لنَصْبِه فائدة. كما جعلت له حقوقاً على الرعية حتى يتمكن من القيام بما وجب عليه على الوجه المرضي.

هناك واجبان أساسيان يلزم الخليفة القيام بهما وما نُصِّب إلا من أجل تحصيلهما، وهما:

١ - حراسة الدين وحفظه: وهو أهم ما يعتنى به ويحافَظ عليه.

٢ - سياسة الدنيا به: إذ لا تمضي الأمور على الاستقامة وتتحقق الأهداف العامة إلا بذلك، وهذه تتناول المصالح الدنيوية جميعها، واتخاذ الخطوات التنفيذية والتنظيمات العملية لتحقيق ذلك حتى ينتقل الأمر من مجرد وصايا نظرية إلى تصرفات وإجراءات عملية لتطبق في الواقع المعَاش.

ويتفرع عن هذين الواجبين أمور كثيرة أجملها الماوردي بقوله: « ... والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء:

أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة؛ فإنْ نَجَم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة، وبيَّن له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من زلل.

والثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين: حتى تعم النَّصَفة؛ فلا يتعدى ظالم، ولا يضعف مظلوم.

والثالث: حماية البيضة والذب عن الحريم: ليتصرف الناس في المعايش، وينتشروا في الأسفار آمنين من تغريرٍ بنفس أو مال.

والرابع: إقامة الحدود: لتُصَان محارم الله - تعالى - عن الانتهاك، وتُحفَظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك.

والخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة: حتى لا تظفر الأعداء بغِرَّة ينتهكون فيها محرَّماً، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دماً.

والسادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة؛ ليقام بحق الله - تعالى - في إظهاره على الدين كله.

والسابع: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير خوف ولا عسف.

والثامن: تقدير العطايا وما يُستحَق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

والتاسع: استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء في ما يفوِّض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال؛ لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمناء محفوظة.

والعاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال؛ لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعوِّل على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة؛ فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد قال الله - تعالى -: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [ص: ٢٦].

فلم يقتصر الله - سبحانه - على التفويض دون المباشرة

(١) الأحكام السلطانية، ص ٥ - ٧، ط دار ابن خلدون الإسكندرية.
(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ٢٤٤.
(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية: ٦/٢١٦.
(٤) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (فقه مالكي): ١/٣٢٤.

ولا عـذره في الاتبـاع حتى وصفه بالضلال، وهـذا وإن كان مسـتحقاً عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة، فهو من حقوق السياسـة لكل مسـترع. قال النبي -عليه الصلاة والسلام -: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[1].

ممـا تقدم ذكره يتبين أن الخليفة يجـب عليه أمام الأمة أمور لا يجوز له أن يتخلى عنها أو يتقاعس عن الإتيان بها، وأن المسـؤولية تقع عليه كاملة في القيـام بها، فحتى إن أناب عنه بعضهـم أو وكَّلهم وفوَّض إليهم بعضاً مـن مهامه لتعذُّر القيام بهـا من قِبَلِه من غير مُعِين يسـاعده، لكن عليه المتابعة وتفقُّد الأمور حتى يتبين له أنها تسـير على النحـو المرضي الموافق للشريعة ويحقق المصالح العامة للأمة، ولا يجوز له أن يتشاغل عـن ذلك ولو بزعم العبادة؛ فـإن قيامه على أمر الأمة وحفظ دينها وتحقيق مصالحها ودرء الغوائل عنها: أفضل وأعظم أجراً من نوافل العبادات.

١ - وهذه الواجبات منها ما هو ديني صرف: كحفظ الدين على أموره المسـتقرة وما أجمع عليه سـلف الأمة، ويتفرع عن ذلك: إقامة المدارس والمعاهـد والكليات التي تدرَّس فيها هذه الأمـور، ونصب المفتين الذين يفتون النـاس في ما ينوبهم من قضايا ونوازل، وإزالة الشـبه التي تقـع لبعض الناس وردعهم عن التمادي في باطلهم بعد إقامة الحجة وإزالة العذر، والعناية بالمساجد التي يؤدي فيها المسلمون صلواتهم: من نظافة وفرش وترميم عند الحاجة ونصب الأئمة لها، وتحري أهلَّة الشـهور وخاصة ما تعلقت به العبادة كشـهري الصوم والحج، وتيسـير سبيل الحج والإعانة عليه، وقبض الزكاة وصرفها في مصارفها الشرعية.

والدعوة إلى الله - تعالى - بكل سـبيل، وإعانة الدعاة إلى الله على ذلك، وجهاد من أبى وعاند بعد الدعوة إلى الإسـلام وإقامة الحجة حتى يُسلِم أو يعطي الجزية.

٢ - ومنها ما هو أمني: سـواء مما يتعلق بالأمن الداخلي: كتنفيذ الأحكام بين المتشـاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين وإقامة الحـدود لتصان المحارم وتحفظ حقـوق العباد؛ وهذا يحتاج إلـى نصب القضاة الذين يحكمون بالشـريعة ويكونون مستقلين في ما يصدر عنهم من أحكام؛ بحيث لا يتأثرون بشيء في ما يُصدِرون من أحكام، وإيجاد جهاز شرطة قوي قادر على تحقيق المصالح المناطة به.

أو الأمـن الخارجي: كتحصين الثغور وحفظ حدود الديار من الاختراق من قِبَل الأعداء، وهذا يسـتلزم وجود جيش قوي وقادر مزود بالأسـلحة المناسـبة مع ما ينضاف إلى ذلك من التدريب وتحديث الأسلحة.

أو الأمن الفكري: كحفظ عقول الناس من الأقوال والأفكار المخالفـة لصحيح المنقـول أو صريح المعقـول، ومنازلة الغزو الفكري القادم من خلال الفضائيات أو شـبكة المعلومات، وما يتبع ذلك من إنشاء ولاية للحسبة الفكرية تُعنَى بمتابعة الأفكار والأقوال التي تُتدَاول في وسـائل الإعـلام المتنوعة والكتابات حتى يأمن الناس على عقائدهم وعقولهم.

إن الذي لا شـك فيه أن القيام بذلـك يحتاج إلى هيئات مساعدة وتنظيمات إدارية ومؤسسات إشرافية ورقابية، وبذلك يتبـيَّن أن الواجبات المناطة بولي الأمر كثيرة ومتشـعبة وقابلة للاتساع بحسب ما يلزم للقيام بالواجبات الأساسية.

٣ - ومنهـا ما هـو اقتصادي: حيث يُعنَـى بحفظ ثروات المسـلمين وتنميتها، وما يسـتتبع ذلك من إقامة المشـروعات الزراعيـة والصناعية حسـب بيئة المجتمع، وإنشـاء الأجهزة والإدارات التـي تعمل على تحقيق ذلك، ثم توزيع هذه الثروات بين المسلمين بالعدل؛ حتى لا تستأثر بالخيرات فئة ويحرم منها آخـرون، ومنع المعاملات المحرَّمة كالربـا وكل ما جاء في باب البيوع المحرمة والعقود المحرمة كذلك.

٤ - ومنها ما هو إداري: حيث يسـتعين بالأَكْفَاء النصحاء القادرين على تحقيق خطة وطموحات الدولة؛ فيوليهم الولايات ويضع التنظيمات المناسبة التي تعين على ذلك، ثم هو بعد ذلك يتصفح الأحوال ولا يتشـاغل عن متابعة الأمـور لا بدنيا ولا بعبادة، فهذا وما شاكله مما يجب على الإمام القيام به

ويستحدث من الأنظمة والتدابير الموافقة للأحكام الشرعية مـا يعين على القيام بكل ما وجب على أحسـن حال من حيث الدقةُ والأمانةُ وسرعة إنجاز الأعمال.

٥ - ومنهـا ما هو سياسـي: وهو القيـام على أمور الأمة بما يصلحها وما يترتب على ذلك: من إشـراك الأمة في تحمُّل مسؤولية أمانة الحفاظ على دين الأمة وإصلاح دنياها ومشاورة أهل الشـورى في تحقيق ذلك وترك الاستبداد بالأمور، وكفالة حرية الأمة في اختيار ما تستريح إليه مما تُقرُّه أحكام الشريعة، ومنع الفساد وتضييق سُبُله إذا لم يمكن منعه كليّاً.

٦ - ومنهـا ما هو اجتماعي كرعاية أخـلاق الناس ودفع المنكرات وإشـاعة المعروف وبالجملة كل ما ورد في ما يقوم به أهل الحسبة مع تعيين المحتسبين الأَكْفَاء لتلك المهمة.

(١) الأحكام السلطانية،ص ١٧ - ١٨.

حقوق الخليفة:

إذا قام ولي الأمر بمـــا وجب عليه من حقوق الأمة المتقدم ذكرها، فقد أدى حق الله – تعالى – في ما أوجبه عليه، ووجب له على الأمة حقَّان:

أولاً: الطاعـــة في ما يأمر به أو ينهى عنه كما وردت بذلك النصوص المتكاثرة: ويدخل في ذلك ترك الخروج عليه، وطاعة الخليفة ليســـت مطلقة؛ وإنما هي مقيـــدة بكونها في المعروف لقولـــه ﷺ: «إنما الطاعـــة في المعـــروف»[1]، وبكونها في غير المعصية لقوله ﷺ: «لا طاعة في معصية الله»[2]. قال ابن خويز منداد: «وأما طاعة الســـلطان فتجب في ما كان لله فيه طاعة، ولا تجب في ما كان لله فيه معصية»[3].

ثانيـــاً: النصرة: أي مناصرته والانتصـــار له؛ ويدخل فيها نصيحته والذبُّ عنه وعدم القدح فيه وترك مساعدة الخارجين عليه، بـــل الوقوف معه لو جاء أحد ونازعه الأمر ما دام أنه لم يخرج على الشريعة وقائم بتحقيق مصالح الأمة.

وحقـــوق ولي الأمر على الأمة لا تثبت له إلا بســـبب قيامه بمـــا يجب عليه لهم، يدل لذلك مـــا روي عن الصحابي الجليل رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. قال القرطبـــي: «روي عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه قال: حقٌّ على الإمام أن يحكم بالعدل، ويؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك وجب على المســـلمين أن يطيعوه؛ لأن الله – تعالى – أمرنا بأداء الأمانة والعدل، ثم أمر بطاعته»[4]، وقول الماوردي الفقيه الشافعي بعدما ذكر الواجبات على ولي الأمر: «وإذا قام الإمام بمـــا ذكرتُه من حقوق الأمة فقد أدى حـــق الله – تعالى – في ما لهـــم وعليهم ووجب له عليهم حقان: الطاعة والنصرة ما لم يتغير حالة»[5].

لكـــن ماذا لو قصَّر الخليفة فـــي القيام بما وجب عليه، أو تجاوز حدوده وحقوقه الثابتة له شرعاً؟

علـــى الرغم من أن المأمول أن يقوم الخليفة بما وجب عليه على أحسن الوجوه؛ وذلك للتدقيق الشديد في تحقُّق الشروط المســـوِّغة لاختياره عن غيره ممن يصلـــح لهذا المنصب، إلا أن الشـــخص المختار قـــد لا يتحقَّق المأمول منه نظـــراً لما يعتري الإنســـان مـــن ضعف البدن أو ضعـــف الديانة، ومـــن ثَمَّ فإن الشـــريعة قد تحسَّبت لهذا الأمر وبيَّنت ما ينبغي فعله في هذه الحالة، فمن ذلك:

١ – النصيحـــة: فقد ورد من طرق متعـــددة كما هو مبيَّن في دواوين السُّـــنة قوله ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْـــلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَـــإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»[6]. كما قال ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، وذكر من ذلك: وأن تُناصِحـــوا من ولاه الله أمركم»، فينبغي على المســـلمين إذا رأوا في ولـــي أمرهم ما ينكَر عليه أن يبادروا إلى نصحه، وأن يكونوا عونـــاً لـــه على ســـلوك الطريق المســـتقيم ولا يكونـــوا عونـــاً للشـــيطان عليه، ولا يسعوا في تأليب العامـــة عليه ولا ينزعوا يداً من طاعة ما لم يرَ المســـلمون منه كفراً بواحـــاً؛ كما روى عبادة ابن الصامت قال: (دعانا النبي ﷺ فبايعنـــاه، فقال في ما أخذ علينـــا «أن بايعنا على الســـمع والطاعة في منشـــطنا ومكرهنا، وعسرنا ويســـرنا وأثرة علينا، وأن لا ننـــازع الأمرَ أهلَـــه، إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من اللـــه فيه برهان»)[7]، ومعنى كفـــراً بواحـــاً: أي الكفر الظاهر الـــذي لا خفاء به. قال ابـــن حجر: «قال الخطابي: معنى قوله: بواحاً، يريد ظاهراً بادياً؛ من قولهم: باح بالشـــيء يبوح بـــه بوحاً وبواحاً إذا أذاعه وأظهـــره... قوله: عندكم من الله فيه برهـــان: أي نص آية أو خبر صحيح لا يحتمـــل التأويل؛ ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل»[8] وقال ابن بطال: «فيه ترك الخروج على أئمة الجور، ولزوم الســـمع والطاعة لهم، والفقهاء مجمعون على أن الإمام المتغلِّب طاعته لازمة، ما أقام الجُمُعات والجهاد، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء»[9]، وقال النـــووي: «ومعنـــى الحديث لا تُنازِعـــوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم.
(٣) تفسير القرطبي: ٥/٢٥٩.
(٤) تفسير القرطبي: ٥/٢٥٩.
(٥) الأحكام السلطانية، ص ١٨.
(٦) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم وغيرهم. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي، وقال الألباني: صحيح.
(٧) أخرجه البخاري، رقم٧٠٥٦، ومسلم، رقم ١٧٠٩.
(٨) فتح الباري: ١٣/٨.
(٩) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٠/٨.

منهم منكراً محقَّقاً تعلمونه من قواعد الإسلام؛ فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته... قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه»، وهذا في الوقوع في الظلم أو الفسق أما الوقوع في الكفر فأمر آخر، وترك الخروج على الفاسق والظالم كما قرره أهل العلم لا يعني ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان لا يسقطهما وجوب الطاعة والنصرة، أو تحريم الخروج عليه.

٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إذا ترك ولي الأمر بعض ما يجب عليه من حقوق الرعية، أو قصر في تحصيلها، أو صدر منه ما منعت منه الشريعة، فإنه يؤمَر بالمعروف ويُنهَى عن المنكر حسبما دلت على ذلك نصوص الشريعة وأقوال أهل العلم المستخرجة منها من حيث الإسرارُ أو الإعلانُ ومن حيث اللينُ أو الشدةُ تحصيلاً للخير أو لخير الخيرين إذا لم يمكن تحصيلهما معاً، ودفعاً للشر أو لشر الشرين؛ إذا لم يمكن دفعهما معا.

٣ - لكن إن عَظُمَ الخطب فالعزل أو الخروج هو آخر الدواء: وذلك إذا ما وقع في الكفر - والعياذ بالله - على وَفْقِ ما جاء في حديث عبادة بن الصامت السابق - رضي الله تعالى عنه - وقرره أهل العلم. قال إمام الحرمين الجويني: «فأما إذا تواصل منه العصيان، وفشا منه العدوان، وظهر الفساد، وزال السداد، وتعطلت الحقوق والحدود، وارتفعت الصيانة، ووضحت الخيانة، واستجرأ الظلمة، ولم يجد المظلوم منتصفاً ممن ظلمه، وتداعى الخلل والخطل إلى عظائم الأمور، وتعطيل الثغور، فلا بد من استدراك هذا الأمر المتفاقم»[١] ثم فصل كيفية الاستدراك فكان مما قال: «إن تيسر نصب إمام مستجمِع للخصال المرضِية، والخلال المعتبَرة في رعاية الرعية، تعيَّن البَدار إلى اختياره؛ فإذا انعقدت له الإمامة، واتسقت له الطاعة على الاستقامة، فهو إذ ذاك يدرأ من كان، وقد بان الآن أن تقديم درئه في مهمات أموره؛ فإن أذعن فذاك، وإن تأبى عامَلَه معاملة الطغاة، وقابله مقابلة البغاة... وإن علمنا أنه لا يتأتَّى نصب إمام دون اقتحام داهية وإراقة دماء، ومصادمة أحوال جمَّة الأهوال، وإهلاكِ أنفسٍ ونزفِ أموال، فالوجه أن يقاس ما الناس مدفوعون إليه مبتلَون به بما يفرض وقوعه في محاولة دفعه، فإن كان الواقع الناجز أكثر مما يقدَّر وقوعه في روم الدفع، فيجب احتمال المتوَّقع له لدفع البلاء الناجز وإن كان المرتقب المتطلع يزيد في ظاهر الظنون إلى ما الخلق مدفوعون إليه، فلا يسوغ التشاغل بالدفع، بل يتعين الاستمرار على الأمر الواقع»[٢]، وقال النووي: «قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل. قال: وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها. قال: وكذلك عند جمهورهم البدعة... قال القاضي: فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيامُ عليه وخلعُه ونصبُ إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه فإن تحققوا العجز لم يجب القيام وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفر بدينه»[٣]، وقال ابن حجر: «فإن أحدث جوراً بعد أن كان عدلاً فاختلفوا في جواز الخروج عليه والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه»[٤] وقال أيضاً: «ينعزل بالكفر إجماعاً فيجب على كل مسلم القيام في ذلك؛ فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض»[٥].

ويذكر الجويني ضابطاً مهماً في القيام بذلك عند حدوث سببه، وهو أنه لا يطلق للأفراد القيام بذلك فيقول: «ومما يتصل بإتمام الغرض في ذلك أن المتصدي للإمامة إذا عظمت جنايته، وكثرت عاديته، وفشا احتكامه واهتضامه، وبدت فضحاته، وتتابعت عثراته، وخيف بسببه ضياع البيضة، وتبدُّد دعائم الإسلام، ولم نجد مَنْ ننصبه للإمامة حتى ينتهض لدفعه حسب ما يدفع البغاة، فلا نطلق للآحاد في أطراف البلاد أن يثوروا؛ فإنهم لو فعلوا ذلك لاصطلموا وأبيروا، وكان ذلك سبباً في ازدياد المحن وإثارة الفتن، ولكن إن اتفق رجل مطاعٌ ذو أتباع وأشياع، ويقوم محتسباً؛ آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وانتصب بكفاية المسلمين ما دفعوا إليه، فَلْيمضِ في ذلك قُدُماً. والله نصيره على الشرط المقدَّم في رعاية المصالح، والنظر في المناجح، وموازنة ما يدفع، ويرتفع بما يتوقع»[٦].

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف ويُنهَى فيه عن المنكر.

(١) غياث الأمم في التياث الظلَم، ص ١٠٦.

(٢) غياث الأمم في التياث الظلَم، ص ١٠٩ - ١١٠.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢/٢٢٩.
(٤) فتح الباري: ١٣/٨.
(٥) فتح الباري: ١٣/١٢٣.
(٦) غياث الأمم في التياث الظلم، ص ١١٥ - ١١٦.

مجلة البيان

جديد مجلة البيان

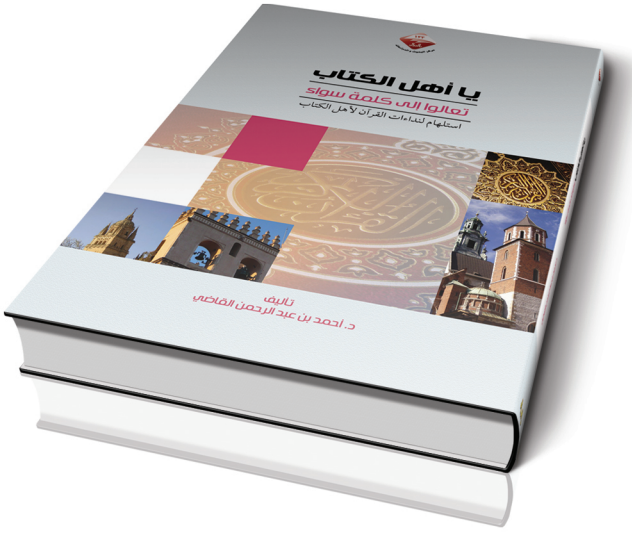

www.albayan.co.uk

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

«توراةٌ أصليةٌ» في عَرَبة القِسِّيس!

فيصل بن علي الكاملي(*)
popedia@windowslive.com

دعاني أحد الأصدقاء ذات مرة لصحبته في حوارٍ مع أحد قساوسة النصارى بإحدى العواصم الغربية. دخلنا مكتب القس فرحب بنا وأجلسَنا قُبالته بينما أخذ يحكي لنا بأسلوب درامي كيف تعرف على النصرانية فملأت خواء قلبه بعد عقود من الضياع والإجرام (على حدِّ تعبيره). ثم أخذ هو ورفيقٌ له يؤطِّران للحوار قبل الشروع فيه فكان مما قال رفيقه: إننا – معشرَ النصارى – نملك بين أيدينا الأصل العبراني للعهد القديم والأصل اليوناني للعهد الجديد، فإذا ما اختلفنا في قراءة نصٍ مَّا، أحضرتُ الأصلين اللذَين أحتفظ بهما في عربتي. ودار الحوار حول المصادر إلى أن انتهى بنا إلى نُسَخ العهد القديم واختلافاتها فطلبت منهما إحضار النسختين العبرانية واليونانية من العربة، وهو ما لم يتوقعانه لظنهما أن مجرد الإيهام بامتلاك مصادر مكتوبة بلغات عتيقة كفيل بردع الخصم وتخويفه من الخوض فيها. فلما سقط في أيديهم اعتذرا عن إكمال الحوار بحجة انشغالهما فانصرفنا.

(*) باحث سعودي متخصص في دراسة الأديان – يعمل في مركز الدراسات والبحوث التابع لمجلة البيان.

إن كثيراً من الدعاة إلى النصرانية يتَّبعون سياسة الاستقواء بالمجهول؛ فيزعمون – مثلاً – أن اختلاف نسخ التوراة المتداولة راجع إلى اختلاف المترجمين في التعبير عن الأصل العبراني الذي يجهله خصومهم، وأنه كاختلاف ترجمات معاني القرآن في محاولة التعبير عن الأصل العربي. وقد تجد أحدهم يدَّعي في النص ما ليس فيه بحجة أن الأصل يحتمل ذلك المعنى الذي لا يدرك كنهه إلا الخاصة؛ وهم بهذا يستغلون جهل أغلب المسلمين، بل أغلب النصارى، بالعبرانية أو اليونانية أو السُّريانية. وحيث إني قد بينت في مقال سابق أن «العهد الجديد» – وليس هو إنجيل عيسى عليه السلام – لم يكتب في أصله باليونانية كما يزعم علماء النصارى بل بلغةٍ ساميةٍ رجَّحتُ أنها السُّريانية، فسأكتفي بالحديث هنا عن العهد القديم وأبيِّن أن «أصله» العبراني المتداول فضلاً عن الترجمات ليس من عند الله بل هو قول البشر.

يعتمد جمهور علماء اليهود والنصارى النص المسوريِّ للعهد القديم (The Masoretic Text)؛ وهو الذي يقوم على التحقيق والضبط التقليدي المعروف بالـ «مَسوراه» أو «ميراث» علماء اليهود الذين عُرفوا بالمسوريين نسبة إلى هذا التقليد. وقد بدأ المسوريون محاولة ضبط النص في القرن السادس الميلادي؛ أي بعد تدوينه بألف عام أو يزيد، ولم ينتهوا إلا في القرن العاشر الميلادي في الأكاديميات التلمودية ببابل وفلسطين[1]. كما أن أقدم المخطوطات التي تحوي النص المسوري لا تعود إلى أبعد من القرنين التاسع والعاشر الميلاديين[2].

من أشهر طبعات النص المسوري تلك الموسومة بـ (Bi – lia Hebraica Stuttgartensia) وهي التي قال عنها العالم اليهودي «عمانوئيل طوف» بأن من سماتها «الانتقاء غير الموضوعي للقراءات المختلفة»[3]. فالقراءات التي اصطفاها المسوريون لم تكن وحياً بل هي اجتهاد بشري محض. مثال ذلك ما نقرؤه في سفر

(١) Encyclopaedia Britannica 2002 Standard Edition CD–ROM. (Under "Masoretic text").

(٢) Freedman, David N. The Nine Commandments (New York: Doubleday, 2000) p. 87.

(٣) Emanuel Tov. Textual Criticism of the Hebrew Bible (Mi – neapolis: Augsburg Fortress Publishers, 2001), p. 375.

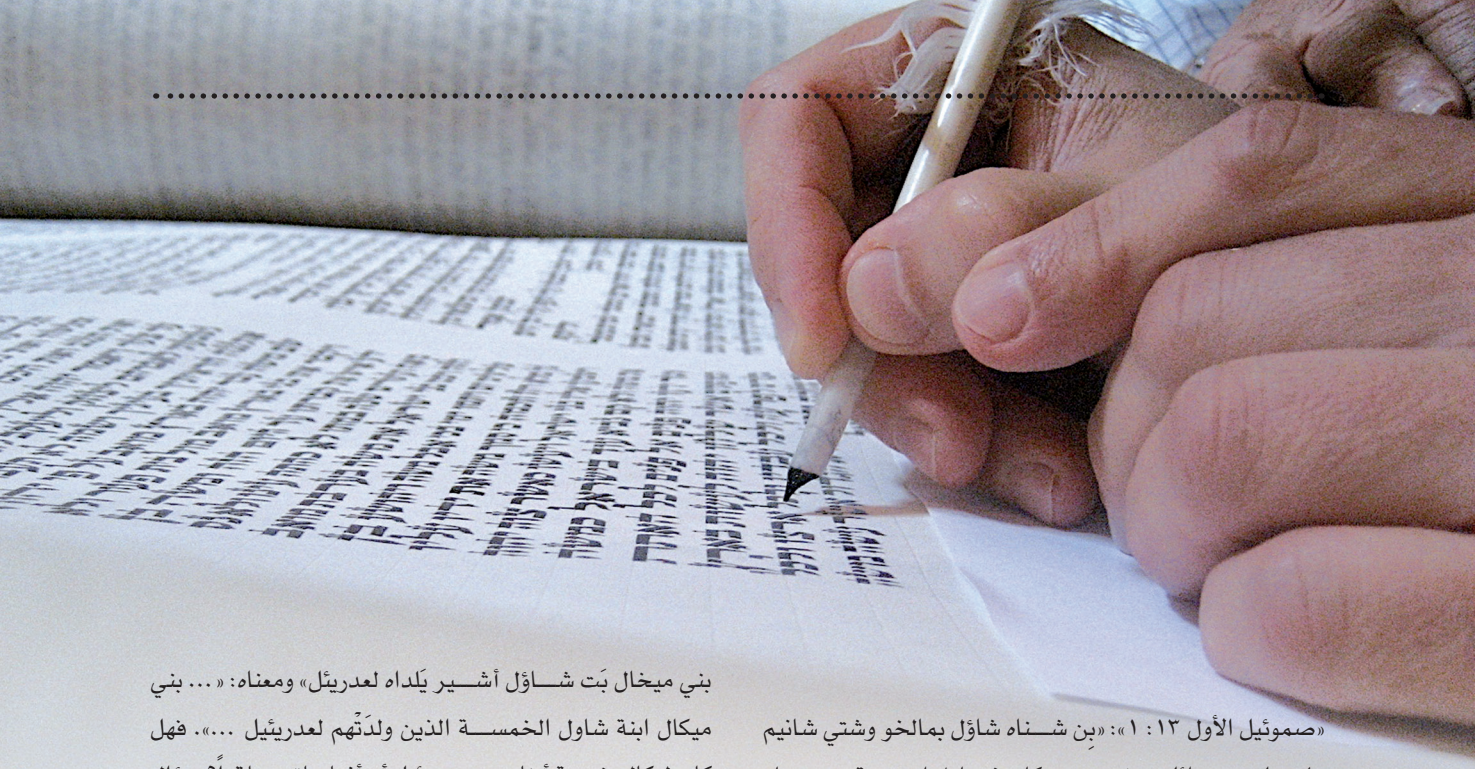

«صموئيل الأول ١٣ : ١»: «بِن شـــناه شاؤل بمالخو وشتي شانيم ملخ عل يســـرائل» وتفسيره: «وكان شـــاول ابن سنة حين صار ملكاً، وملك سنتين على إسرائيل». وهذا من عجائب الدهر؛ إذ كيف يتأتى لرضيع في عامه الأول أن يحكم مملكة إســـرائيل. فلما كان النص حرجاً بالنســـبة لمترجمي «الكتاب المقدس» آثر بعضهم – كطبعة دار المشـــرق اليســـوعية ١٩٩٤م – أن يكتب «وكان شـــاول ابن ... سنة حين صار ملكاً، وملك ... سنة على إســـرائيل» دون ذكر لعدد الســـنين. فهذا خطأ ثابت في النص العبراني الذي يعد عندهم أصلاً، وليس من تصرُّف المترجمين.

وأعجب منـــه ما أورده سِـــفر «الأخبار الثانـــي ٢١ : ٢٠» قائلاً: «بن شلوشيم وشـــتايم هايا بمالخو وشموني شانيم ملخ بيروشـــلايم فيِّلِخ بِلو حِمداه» وتفسيره «وكان [يورام] ابن اثنتين وثلاثين سنة حين ملك، وملك ثماني سنين في أورشليم، وذهبَ غيرَ مأسوف عليه»؛ أي أنه توفي في الأربعين من عمره. وهذا معقول؛ لكن النص يعقبه بقوله: «فأقام ســـكان أورشليم أحزيا ابنـــه ملكاً مكانه ... وكان أحَزيا ابن اثنتين وأربعين ســـنة حين ملك» (في العبرانية: «بِن أربعيم وشتايم شناه بمالخو»). وهذا يعنـــي أن «أحَزيا» كان قد بلغ الثانيـــة والأربعين من عمره لـمَّا توفي أبوه «يورام» في ســـن الأربعين، فهـــو بذلك أول ابن في التاريـــخ يكبر أباه بعامين! وهـــذه مفارقة محفوظة في الأصل العبراني وليست في الترجمات فحسب.

أختم بمثال من ســـفر «صموئيل الثانـــي ٦ : ٢٣» جاء فيه «ولميخال بَت شـــاؤل لو هَايا لاه يالِد عَد يوم موتاه». وتفسيره: «ولم تلد ميكال ابنة شاول ولداً إلى يوم ماتت». لكن هذا النص يتعارض مع ما يدوِّنه الســـفر نفســـه «٢١ : ٨» حول «حميشت بني ميخال بَت شـــاؤل أشـــير يَلداه لعدريئل» ومعناه: «... بني ميكال ابنة شاول الخمســـة الذين ولدَتْهم لعدريئل ...». فهل كان لميكال خمسة أبناء من عدريئل أم أنها ماتت عاقراً؟ سؤال أَدَع الإجابـــة عنه لمن يدعي أن الأصـــل العبراني للعهد القديم من عند الله.

ولما كان علماء العهد القديم عاجزين أمام هذه الحقائق، أقر كثير منهم بوجود نص أصيل غير الذي بين أيديهم، فاتجهوا إلى نُسَخ أخرى يســـتعينون بها لإعادة بناء أصل التوراة كما عرفها بنو إســـرائيل، من هذه النسخ: الترجمة الســـبعونية اليونانية، ومخطوطات البحر الميت التي لا تزال مثار جدل في الأوســـاط العلمية، وأطلـــق العلماء على هذا الأصل المفترض Ur-Text أي «النص الأصلي».

ولكن ينبغي أن يتنبَّه القارئ المســـلم إلى أن النص الأصلي الذي يسعى علماء العهد القديم إلى استعادته ليس هو الكتاب الذي أنزل على موســـى – عليه السلام – بل هو نص مفترَض يحوي كتب العهد القديم بوضعها الحالي مع شـــيء يســـير من الاختلاف، فلا يعدو جهدُهم أن يكون ســـعياً لحل الاختلافات الموجودة بين نســـخ التوراة المختلفة. وهذا النص – وإن توصلوا إليـــه – لن يرقى فـــي مجمله إلى ما قبل القرن الســـابع قبل الميلاد؛ فهو نص ســـطرته أيدي الأحبار ليشتروا به ثمناً قليلاً، باستثناء بعض المواطن التي شهد القرآن بصحتها.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَـابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ . [البقرة: ٧٩]

معوقات في طريق التعاون بين الدعاة

هشام عقدة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

إذا كان التعاون على البر والتقوى من قواعد الإسلام العظيمة، ومن الأوامر الإلهية الجليلة، والوصايا النبوية الشريفة؛ إلا أن هذا التعاون قد يعكر صفوَه أو يحول دونه بعض المعوقات التي يجد الشيطان فيها بغيته في صرف المسلمين عن التعاون في ما بينهم، لا سيما الدعاة والمصلحين. فتتباعد قلوبهم وتتبعثر جهودهم وتذهب أُلفَتُهُم؛ فعن عمير ابن اسحق قال: (كنا نتحدث: أن أوَّل ما يُرفَع من الناس الأُلفة)[1].

فمن هذه المعوقات:

١ الاستبداد بالرأي والإعجاب به:

فالمستبد برأيه المعجَب بنفسه شخصية يصعب التعاون معها؛ لأنه يستصغر الآخرين ويحقِّر رأيهم، ويستعظم نفسه، ولا يثق إلا برأيه، وفي ذلك الهلاك.

روى أبو داود الطيالسي بإسنادٍ حسن[2] عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث مهلكات وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات: فأما المهلكات فشحٌّ مطاع، وهوىً متبع، وإعجابُ المرءِ بنفسه...» الحديث.

ولإزالة هذا المعوق ينبغي لمن آنس في نفسه عدم الاستماع للآخرين وكان متشبثاً برأيه: أن يتذكر خير البرية محمداً ﷺ وكيف كان يسمع لأصحابه ويترك رأيه لرأيهم في ما ليس فيه وحي؛ كما في سماعه لرأي أم سلمة في الحديبية وأَخْذه بمشورتها في حلقه لرأسه ونحره لهديه ﷺ؛ ليقتدي به أصحابه بعد إحجامهم حزناً على عدم إتمامهم للعمرة. وكما أخذ برأي السعدين في الأحزاب حين أراد أن يعطي غطفان ثلثَ ثمار المدينة ويرجعوا، فقال السعدان: لا نعطيهم إلا السيف.وكما أخذ برأي الحُباب بن المنذر في الرواية المشهورة (وإن لم يكن سندها قوياً؛ حين أشار – رضي الله عنه – بتغيير مكان نزول جيش المسلمين في بدر. وكما أخذ برأي عمر – رضي الله عنه – حين قال له: (يا رَسُولَ الله! بِأَبِي أَنْتَ، وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ؛ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ؛ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَخَلِّهِمْ»)[3].

وقد وعى عمر – رضي الله عنه – هذا الخُلُقَ عن رسول الله ﷺ، فكان مع قوَّته وشدَّته يسمع للرجال والنساء، وربما ترك رأيه لرأيهم؛ كما ورد عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ – رضي الله عنه – أن

(١) ضعيف: ضعيف الأدب المفرد، حديث رقم ٢٦٣/٤٣ ضعيف الإسناد، عمير ثقة، وفيه القاسم بن مالك، فيه لين.

(٢) صحيح الجامع: حديث، رقم (٣٠٤٥).

(٣) صحيح مسلم: حديث، رقم (٥٢).

رجلاً قال لعمر: «إِنَّ فُلاَناً يَقُولُ: لَوْ مَاتَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ لَبَايَعْنَا فُلاَناً (والمعنى أنهم يثبون على الأمر بغير عهد ولا مشاورة)، فَقَالَ عُمَرُ: لَأَقُومَنَّ العَشِيَّةَ، فَأُحَذِّرَ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ، قُلْتُ: لاَ تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ المَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ، يَغْلِبُونَ عَلَى مَجْلِسِكَ، فَأَخَافُ أَنْ لاَ يُنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَيُطِيرُ بِهَا كُلُّ مُطِيرٍ، فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ المَدِينَةَ دَارَ الهِجْرَةِ وَدَارَ السُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَيَحْفَظُوا مَقَالَتَكَ وَيُنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ! لَأَقُومَنَّ بِهِ فِي أَوَّلِ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ»[٢].

شاور أخا الحزم إن تُدهَى بمشكلةٍ
فالمستبدُّون لا يخلون من ندمِ
ليس التفرُّدُ بالآراء ممتدَحاً
ولو تفرَّد مبدي الرأي بالحِكَمِ
فالحزمُ بالرأي إن تُبدى مشاورةً
إلى الثقاتِ أُولِي الإرشادِ والهممِ
إن يُشكِل الأمرُ شاور من به
ثقةٌ ديناً ورُشْداً فتأمن زلَّةَ القدمِ

٢ الخوف من تعلُّق الأتباع بالآخرين حال التعاون معهم:

فإن الرجل قد يكون له أتباع يحيطون به ويستفيدون منه ويأتمرون بأمره؛ ولكنه يكره أن يجلسوا إلى غيره، ويخشى إذا تعاون هو ومن معه مع آخرين أن يتم التعارف بين من معه وهؤلاء فتكون لهم علاقات معهم وربما صداقات وإعجاب... إلى غير ذلك، وهذه الخشية قد تشوب الإخلاص، ويضيع بسببها كثير من المصالح؛ فليس من الإخلاص أن يغضب العالِم أو الداعية إذا وجد تلميذه يجلس مع آخرين من الدعاة وأهل العلم، وليس من الإخلاص التفاخر بكثرة الأتباع؛ ففي الحديث «من تعلَّم العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم»[٣].

وقد كان سلفنا - رضوان الله عليهم أجمعين - يخشون على أنفسهم الفتنة والعُجْب إذا تزاحم عليهم الناس، ويرون ذلك ذلة للتابع وفتنة للمتبوع.

وكان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام وترك الحلقة.

وكان الشافعي - رحمه الله - يقول: (وددتُ لو تعلَّم الناس هذا العلم ولم يُنسَب ليَ منه شيء).

وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول: (أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ - قال عطاء بن السائب: أراه قال في هذا المسجد - فما كان منهم محدث إلا ودَّ أنَّ أخاه كفاه الحديث ولا مفتٍ إلا ودَّ أنَّ أخاه كفاه الفتيا).

وعن إبراهيم النخعي قال: (إن كانوا ليكرهون إذا اجتمعوا أن يُخرِج الرجل أحسن حديثه أو أحسن ما عنده).

ويقول بعض السلف: (إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزَّور وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سرٍ فيكون

(٢) صحيح البخاري: حديث، رقم (٧٣٢٣)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنة.

(٣) صحيح الجامع: حديث رقم (٢٠٤٨).

علانيــة أبداً؛ أي أنهــم - رضوان الله عليهــم - كانوا يحبون دَوْر الجندي المجهول، وراحتُهم وســعادتُهم في حصول المطلوب دون تنافس على صــدارة، بخلاف ما آل إليه الحال من تأثُّرنا بالصراع الإعلامــي من أجل الظهور حتى ســرى المرض إلى الدعاة وهو ما أورث صعوبة التعاون وحصول الفرقة.

ومــا شــكــوايَ أو شــكــواكَ إلا
لـفـوضـى فـي المـجـامـعِ وانـقـسـامِ
تــرى كُــلاً لــه أمــلٌ وسـعـيٌ
ومــا لاثـنـيـن حـولـك مــن وئــامِ
لــكــلٍّ جــمــاعــة فـيـنـا إمــامٌ
ولــكــن الجــمــيــع بــلا إمــامِ

شــتان شــتان بين رأي الجماعة العامــة وآراء الجماعات المتفرقة أو آراء الأفراد، وما أجمل قول حافظ إبراهيم:

رَأْيُ الجـمـاعـةِ لا تشقى الـبـلاد به
- رغم الخلاف - ورأي الفرد يُشقيها

فلا بد أن نحاســب أنفســنا على التجرد وطلب المصلحة العامة ولو تحققت على يد من يخالفنا؛ فالمؤمن يفرح بحصول ما ينفع الإسلام دون تعلُّق بالتفاف الأتباع حوله، وإذا كان كذلك كان أجدر أن يكون إماماً قوي الحجة رفيع القدر.

قيل لحاتم الأصم: (أنت رجل أعجمي لا تفصح، وما ناظرَك أحدٌ إلا قطعته؛ فبأي شــيءٍ تغلب خصمك؟ فقال: بثلاث: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ لساني عن أن أقول ما يسوؤه. قال أحمد: ما أعقله من رجل)[٢].

بهذه الحكمة تطيب النفوس، ويســهل التعاون، ولا يصعب علــى الناس الوصول لما هو خيرٌ وأنفع؛ فبصلاح القلوب تصلح الحياة، وبفسادها تفسد الأعمال وتفشل الجهود.

٣ الظن أن التنازل عن الرأي أو الرئاسة في سبيل حصول التكامل والتعاون ضعف أو هزيمة:

ومــا ذاك إلا وهمٌ محضٌ من تزيين الشــيطان حتى لا تقوم لأهل الإســلام قائمة، وربما أتى الشيطانُ الدعاةَ والمصلحين من مدخل (أنتم أفضل من غيركــم، وأنتم أصحاب الصورة المثالية؛ فلا تســمحوا لهم أن يكون أحدهم فــي المقدمة... إلخ)، ومن ثَمَّ يصرُّون على مقاماتهم وصداراتهم على حساب مصلحة الأمة.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٨/ ٨٠، البيان: ٦/ ٢٧ عن الفرق بين النصيحة والتعيير.

وليــس أبلغ في الــرد على هذا الفكر الســقيم من تزكية الرسول ﷺ للحسن بن علي - رضي الله عنهما - بسبب تنازله عن مكانه مع فضله على من تنازل له، فقال ﷺ: «إن ابني هذا سيدٌ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[٣]، وقد حدث ذلك بتنازل الحســن عن الخلافــة لمعاوية - رضي الله عنهما - مع كونه أفضل من معاوية؛ طلباً لوحدة المســلمين وقوَّتهم، حتى ســمِّي ذلك العام بعام الجماعة؛ لاجتماع الناس بعد هذا الموقف العظيم من الحسن، رضي الله عنه:

لـيـس الـشـقـاءُ بـزائـلٍ عـن أمـة
حـتـى يـــزولَ تـفـرُّقٌ وتحـــزُّبُ

فهوِّن أخا الإســلام على نفســك، ولا تنظر للآخرين من الدعاة علــى أنهم هباءً لا فائدة لهــم، وأن الآمال معقودة بك دون غيــرك؛ فهذه هي النظرة العمياء التــي أضاعت التعاون في ما بيننا:

كــلٌّ يــؤيِّــد حــزبَــه وفـريـقَـه
ويــرى وجــودَ الآخــريــن فـضـولا

٤ السماع عن الآخرين أكثر من السماع منهم:

فمن العجب أن تجد داعيةً أو مصلحاً يرفض التعاون مع فلان من الدعاة بحجة أنه سمع أن به كيت وكيت، وربما كان فلان هذا في المنزل المجاور له فلا يفكر في السماع منه مباشــرة ويسمع من أناس في بلد آخر أو من صديق له في قارة أخرى، ثم يكون التراشــق عبر الإعلام؛ ولو كلف أحدُهما نفسَــه الانتقالَ لأمتارٍ والجلوسَ مع أخيه لقضي الأمر. أليس هذا السماع المباشر أَوْلى؟ أليس هذا هو التثبت والتحري الذي يميز أهل السُّنة والحديث؟ فما لنا عنه معرضون؟

إن أهــم خطوات التعاون أن يســمع بعضنا من بعض دون وســاطة، وأن يرى بعضنــا بعضاً في المجالــس لا من خلال الشاشات. وكم من مصالحَ تعطلت بسبب سماع الدعاة بعضهم عن بعض، بدلاً من سماع بعضهم من بعض.

٥ المسلَّمات أو الثوابت الوهمية التي يُنظَر من خلالها للآخرين على أنهم مبتدعة منحرفون يَحسُن الابتعادُ عنهم:

فالبعــض درج على اعتبار بعض الأمور من المســلَّمات؛

(٣) صحيح البخاري: ٣/ ١٨٦، حديث رقم (٢٧٠٤)

سواء في مسائل علمية ألحقوها بالعقيدة؛ أو في ممارسات وفروع عملية، ومن اعتقد رأياً جعل مخالفه مبتدعاً، أو مطعوناً في دينه؛ مع أنها أمور لم يقع فيها إجماع صريح، وكلها في محل الاجتهاد؛ وغاية الأمر أن يكون المخالف مخطئاً غير خارج عن عقيدة أهل السُّنة ومنهجهم، ولا يكون تبنِّيه لاجتهادٍ مخالفٍ مسوغاً لمنع التعاون معه أو التهكم عليه أو الاستهزاء به؛ بل التعاون في بعض الأمور مع العاصي والمبتدع جائز؛ فالكافر - مثلاً - يُدفَع بالمبتدع؛ ومن ثَمَّ وجب علينا الانضباط بالشرع وبما عليه أهل العلم: من إقامة العذر بيننا في مواطن الخلاف، ومن الامتناع عن تبديع كل من أخطأ في مسألة خطأً لم يخالف فيه إجماعاً لأهل السُّنة؛ لا سيما إذا كان متابعاً في ذلك لأحد أئمة الدين المعروفين بسلوك منهج السلف. وإذا لم تتسع صدورنا لذلك فسيخسر بعضنا بعضاً، وتنسد أبواب التعاون والتكامل في ما بيننا دون سببٍ مقبولٍ (شرعي أو عقلي). ونحن الآن في وقتٍ نقاتل فيه على أصول الدين وثوابت الملة وعلى هويتنا الإسلامية؛ وتعاوننا في قَدْرٍ مُجمَعٍ عليه ولا خلاف فيه. فلا يسوغ في هذا الحال التنطع في مسائل الخلاف وتمزيق الأمة بسببها.

٦ الركون للظالمين وتقديم الحصول على رضاهم وتزكيتهم على الحصول على رضا إخواننا والتعاون معهم:

وكم عانينا من هذه الآفة حيث نجد من يُفتَرَض أنه معك في الخندق نفسه يسارع في إرضاء بعض خصوم الدعوة بالقدح فيك وفي كثيرٍ من الدعاة والجماعات وبمقاطعتهم وعدم التعاون معهم، في الوقت الذي لا يستنكر فيه شيئاً على هؤلاء الخصوم.

إن خصوم الدعوة الإسلامية يحرصون على تقريب بعض الدعاة وإبعاد بعض؛ للتمكن من زرع العداوة بين الفريقين والتمكن من ضرب بعضهم ببعض. ولا شك أن الدعاة الصادقين حين يرون ارتماء الآخرين في أحضان الخصوم يزدادون نفوراً منهم، وتتسع الهوة، والله - جلَّ وعلا - حذَّرَ نبيَّه ﷺ وهو خير البرية من مجرد الاقتراب من الركون لأعداء دينه، فقال - تعالى -: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ۝٧٣ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ۝٧٤ إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٥]. وتأمَّل في قوله - تعالى -: ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ [الإسراء: ٧٣]؛ أي إنهم يريدون طبعةً جديدة للإسلام غير ما شرعه الله: (إسلام حضاري، إسلام مستنير، إسلام مرن، إسلام... إلخ) في حين أن سلفنا الصالح كانوا يرون التلون في الدين مِنْ شكٍّ القلوب في الله، وقال حذيفة لأبي مسعودٍ الأنصاري لما طلب منه الوصية: (إن الضلالة حق الضلالة: أن تعرف ما كنت تنكر، وأن تنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في الدين؛ فإن دين الله واحد). ثم تأمَّل في قوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾، ولم يقل لركنت، وكذا تأمل قوله: ﴿شَيْئاً قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٤]، ومع ذلك تأمَّل الوعيد بعدَه في قوله - تعالى -: ﴿إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾. [الإسراء: ٧٥]

وبعض الناس يغتر حين يعطيهم الخصم من القول معسولَه ويقابلهم بالبشاشة ويمدح دعوتهم واعتدالهم ويفتح لهم الأبواب ويقرِّبهم؛ فيعدُّ ذلك مكاسب وينسى قول الحق - تبارك وتعالى - لنبيه ﷺ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، وقوله - تعالى - ﴿وَإِذاً لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٣]، نعم! ستعطي وتأخذ؛ ولكن تكون قد وقعت في المحظور حين ترضيهم بالباطل. فعليكم بإخوانكم الصادقين وإن كان فيهم من النقص ما فيهم؛ ولا تُؤْثِروا عليهم المنحرفين والعَلمانيين مهما أبدوا لكم من معسول القول:

إخوانُكم لا شيء أغلى منهُمُ
لا شيء يعدلهم من الأشياءُ

وإذا راعينا هذه الأمور، واتقينا تلك المزالق، وتجاوزنا تلك المعوقات؛ فسنحقق نجاحاً عظيماً في طريق التعاون المثمر البنَّاء.

وعسى الذي أهدى ليوسف أهلَه
وأعزَّه في السجن وهو أسيرُ
أن يستجيبَ لنا ويجمع شملَنا
والله ربُّ العالمين قديرُ

هذا، والله - تعالى - أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدولة الدينية والدولة المدنية

أ. د. جعفر شيخ إدريس
jsidris@gmail.com

طبيعة الدولة الدينية تعتمد على نوع الدين التي هي منسوبة إليه، وعلى هذا تعتمد الإجابة عن كونها يمكن أن تكون إسلامية أو غير إسلامية. وأنواع الدين الذي يمكن أن تُنْسَب إليه الدولة هي أربعة على الأقل.

الدين بالمعنى العربي الواسع:

الدين بهذا المعنى هو كل ما يكون عادة مستمرة، وبهذا المعنى جاء قول الشاعر عن نفسه وعن ناقته:

تقولُ إذا دَرَأْتُ لها وَضِيني:
أهذا دينُهُ أبداً وديني؟
أكُلَّ الدَّهرِ حلٌّ وارتحالٌ
أما يُبقِي عليَّ ولا يقيني؟

وكما تكون العادة المستمرة لفرد - كما في هذا المثال - فإنها تكون أيضاً لجماعة. قال - تعالى - عن نبي الله يوسف - عليه السلام -: ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ [يوسف: ٧٦]. وديـن الملك هنا: هو نظامه والقوانين التي تسير عليها دولته، والتي لم يكن ليوسف أن يأخذ أخاه بمقتضاها. ولكن بما أن كلَّ دولة بل كلَّ جماعة متعايشة لا بد لها من قوانين أو تقاليد أو أعراف تسير عليها، فكل دولة هي بالضرورة دينية بهذا المعنى العربي الواسع للكلمة. فالدولة الديمقراطية دينية، والدكتاتورية دينية، وكذلك الشيوعية أو العَلمانية، وهكذا.

المفهوم العلماني للدين:

الدين بهذا المعنى هو أمر محصور في الشؤون الخاصة ولا سيما العبادات، وعليه فلا يمكن أن تكون الدولة دينية بهذا المعنى. لكن بعض العَلمانيين في البلاد العربية يفترضون أن هذا المفهوم العَلماني للدين هو المفهوم الوحيد له. ولذلك ترى بعضَهم يعترض على مادة الدستور المصري التي تقرر بأن دين الدولة الرسمي هو الإسلام بحجة أن الدولة ليس لها دين لأن الدين إنما يكون للأفراد.

المعنى الثيوقراطي للدولة الدينية:

تكون الدولة دينية بهذا المعنى الغربي إذا كان حاكمها أو حكامها يزعمون أنهم يصدرون في كل ما يقولون ويفعلون عن وحي من الله - تعالى - إليهم مباشرة. ولذلك لا يمكن مناقشتهم أو محاسبتهم. والذي يدَّعي مثل هذه الدعوى لا يُشتَرَط فيه أن يكون رَجُلَ دين بالمعنى المعروف في الغرب؛ فقد ثبت عن الرئيس بوش - مثلاً - أنه كان يدَّعي مثل هذه الدعاوى. وبالرغم من أنه كان يتصرف على أساس

هذه الدعاوى في حدود السلطات التي يتيحها له الدستور الأمريكي؛ إلا أن بعض المفكرين الغربيين وصفوا حكمه بالثيوقراطي وأطلقوا عليه اسم الثيوقراطية الأمريكية.

هذا هو المعنى الأساس للحكم الثيوقراطي؛ لكن بعض الناس في بلادنا صاروا يعرِّفونه بأنه حكم رجال الدين ويجعلون رجل الدين هو الذي تخرَّج في مؤسسات تعليمية دينية، وهذا ليس بصحيح؛ لأن الشخص يمكن أن يدرس مثل هذه الدراسة ثم يكون مع هذا رجلاً عَلمانياً، ولأن آخرَ يمكن أن يتخرج في جامعات غير دينية لكنه يكون مع ذلك مؤمناً بالثيوقرطية كما كان بوش.

وإذا كان بعض الناس قد عرفوا الدولة الدينية بنوع الدراسة التي يتلقاها الحاكم، فقد صار الساسة الغربيون الآن يوسعون معناها لتشمل كل دولة تنتسب إلى الدين حتى لو لم تكن ثيوقراطية.

المفهوم الإسلامي للدولة الدينية.

الإسلام دين بالمعنى العربي العام وبالمعنى الشائع الآن. وفيه أمر بالحكم بما أنزل الله – تعالى – في كل شؤون الحياة؛ بما في ذلك في الأمور المتعلقة بالدولة من نظام حكم وقضاء وسياسات وغير ذلك. فالدولة الإسلامية هي إذن بالضرورة دولة دينية؛ لكنها ليست دولة ثيوقراطية لأن الحاكم فيها لا يحكم فيها بأوامر أو أخبار يتلقَّاها من الله – تعالى – مباشرة؛ وإنما يحكم بنصوص مكتوبة يستوي هو وغيره في إمكان معرفتها؛ ولذلك يمكن أن يحاسَب ويمكن للناس أن يختلفوا معه. وهو في هذا يشبه الحاكم في الدولة التي تسمى بالمدنية؛ لأن هذا الأخير إنما يحكم في إطار قوانين يستوي هو وغيره في معرفتها، وفي إطار صلاحيات حُدِّدَت له.

ربما كان هذا الذي ذكرناه هو السبب في قول بعض الإسلاميين في أيامنا هذه بأن الدولة الإسلامية ليست دولة دينية بمعنى؛ وإنما هي دولة مدنية. لكن الكلام بهذا الإطلاق ليس صحيحاً؛ بل ربما كان فيه عدم بيان لمعنى الدولة المسلمة. لذلك كان من الأحسن أن يوضَّح هذا الأمر حتى لا يكون مثار خلاف لا داعي له بين الإسلاميين؛ يجب أن يوضَّح بأن الدولة الإسلامية ليست دينية بالمعنى الثيوقراطي للدولة الدينية، بل ربما كان من الأحسن أن تُستعمَل هذه الكلمة الغربية التي لا مقابل لها في ما أعلم في اللغة العربية. وربما كان من الأحسن أيضاً أن يبيِّن معنى كونها دولة مدنية.

إن إطلاق القول بأن الدولة الإسلامية ليست دينية جعل بعض الإسلاميين المصريين يتناقضون؛ لأنهم في الوقت الذي يؤكدون هذا يستمسكون استمساكاً شديداً بالمادة التي تقول: إن دين الدولة الرسمي هو الإسلام.

في حوار مع البيان

د. أيمن ضراغمة: المصالحة همٌّ فلسطينيٌّ كبيرٌ والمجلس التشريعي لعب دوراً هاماً في تحقيقها

رام الله – نائل نخلة

لا يبدو أن الانتظار سيكون طويلاً لعودة الحقوق إلى أصحابها بعد أن بدأ ربيع زاهٍ ينثر وروده في بلدان عربية عانت القمع والاستبداد طويلاً، وكذلك هي فلسطين التي ترقب بعين الأمل ماذا سوف يحدث في المستقبل القريب بعد أن بدأت الثورات العربية تستعيد جزءاً من كرامةٍ مفقودة؛ فهل هي بداية العودة للطريق الصحيح كما يرينا الواقع؟

الدكتور أيمن حسين ضراغمة عضو المجلس التشريعي الفلسطيني عن كتلة حركة حماس البرلمانية في الضفة الغربية لديه آمال كبيرة يعلقها على الثورة العربية؛ ففي نظره هي بداية نهاية ما يسمى بـ «إسرائيل».

لدى هذا الرجل سيرة عطرة في مقارعة الاحتلال؛ فعند الشدائد - كما يقال - تُعرَف معادن الرجال، ولد في مدينة طوباس عام ١٩٦٣م، وهو متزوج وأب لثلاث بنات، وكان أحد أعضاء المجلس البلدي في مدينة طوباس، أكمل تعليمه في الهند عام ١٩٨٣م؛ حيث التحق بجامعة «اليجار» الإسلامية، وحصل منها على شهادة الماجستير في الكيمياء عام ١٩٨٨م، ثم انتقل للدراسة في جامعة دلهي وحصل منها على شهادة الدكتوراه في الكيمياء عام ١٩٩٢م، ومنذ ذالك الحين وهو ناشط في العمل الإسلامي في فلسطين، اعتقل على يد قوات الاحتلال عدة مرات كان آخرها بعد فوزه في عضوية المجلس التشريعي الفلسطيني عام ٢٠٠٦م.

خلال حوار أجرته معه مجلة البيان يقول الدكتور ضراغمة: إن الثورات العربية كانت بمثابة البلسم الذي لامس آلام الشعوب، وتحقيق المصالحة الفلسطينية كانت أُولَى نتائجها المثمرة. ويذكر أيضاً أن الانقسام الفلسطيني كان عبئاً على القضية؛ لذلك كان ورقة رابحة للعدو الصهيوني. وأشار عضو المجلس التشريعي الفلسطيني إلى أن الثورة العربية منحت الأمة ثوباً جديداً مع بداية هذه الألفية للعبور إلى مستقبل أفضل بدأت علاماته من خلال التغيير الملموس في مواقف الدول الأوروبية اتجاه قضايا الأمة الإسلامية. وتحدث ضراغمة عن تفاؤله بشأن تحقيق المصالحة خلال الحوار التالي:

البيان: ما هو دور كتلتَي حماس وفتح في المجلس التشريعي الفلسطيني في إنجاح المصالحة؟

الدكتور ضراغمة: المصالحة هي همٌّ فلسطيني كبير، وتحقيق ذلك كان يلزم مشاركة جميع أطياف الشعب الفلسطيني فيه. والمجلس التشريعي – بشكل خاص – بذل دوراً هاماً منذ بداية الانقسام لتوحيد الصف الفلسطيني؛ سواء كان ذلك من خلال المشاركة في حوارات الفصائل الفلسطينية أو رعاية الحوار الذي أدى إلى الوصول لوثيقة الوفاق الوطني على أرضية وثيقة الأسرى عام ٢٠٠٦م، وهي التي تعتبَر وثيقة القواسم المشتركة؛ وخاصة في جانبها السياسي. كذلك قام أعضاء المجلس بشكل شخصي وجماعي بتأكيد مشروع المصالحة في جميع المناسبات واللقاءات، ومن على جميع المنابر والشاشات ووسائل الإعلام المتعددة.

البيان: هل تعتقد أن مجرد توقيع الاتفاق كفيل بنجاحه، أم أن هناك شيئاً مختلفاً هذه المرة؟

الدكتور ضراغمة: أنا متفائل بحذر بخصوص الاتفاق، ومتفائل بيقين بالمستقبل؛ وخاصة أن الأجواء الإيجابية بدأت تظهر مع ما يحدث في عالمنا العربي من حَراك شعبي وثورة جماهيرية تريد أن تغير الواقع، وتمضي في الألفية الثانية بثوب جديد وعزيمة وتوكُّل على الله، هذا أحد الأسباب. وأمر آخر: هو أن الجميع يدرك أنه لا مناص من المصالحة، وقد جربنا الانقسام والخلاف ولم نفلح، وثالثاً: السياسات الدولية بدأت تتغير - ولو ببطء - تجاه العالم العربي والإسلامي.

والجديد أن هذا الاتفاق جاءَ بعد تجربة مريرة، وهناك تغيُّر في الواقع العربي الذي يشكل عمقاً وامتداداً لآمال وطموحات شعبنا، ونحن نتطلع لدور هام وفاعل للأخوة العرب (شعوباً، وحكاماً، وأحزاباً)، إن الواقع العربي يتجه نحو التغير الإيجابي، وعندما تتاح الفرصة للشعوب لتحكم من خلال عملية ديمقراطية؛ فإنها ستكون منحازة للمشروع الفلسطيني وتتبنى آمالنا وتشاركنا آلامنا وهمومنا، ويقف العرب معنا في السراء والضراء.

وأيضاً هناك إجماع وإصرار لدى جميع الأطراف لإنجاح الاتفاق؛ ولكن لا بد من موقف جماهيري يحمي المصالحة، كما أن هذا الاتفاق أمانة في أعناق القيادات الفلسطينية، والمصرية خصوصاً، والعربية عموماً.

البيان: كيف ساهمت الثورات العربية في إنهاء الانقسام؟

الدكتور ضراغمة: الثورات العربية كانت بمثابة البلسم الذي لامس آلام شعبنا، الذي يتطلع لنصير وموقف ودور عربي ريادي؛ لذا فنحن مستبشرون، وقد لمسنا أُولَى ثمرات هذا التغير بإنجاح الحوار والوصول إلى اتفاق، بعد تغيُّر الحال في مصر، كما أن الفلسطينيين شعروا بالحرج أمام إخوانهم العرب والعالم.

البيان: هل الثورة السورية ضغطت باتجاه تغيير حماس لموقفها من المصالحة؟

الدكتور ضراغمة: كما هو معلوم فإن سوريا احتضنت قيادات حماس وغيرها من الفصائل، وحماس - كما أعلم - لا تتدخل في شؤون الدول العربية ولا غير العربية وهذه سياسة أكدت عليها حماس مراراً، وترى أن المصلحة الوطنية تتطلب الاستفادة من كل الجهود، ومن كل قوى الدعم في كسب القوة أمام المشروع الصهيوني المتسلح بدعم أمريكي ودولي؛ ولذا فإننا نتمنى لسوريا الأمن والاستقرار والوصول إلى ما يحقق آمال ومصالح شعبها.

البيان: إذا قسنا بموازين الربح والخسارة: أين ربحت حماس وأين خسرت أيضا في هذه المصالحة؟

الدكتور ضراغمة: ربح الشعب الفلسطيني وربحت حماس وخسر الاحتلال. إن المشروع الفصائلي أيّاً كان فإن هدفه المعلَن عنه: هو تحقيق حلم الشعب الفلسطيني بالتخلص من الاحتلال، ووحدة شعبنا وقواه من أُسس إدارة الصراع بنجاح؛ ولذا فإن الأمر الطبيعي هو الوحدة، والشراكة والعمل المشترك، ولا يمكن لفصيل أن يحقق أهدافه بعيداً عن الأهداف الوطنية.

البيان: الملف الأمني في اتفاق مكة كان الصاعق الذي نسف الاتفاق؛ فهل برأيك تجاوز الطرفان «حماس وفتح» خلافاتهما في هذا الملف حتى نضمن نجاحه؟

الدكتور ضراغمة: لا زلنا في مرحلة البدء، وملف الأمن من أصعب الملفات لتعقيداته الناتجة عن الاحتلال، والاتفاقيات التي أُبرمَت معه، وإصراره على إفشال بناء مؤسسات الدولة والعمل على كل ما يضعف قوة شعبنا؛ ولذا المعالجة الحذرة والواعية لهذا الملف هامة، ولا بد من الاستعانة بجهود الأشقاء العرب في هذا المجال، والالتزام بتنفيذ ما تم التوافق عليه وعدم التراجع.

البيان: ما هي أبرز القضايا التي من الممكن أن تُفشِل هذا الاتفاق؟

الدكتور ضراغمة: إذا كان هناك إصرار على النجاح فلن يقف أي ملف عائقاً أمام الإرادة الصادقة الواعية؛ ولذا لنحرص على العمل بروح الفريق؛ وخاصة في المؤسسات وَفْقاً للقوانين والاتفاقات، وأن لا نسمح للخلافات بأن تتراكم وتشكِّل عائقاً، وأن نعالج كل مشكلة في الوقت المناسب حتى لا تتطور الأزمة، وتفجِّر الاتفاق.

إن الملف الأمني ملف حساس وفيه مداخل وثغرات تسمح لمن يريد اللعب في الساحة الفلسطينية بالاندساس والدخول من خلاله؛ وخاصة أن الملف الأمني تأثيره سريع وشائك ومباشر على الجمهور.

كذلك في ما يخص العلاقة بين المرجعية القيادية المتفق عليها واللجنة التنفيذية بحاجة لتوضيح أيضاً حتى لا يحدث تنازع حول الصلاحيات والأدوار، وكذلك المشروع السياسي (مفاوضات أو وقف المفاوضات)، يمكن أن يُحدِث جدلاً عينفاً في أروقة المؤسسات الفلسطينية مثل المجلس الوطني الفلسطيني المنتخب، لكن مهمٌ أن نطبِّق فلسفة الديمقراطية بكامل مستحقاتها.

البيان: الاعتقال السياسي ملف شائك، هل تعتقد أنه سيسهم في نجاح آو فشل اتفاق المصالحة؟

الدكتور ضراغمة: هذا الملف أحد ملفات الخلاف، وهو نتاج اتفاقيات السلطة مع الاحتلال أولاً، والانقسام وفَّر الذرائع لهذه المخالفات. نعم، النجاح في بنود الاتفاق: خطوة خطوة وبنداً بنداً كفيل بوقف هذه الانتهاكات وغيرها.

البيان: هل وضع الاتفاق حلولاً لمسألة التعاون الأمني بين أجهزة السلطة الفلسطينية والجيش الصهيوني؟

الدكتور ضراغمة: حتى الآن لم يتم التطرق للتفاصيل، لقد تم تشكيل لجنة أمنية عُليا ستنظر في الملف الأمني؛ لكن هناك في النصوص الفلسطينية ما يحرِّم التنسيق الأمني، ويجرم التعاون مع العدو.

البيان: هل تتوقع أن يكون هناك بنود سرية في اتفاق المصالحة لم تعلنها حماس وفتح؟

الدكتور ضراغمة: حسب ما هو معلَن لا يوجد، ولا أعلم عن بنود سرية.

البيان: كيف سيكون الدور المصري في المرحلة المقبلة؟ هل سيكون محايداً، أم سيتدخل في حال وجود خلافات؟

الدكتور ضراغمة: مصر والعرب قاموا برعاية هذا الاتفاق، والقاهرة بحُلتها الجديدة أهل لأن ترعى الاتفاق وتتابع الالتزام بتطبيق بنوده. إن نجاح المصالحة، مصلحة فلسطينية ومصرية وعربية؛ لذا إذا حدث خلاف، فسيكون الحل بتدخُّل الأشقاء العرب والمصريين والغيورين من الدول، مثل تركيا وغيرها.

البيان: هل عالج الاتفاق معضلة الاختلاف القائم بين الطرفين في موضوع البرنامج السياسي؟

الدكتور ضراغمة: لقد وقَّع الجميع على وثيقة الوفاق الوطني «وثيقة الأسرى» التي رسمت إطاراً للبرنامج السياسي يقوم على أساس القواسم المشتركة في حدودها الدنيا، وكذلك سيمثل تشكيل «المرجعية العليا» مخرجاً لدراسة آفاق العمل الوطني المشترك وسُبل التوافق على برنامج مرحلي بعد فشل برنامج المفاوضات ووصولها لطريق مغلق.

البيان: هل سينجح القائمون على تنفيذ اتفاق المصالحة بحل التناقض الصارخ بين التزامات السلطة في رام الله بمحاربة «الإرهاب» وتفكيك البُنى التحتية «للإرهاب» كما نصت عليه خريطة الطريق، وبين حق المقاومة وإنهاء الاعتقال السياسي وإعادة فتح الجمعيات والمؤسسات المغلقة؟

الدكتور ضراغمة: هذه من القضايا الشائكة والمعقدة التي تحتاج إلى إحداث اختراق، وهذا ربما يحتاج لمزيد من الوقت حتى يتضاءل أمام إحداث تقدُّم في قضايا وطنية هامة مثل إعادة إصلاح (منظمة التحرير الفلسطينية) وإجراء الانتخابات، والتقدم بنجاح في تبنِّي مشروع وطني يقوم على الثوابت الوطنية المتفق عليها.

الرأي العام الفلسطيني أصبح مقتنعاً بعدم جدوى المفاوضات ووقف التعامل مع الاحتلال وَفْقَ خريطة الطريق؛ لأنه يتناقض مع المبادئ والقيم الوطنية التي يريد الاحتلال من خلالها تحقيق أهدافه الأمنية بأيدٍ فلسطينية على حساب حقوقنا.

البيان: هل تعتقد أن الحكومة الصهيونية قادرة على إفشال اتفاق المصالحة؟ وكيف سيواجه الفلسطينيون مخططات صهيونية مثل هذه؟

الدكتور ضراغمة: أكثر المستفيدين من الانقسام كان الكيان الصهيوني؛ لأن سياسة فرق تسد لامست حاجاتهم وعقليتهم الاستعمارية الاحتلالية في إضعاف الجبهة الوطنية الفلسطينية، والسيطرة والتمكُّن والتحكم والاستغلال؛ كل ذلك توافق مع إجراءات احتلالية على الأرض، مرفقة بحملة إعلامية ودبلوماسية لتبرير سياساتها؛ ولذا كان للاتفاق ردَّات فعل مباشرة ظهرت في تصريحات نتنياهو وليبرمان وغيرهما، وقد تعوَّدنا أن تكون ردَّة الفعل الصهيوني دائماً بما يتناقض مع المصالح الفلسطينية، فطبعاً يجب أن نكون حذرين جداً من مخططات الاحتلال، والالتزام بمقررات الاتفاق وتطبيقها بشكل أكبر سياج لحمايتها وضمان نجاحها.

البيان: هل تستبعد أن تكون قضية عدم صرف رواتب الموظفين مرتبطةً بأطراف فلسطينية داخلية غير راضية عن الاتفاق، أم أن المسألة متعلقة فقط بالحكومة الصهيونية؟

الدكتور ضراغمة: وضع السلطة المالي يعاني من عجز منذ زمن طويل زيادة على مشاكل في الصرف، ومحاصرة مكونات الاقتصاد الوطني وعجزها ومعاناتها من آثار الاحتلال؛ لذا فإن أحد أسباب مشكلة السلطة ارتباطها مالياً بالمساعدات، والدكتور سلام فياض صرح بنفسه في لقائه بالصحفيين بأن هناك ديوناً للبنوك تصل إلى ٨٩٠ مليون دولار وأكد أن مجموع الديون قد يصل إلى ٣ مليار دولار بشكل إجمالي، لكن السؤال الذي يدور في الشارع وهو سؤال مشروع وبحاجة لإجابة من د. سلام فياض: لماذا الآن فقط ظهرت مشكلة الرواتب.

البيان: هل سيمنح نواب التغير والإصلاح الثقة للحكومة القادمة؛ حتى لو كان على رأسها سلام فياض؟

الدكتور ضراغمة: أنا شخصياً انتظر تشكيل الحكومة وبناء على برنامجها وشخوصها سأحدد موقفي بما فيه مصلحة الشعب الفلسطيني وتطلعاته.

البيان: نص اتفاق المصالحة على عودة تفعيل المجلس التشريعي بحسب القانون، متى سيبدأ المجلس العمل؟ وكيف سيساهم في تعزيز المصالحة بحسب ما صرح به رئيس المجلس (الدكتور عزيز دويك)؟

الدكتور ضراغمة: نحن ننتظر التئام اللجان المكلفة بمناقشة الملفات ومن ضمنها تشكيل الحكومة، ولحل تعطيل المجلس التشريعي، وعندما نبدأ وتتاح لنا الفرصة الكافية للقيام بدورنا التشريعي والرقابي فسيكون انعكاس ذلك واضحاً ومباشراً على الحياة السياسية والحياتية للمواطن.

البيان: إذا منعت الحكومة الصهيونية السلطة تنظيم انتخابات رئاسية وتشريعية في القدس والمناطق الخاضعة لسيطرتها في الضفة الغربية، فهل من الممكن تأجيل الانتخابات؟

الدكتور ضراغمة: هذا سيكون مسؤولية المؤسسات الرسمية الفلسطينية؛ (المرجعية القيادية، المجلس التشريعي، الفصائل) من خلال مناقشة الوضع والوصول لرؤيا مستقبلية.

البيان: في حال لجأت الحكومة الصهيونية إلى اعتقال نواب المجلس التشريعي لتعطيل الأغلبية البرلمانية، كيف ستواجهون ذلك؟

الدكتور ضراغمة: هذه السياسة لم تتوقف، ولا زال هناك ١٤ نائباً في السجن، عشرة منهم أُعيد اعتقالهم وتم تحويلهم للاعتقال الإداري، فمعضلتنا أن كل ما نتكلم عنه: من (سلطة، وتشريعي، وحكومة) يعيش تحت الاحتلال، ويتعرض لممارساته. وبخصوص غياب أعضاء المجلس المنتخبين في سجون الاحتلال، فإن المجلس عند انعقاده سيناقش الطريقة الصحيحة لحفظ حقوقهم ودورهم، وقطع الطريق على الاحتلال ألا يحقق أحد أهدافه؛ وهو حجب صوت النائب من خلال اعتقاله، وتعطيل دوره، وهذا منوط بالتوافق حول الآلية الممكنة تشريعياً؛ حيث الوضعُ الفلسطينيُّ له خصوصية تحتاج لابتكار وإبداع حلول مناسبة لمعالجة مثل هذه الانتهاكات.

وجهي القديم

د. وليـــد قصـــــاب
dr.kassab46@gmail.com

ساهرٌ ذات مساءٍ
والدُّنا حولي رقودُ
والفضاء الرحبُ شِعرٌ
يزدهي فيه القصيدُ
أترَعَت روحي صفاءً
شفَّ من حَولي الوُجودُ
زارَني وَجهٌ حييٌّ
ناضِرٌ، سَمحٌ، ودود
ناصعُ الجبهة بدرٌ
ثغرُهُ دُرُّ نضيدٌ
حَقل عينيه خصيبٌ
ضحِكتْ فيهِ الوُرودُ
قال لي: تعرفُني أم...؟
قلتُ وجهٌ
ليس هذا الوجهُ عني بالغريب
إنّ فيه شَبَهاً فيَّ
شبَهاً جدُّ قريب
نحن لا شكَّ التقينا؟
قال: مهلاً
إنني وجهٌ قديمُ
بيننا قد كان يوماً
ذلك الودُّ الحميمُ
لم تكنْ تعرفُ غيري
لم تكن غيري تروم

قد تحادَثنا طويلاً
وتعاتبنا سنينا
ثم شرَّقتَ شمالاً
ثم غرَّبت يمينا
رُحتَ تنسى عهدنا
وغدا وجهي هجينا
قلتُ: عُذراً
إن طول العهد يُنسي
أين - يا هذا - التقينا؟
قال: إني... إننا
ذات يومٍ كُنتَ أنا
كنتَ مثلي
كان يغشاك السَّنا
كُنتَ نبعاً من صفاءِ
كنتَ نهراً من وفاءِ
كنتَ معطاءً بما تجني اليمينْ
كنت حقل المتعبين
مرَّ عهدٌ
غاب وجه الأمس في قلب السنينْ
نزلتْ من قلبك الدنيا
نزولَ العاشقين
أصبحَ الدربُ بعيداً بيننا
لمْ تعدْ أنتَ - كما كُنتَ - أنا

السلفيون وآفاق المستقبل

عقدة (الخوف من الإسلام) عقدة فكرية مزمنة أثَّرت في صياغة الموقف الغربي تجاه العالم الإسلامي، وجعلته يتعامل معه بموازين وقيم متناقضة ومضطربة. وانتقلت هذه العدوى بصورة متلازمة مَرَضية إلى الأحزاب، والاتجاهات الليبرالية والعَلمانية في عالمنا العربي خصوصاً، وأصبحتْ تقرأ الواقع الإسلامي بتشنج شديد طغى على الموضوعية والإنصاف.

هذه (العقدة المتلازمة) أخذت أشكالاً وشعارات متعددة، تبرز تارة باسم (الإخوان المسلمون)، وتارة أخرى باسم (السلفية)... وهكذا، والمحصلة واحدة لم تتغير؛ وهي الخوف من تصاعد المد الإسلامي في الشارع العربي؛ وخاصة بعد الثورات العربية.

إنَّ هذه المرحلة تتطلب أفقاً واسعاً من السلفيين وبقية إخوانهم من الدعاة والمصلحين، يستوعب المتغيرات الإقليمية، ويدرك أبعاد الحملة السياسية والإعلامية، وينطلق بخطاب دعوي أصيل يعتز بثوابت الشريعة ويعض عليها بالنواجذ، ويستدرك ما يمكن استدراكه لتصحيح المسيرة وتجديد الخطاب الدعوي.

ومجلة البيان إذ تقتح هذا الملف، تدرك صعوبة استيعاب كافة أبوابه في ملف واحد، لكننا نرحب بتعليقات القراء، وإثرائهم لبقية الأبواب[1].

(١) سبق للمجلة أن نشرت ملفاً خاصاً عن الحملة على التيار السلفي بعنوان: (السلفية بين الدعاة والعداة)، العدد رقم (221).

السلفية... منهج، أم جماعة؟

فهد بن صالح العجلان
Fsalehajlan@hotmail.com

تشهد الساحة الإعلامية هذه الأيام هجوماً عنيفاً ومتلاحقاً ضدَّ السلفية في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، في ظاهرة ملفتة أثارت انتباه المتابعين لبدء حلول موسم الهجوم على السلفية، والحقيقة: أن الهجوم على السلفية متواصل أبداً لا يتوقف صريره، يشتعل في أوقات ويخفت لهبه في أُخَر؛ فليس ثَمَّ موسم للطعن في السلفية؛ لأنه غذاء يومي لكثير من الحانقين والخائفين من الخيار الإسلامي.

هل السلفية منهج، أم جماعة وحزب معين؟

أكثرية المشاركين في إشعال الحرائق ضد السلفية لا يميزون بين الأمرين؛ لأن لديهم خصومةً عميقةً مع المنهج الإسلامي عموماً، ومن ثَـمَّ فلا أثر لهذا التمييز لديهم لأن النقد متَّجه بشكل أساسي إلى المنهج الإسلامي.

السلفية: هي منهجٌ في طريق السير على هدي الإسلام: فحين تتفاوت الأفهام في تفسير الإسلام ومعرفة أحكامه وتحديد المنهجية الصحيحة فيه تأتي السلفية معتمدة على منهج السلف الصالح: من الصحابة والتابعين وتابعيهم؛ فهم خير هذه الأمة، وأزكاها ديناً، وأعلاها مقاماً، وأعمقها فهماً، وأعلمها بما كان عليه النبي ﷺ؛ فمن اجتهد في سلوك طريقهم فهو سلفي أيّاً ما كانت الجماعة التي ينتمي إليها.

يرتكز قوام السلفية على احترام هذا الجيل الإسلامي الفريد والاقتداء به، وتربية النفس والأجيال على تقديرهم وبيان فضلهم؛ ليس تنزيهاً لهم عن الخطأ؛ بل استهداء بفهمهم وسيرٌ على خطاهم.

تسير السلفية على خطا هؤلاء الأسلاف في ما أجمعوا عليه، وعلى اتِّباع منهجيتهم في التلقي ومصادر الاستدلال وكيفيته، وفي مسالك التعبد والأخلاق؛ فهم أَوْلى الناس بالحق فلن يخرج الحق عن قولهم إن أجمعوا، ولا عن أقوالهم إن اختلفوا.

تعظِّم السلفية من شأن النص الشرعي - كتاباً وسُنة

صحيحـــة – وتجعله هو الأصل الذي تعتمده وتســـتهدي به، لا تردُّ أي نـــص صحيح لذوق أو هـــوى أو معقول، ولا تضع أمامه عراقيل القيود والشروط؛ بل تنقاد إليه وتسلِّم له حين يتبين أنه مراد الله ومراد رسوله ﷺ؛ فالنص هادٍ ودليلٌ تتَّبعه النفوس، وليس تابعاً ومنقاداً يســـير خلـــف ما تريد النفوس والقراءات المختلفة منه.

تؤمن السـلفية بشمولية الإسلام في العبادات والأخلاق والمعاملات وشـــؤون الحياة كلها؛ شمولاً يضم الفرد والمجتمع، الحاكم والمحكوم والحُكْم، والدنيا والآخرة، والمصالح العاجلة والآجلة، في رؤية متكاملة لِـمَا يُسعِد المسلم في دينه ودنياه.

تشـهر السلفية بوضوح تام ضرورة إخلاص العبادة لله – تعالـــى – وأولوية تطهير النفوس من الخرافات والمعتقدات الفاســـدة والبدع المحدثة؛ التي تخالف ما كان عليه الصحابة وتابعوهم.

هذه هي الأصول العامة للسلفية؛ فهي منهج ورؤية؛ من التزم بها ودعا إليها واجتهد في تحقيقها فهو ســـلفي أيّاً ما كان، ومع أي جماعة سياسية سلك. ومن خالف أصولها خرج عن السلفية.

إذن: ما معنى أن تكون السلفية منهجاً لا جماعة؟

١ – أنـــه ليس ثَمَّ ناطق أو ممثل للســـلفية يعبِّر عن رأيها ومنهجها؛ بحيث يكون من خالفه فهو مخالف للســـلفية ومن وافقه فهو موافق للســـلفية، لا يوجد شـــخص ولا جماعة ولا حزب كذلك؛ فهي منهجية استدلال تحاكم الأفراد والجماعات ولا تحاكَم هي إلى أحد، فليس ثم جماعة تمثل السلفية؛ وإنما يوجد أفراد وجماعات ينتسبون إلى السلفية ويسعون لتحقيق منهج الســـلف؛ فلا يمكن اختزال السلفية في جماعة محددة ولا في قضايا معيَّنة. وهذا ما يفســـر لك التباين الشديد بين الجماعات المنتسبة إلى الســـلفية في كثير من الوقائع؛ حتى إنك لتجد التعامل مع الأنظمة السياسية المعاصرة يختلف من أقصى اليمين إلى أقصى الشـــمال في رؤية بعض الجماعات التي تنتســـب إلى الســـلفية؛ فهذا التنافـــر التام والاختلاف الجذري يثبت أن الســـلفية ليست جماعة محددة؛ وإنما منهج ورؤية قد يُحسِـــن المسلم تطبيقها وقد يسيء فهمها فيقع في الخطأ والانحراف.

٢ – أن مجرد الانتســـاب إلى السلفية لا يكفي لأن يكون الشخص سلفياً، وكون الشخص لا يتسمى بالسلفية لا يخرجه ذلك عن الســـلفية؛ لأنها ليست جماعة تقتصر على أفرادها المنتسبين إليها؛ يكتفي الشـــخص بمجرد الانتساب إليها؛ بل هي منهج ورؤية تقوم على اقتناع بضرورة معرفة وتطبيق منهج الصحابة ومن جاء بعدهم من الأئمة والعلماء الكبار.

٣ – أن وقـــوع بعض المنتســـبين إلى الســـلفية في بعض الأخطاء لا يجوز أن يُنسَب إلى السلفية؛ وإنما تُنسَب الأقوال والأفعـــال إلى قائلها أو إلى الجماعة التـــي تقررها، وحينئذٍ فالنقد الإعلامي الذي يوجَّه إلى الســـلفية بشكل عام هو نقد مأزوم غير موضوعي؛ لأن الناقد يقصد شخصاً معيَّناً أو فئة محددة، ويتكلم بخطاب عام، ثم يكرر في كل مرة اعتذاره أنه لا يقصد الجميع؛ وإنما يقصد بعضهم. وســـبب الخلط نشأ لديه من عدم تمييزه من كون السلفية منهجاً لا جماعةً.

٤ – أن الســـلفية لا تعني الاتفاق على المســـائل الفقهية الخلافية أو المواقف السياســـية المبنيـــة على تقدير المصالح والمفاســـد؛ فاتفاقهم على الأصل الكلي والمنهج العام لا يؤدي بالضرورة إلى اتفاقهم في الفروع والتفاصيل، وقد كان السلف الصالـــح يختلفون كثيراً في المســـائل الفقهية وفي تقديرهم للمصالح والمفاســـد، ولم يكن هذا سبباً للطعن في أحد منهم ما دام أنه مستمســـك بالأصول والمنهـــج الكلي، بل هذا دليل على ثراء المنهج السلفي وتنوعه.

٥ – أن الأخطـــاء التي يقع فيها الشـــخص لا تخرجه عن الســـلفية ما دام أنه ملتزم بها ومستمســـك بأصولها ومجتهد في تطبيقها ومراعاتهـــا في الواقع، اللهم إلا أن يخالف أصلاً كليّاً من أصول السُّـــنة، أو تكثـــر مخالفته وتطَّرد في عدد من القضايا الجزئية مما يصل لحد الانحراف في الأصل الكلي[1]، مـــع أهمية التأكيد على أن هذا حكـــم على الوصف لا العين؛ إذ في الحكم على أعيان الأشـــخاص من الضوابط ما يقتضي شديد التورع والاحتياط فيه.

٦ – وكـــون الســـلفية منهجاً لا جماعة يعنـــي بداهة أن المنتسبين للســـلفية هم قِطَاع واســـع جداً من العالم العربي

(١) انظر: الاعتصام للإمام الشاطبي: ٣/ ١٤٠.

والإســـلامي، بل هم الأصل في عموم المسلمين؛ فالأصل في المسلم أن يتبع الدليل ويســـير خلفه بمنهجية فهم الصحابة، ومن شذَّ عنه فهو المخالف؛ فالســـلفية هي القاعدة والأصل وليس الاســـتثناء؛ فمحاولة تقزيمها فـــي جماعة محددة أو اختزالها في قضايا معيَّنة هو جهل من بعض الناس أو أسلوب ماكر من بعض المنحرفين لمآرب لا تخفى.

٧ – وكـــون الســـلفية منهجاً لا جماعـــة لا يعني أنه كل الاجتهادات والتفســـيرات مقبولة ومعتبرة في المنهج السلفي؛ فالســـلفية منهج له أصوله وثَمَّ مســـاحة واسعة للاجتهاد في محيطه، فســـعة منهجه وثراء مقولاته لا تؤدي إلى النســـبية المطلقة وغيـــاب الحدود الفاصلة التي تكشـــف الاجتهادات المقبولة داخل المنهج السلفي والاجتهادات المخالفة له.

٨ – إن النقـــد الموجَّه للســـلفية يجـــب أن يفرَّق فيه بين النقد الموجَّه للجماعات والأفراد المنتسبين للسلفية؛ فهذا نقد مقبول ومعتبَر شريطة أن يكون عادلاً وأن يكون النقد لأفعال الســـلفيين لا إلى نفس السلفية، والســـلفيون هم أَوْلى الناس بضرورة الوعي بأهمية الاســـتفادة من نصح الناس ونقدهم وتقويمهم؛ حتى لو بدر ممن يحمل مواقف عدائية أو بطريقة خاطئة فيستفاد من نقده ولن يضرَّهم قصدُه.

هل سيتوقف الهجوم على السلفية حين تتميز (منهجاً) لا (جماعة)؟

بالتأكيد لا.

فإن اعتماد المنهج السلفي على (**النص الشرعي**) محوراً مركزيـــاً للانطلاق، وارتباطه بـ (**السلف الصالح**) في فهم هذا النص وتفســـيره، يجعله المنهج الصحيح لفهم الإســـلام وتطبيقه، وهو ما يجعل النفوس تهفو وتنجذب إليه؛ فالنفوس المسلمة متعطشة إلى الرجوع إلى هويتها ودينها وقيمها بفهمه الصحيـــح؛ فأكثرية الناس تبحث عمَّا يريده الله وتســـأل عن المنهج والمســـلَك الذي ينجيها في الآخرة، وليســـوا مهمومين بمنهجية (التكيف مع الواقع) و (تبرئة الإسلام من الشبهات) ومحاولة إقناع المسلمين (بصلاحية دينهم لكل زمان ومكان)، فأكثرية المسلمين ليسوا بحاجة إليها كثيراً، وما هي إلا زيادة بصيرة ونور، وهذا (**الوضوح**) و (**العمق**) هو ما يجعل (المنهج السلفي) مخيفاً ومرعباً لكثير من المنحرفين والزائغين الذين لن تتوقف مراجل الحَنَق في قلوبهم من الغليان.

المنهج الســـلفي يربي في أتباعه خصائص الشموخ والعزة بالإســـلام رســـالةً وحضارةً؛ فشـــتَّان بين من (**يقرأ النص ليعـرف مرادَه ليسـير على هديـه**) كما هي خاصية المنهج الســـلفي، وبين من يبحـــث عن (**تحقيـق مراده مـن خلال النص**) كما هي خاصية كثير من المناهج العَلمانية والتلفيقية.

وشـــتان بين من (**يبحث في النص وهو يعتقـد أن ثَمَّ معنـى شـرعياً محـدداً يريـده اللـه**)، وبـــين من يرى (**أن الحقائـق نسـبية، وأنـه لا وجـود لمـن يمتلـك الحقيقـة المطلقـة**) كما هي حالـــة التيه التي تعبث بكثير من أهل هذا العصر.

وشـــتان بين من يضع (**منهجاً محدداً وأصولاً واضحة فـي التعامـل مـع النص**)، وبين مـــن (**يتقلب بـين المناهج والأفكار بحسب كل واقعة**).

وشتان بين من (**يتخـذ الصحابة والتابعين دليلاً بين يديـه**)، وبين من (**يسـير خلف فلاسـفة وضلال الشـرق والغرب**).

إنه منهج يتسم بالوضوح والاطراد، والتناسق والتماسك، وهو ما يجعل أثره عميقاً في نفوس المستمســـكين به، ودورَه فاعلاً فـــي التأثير على المخالفين، وهو أيضـــاً أقدر المناهج على الدفاع عن أحكام الإسلام؛ لأنه لا يسلِّم للمخالف بباطل يتوصَّلون من خلاله للطعن في الإسلام.

إن بعض المنحرفين يوجِّه ســـهامَه إلى السلفية فينتقدها على أمور هي من صميم الإســـلام؛ فهـــو ينتقد في الظاهر الجماعـــات الســـلفية لكنه في الحقيقة يطعن في الإســـلام نفســـه؛ كمن ينتقدهم في أصل (الحجـــاب) أو (التوحيد) أو (الحكم الإسلامي) فهو في الحقيقة يطعن في الإسلام نفسه؛ وإن زعم أنه يقصد الجماعات الســـلفية؛ فمن الخلل ونقص الحكمـــة أن يتعامل بعض الناس مع ظاهرة النقد هذه وكأنها موجَّهة إلى جماعة محددة؛ فمن المهم أن يســـتوعب الشخص الأســـباب التي تدعـــو للنقد وحقيقة النقـــد حتى يدرك من خلالها، هل هو نقد لـ (جماعة) أم طعن في (منهج ورسالة)؟

أوراد

أهل السنة والجماعة

من القرآن الكريم وصحيح السنة والنبوية

قال شيخ الإسلام: (فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنها لسان، ولا يحيط بها إنسان).

في هذا الكتاب..

الثناء • الصلاة على الحبيب • الاستغفار • السؤالات • الاستعاذات

تفريج الكرب والهم • الرقية الشرعية • أذكار الصباح والمساء

للتوزيع الخيري والمبيعات في المملكة العربية السعودية - اليمن - السودان

دار رسالة البيان للنشر والتوزيع - هاتف : ٤٥٤٦٨٦٨ - تحويلة ٥٠٢/٥٠٠ - جوال : ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

المنطقة الغربية : ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ - المنطقة الجنوبية : ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨ - القصيم : ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

الشرقية : ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ - مكة : ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠

تجديد الخطاب السلفي

د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي(*)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فليس ثمَّ شك أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أوَّلَها، وأن طريقة أهل السُّنة والجماعة: في الاعتقاد والعمل والسلوك والأخلاق، هي الطريقة المثلى المطابقة لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وأن اتِّباع آثار السابقين الأولين من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين، هو المنهج الرشيد، والمسلك السديد، الموصل إلى النصر والتمكين في الدنيا، والنجاة والفلاح في الآخرة. قال - تعالى -: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

ويمثل المنهج السلفي منهج النقاء العقدي والعملي بين مناهج الإسلاميين الموصوفين بـ (أهل القبلة). ولا ريب أن الانتساب إلى الإسلام والتسمي به كافٍ في الدلالة على وصف العبودية، التي لأجلها خلق الله الإنس والجن، كما قال - تعالى -: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]. ولكن الحاجة ألجأت إلى التخصيص. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إلاَّ وَاحِدَةً؛ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ. وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»، صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلَامِ الْمَحْضِ، الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)[1].

والخصائص الجامعة لأهل السُّنة والجماعة واضحة بيِّنة، والعلامات الفارقة للسلفيين عن غيرهم من الفرق المنحرفة، ظاهرة شهيرة. وأبرزها أصلان عظيمان:

- التوحيد الخالص لله رب العالمين، بأنواعه الثلاثة: (الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات).
- الاتِّباع الصحيح لسُنة خاتم النبيين، والعناية بها (رواية ودراية)؛ ولذلك سُمُّوا: (أهل الحديث) و (أهل الأثر).

فمن التزم بهذين الأصلين، وبرئ من طرائق المبتدعة: من خوارج، وقدرية، ومرجئة، وجهمية، ومعتزلة، وصوفية، وضم إلى ذلك صالح الأعمال، ومكارم الأخلاق، استحق وصف (السلفية).

والملتزمون بهذين الأصلين العظيمين وتوابعهما، جَمْعٌ كثير في الأمة، أوسع مما قد يتوهمه بعض الناس، على تفاوت في الأخذ بهما، كما هي سُنَّة الله في عباده المصطفَين: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ

(*) أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة القصيم، والمشرف على موقع العقيدة والحياة.

(١) الواسطية.

سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

وكان من رحمة الله المذخورة لهذه الأمة في قدر الله: أن يقيض لها على رأس كل قرن من يتصدى لإحياء ما اندرس، وتجديد ما تقادم؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[1]، وما زال أهل العلم والسير يعدون أسماء المجددين جيلاً بعد جيل.

ويبتدئ (التجديد) المحمود بعالِم فردٍ، أو جملة من العلماء والمصلحين؛ يفتح الله بصائرهم على حال أمتهم، فيدركون درجة انحرافها عن (الصراط المستقيم)، فيطلقون دعوة مخلصة لتجديد العهود، وتوثيق العرى، وإحياء الدنيا بالدين.

وقد جرى في مطلع هذا القرن الخامس عشر الهجري، انتعاش وإحياء للمنهج السلفي، بعد عقود من الوهن، والضمور، وبلغ مواطنَ من العالم الإسلامي لم يكن قد بلغها من قبل، واكتسح معاقل عريقة للبدعة والخرافة والكلام المذموم لم يكن قد وطئها بَعْد، وحصل تنويرٌ غير مسبوق في الأوساط العلمية والشعبية، وتمحورٌ حول المرجعيات السلفية، وتراجعٌ للمرجعيات البدعية والطرقية والكلامية.

ولكن سرعان ما دبَّ في بعض الأوساط السلفية الواعدة داء الأمم قبلهم: من الاختلاف، والنزاع، والانقسامات المتلاحقة؛ أفسد سرائر العاملين، وأطفأ ألَق النقاء، الذي كانت الأمة ترمقه، وتعلِّق عليه آمالها. فلا تكاد تحل بلداً من بلدان المسلمين، اليوم، بل ولا تجمُّعاً من تجمعات أقلياتهم في الخارج، حتى تجد تحزباً وانقساماً وفرقةً بين المنتسبين للسلفية، بصورة أشد عنفاً ومقتاً وتشظِّياً من الطرائق الأخرى. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وربما تساءل بعض المراقبين: هل طبيعة المنهج تستدعي ذلك؟ هل الولع العلمي يستلزم هذه الانشطارات؟ هل عقيدة الولاء والبراء، ونبذ الابتداع تفرض هذه الممارسات؟ والجواب: - قطعاً - لا، وحاشا، وكلا؛ فنصوص الكتاب والسُّنة، تدعو، وتؤسس، وتربي، على الوحدة والائتلاف، وتنبذ الفرقة والاختلاف.

إذن من أين أُتينا؟ لا شك أن ثمة (حزمةً) من الأسباب المشاركة في تشكيل هذه الحالة الشاذة، من أهمها:

- قصور العلم، وترؤس أنصاف الفقهاء.
- قصور العقل، وتصدُّر حدثاء الأسنان.
- حظوظ النفس، وتنامي الأثرة والحسد.
- الظلم والبغي، وحصول العدوان.

والواقع القريب يشهد بوجود قيادات سلفية تقية نقية عاقلة واعية؛ أدارت دفة الدعوة السلفية بمهارة واعتدال، وتحاشت كثيراً من مزالق الفتن، ومسائل الشغب.

ولا أرى من المفيد الخوض في التجارب السلبية، وتوسيع رقعة السواد بالقيل والقال والتلاوم، فضلاً عن التنابز، وتسقُّط الزلات. بل ثَمَّ حاجة ماسة إلى أن يتداعى السلفيون على وجه البسيطة إلى (كلمة سواء).

إن الحاجة ماسة إلى صياغة خطاب سلفي يحافظ على أصالة المنهج، ويواجه المستجدات، ويتخلص من الآفات؛ وإلا بقينا نتردى في مهاوي الخلافات، ونجترُّ مسائل وأغلوطاتٍ، أفرزتها حالة معيَّنة، أو نتجت عن خطأ بشري لا يجوز أن تبقى الأجيال مرتهَنة له، أو ممتحنة به؛ فقد خلقنا الله أحراراً، لا نعبد سواه، ولا نتبع غير نبيِّه ومصطفاه.

قد يجد بعض الناس تناقضاً بين مدلولي (التجديد) و (السلفية)؛ باعتبار الثاني يدل على القدم المنافي للجديد. والأمر ليس كذلك؛ فالتجديد الذي ننشده ليس انقلاباً أو تغييراً للثوابت؛ بل هو نوع من إعادة تفعيلها لتؤدي دورها وتقتضي آثارها في الواقع؛ ذلك أن (الجمود) والتشبث برسوم محلية، اقتضتها مرحلة زمنية معينة، يعطل أداء النص، ويحجر على العقل أن يُعْمِله في النوازل، والمستجدات.

ولهذا صار يعتور مشروعَ التجديد محذوران:

أحدهما: الوقوع في أسر الجمود؛ بدعوى المحافظة والتمسك بالسُّنة واتباع السلف.

والثاني: الانفلات والتمرد على النقل، وتسييد العقل؛ بدعوى التجديد. فلا بد من ضبط المعادلة، بما يحقق المصالح، ويدرأ المفاسد.

وقد مُنِيَت الأمة من دعاة التجديد المذموم من (العقلانيين) و (العصرانيين) ببلايا ورزايا، أشد مما بليت به من أهل التعصب والجمود؛ فقد ركب موجة التجديد في العصور الأخيرة التي شهدت انفراط عقد الخلافة الإسلامية ونشوء الدولة المدنية الحديثة على النمط الغربي، أفراد مفتونون مبهورون، أرادوا جر الأمة إلى حظيرة الغرب بعمامة الفقيه ودعوى التجديد، وهو في الواقع ضرب من الانسلاخ والابتداع؛ فلا بد من التمييز بين التجديد المحمود، والتجديد المذموم.

(١) رواه أبو داود وغيره، وصححه الألباني.

والمقصود بـمصطلح (الخطاب)، أمران:

أحدهما: جملة الأصول والمبادئ التي ينادي بها المتصدون لمشروع ما.

الثاني: جملة الآداب اللغوية، والوسائل العملية التي يتذرعون بها، لتبليغ دعوتهم؛ فالخطاب حالة بشرية تتمثل المبادئ، وتتمظهر بالسلوك، دون أن ينفصل أحدهما عن الآخر؛ كما كان الإيمان نفسه قولاً وعملاً.

والساحة الإسلامية اليوم تعج بأنواع (الخطابات) التليدة والطارفة؛ فهناك (الخطاب الصوفي)، و (الخطاب العقلاني) و (الخطاب الشيعي) و (الخطاب السياسي) و (الخطاب الليبرالي) وغيرها. ولم ينقطع (الخطاب السلفي) أبداً عن مسامع الأمة، إلا أن صوته يعلو حيناً، ويخفت حيناً آخر، لأسباب يجريها الله بحكمته.

وحين نتقدم - إلى المسلمين خاصة، وإلى الناس كافة - بدعوتنا، فلا بد أن نصوغ خطاباً يجمع عناصر القبول المختلفة التي حواها الخطاب (القرآني - النبوي) واستعمله المجددون الموفَّقون من سلف هذه الأمة. ولا بد أن يكون الخطاب المقترَح، بحجم المشروع؛ فإن دين الإسلام مشروع الحياة الدنيا، المستوعِبُ لكافة مناشطها، المنتظمُ لجميع تفاصيلها، المفضي إلى سعة الدنيا والآخرة. إن من شأن هذا الخطاب، إذا اتضحت معالمه، واستبانت مقاصده، أن يثمر ثمرات عظيمة، من أهمها:

- وحدة المسلمين، لاجتماع دعاتهم على كلمة سواء.
- انتشار الإسلام، لكونه يردُّ الروح إلى الدعوة، ويخلصها من آفاتها المتراكمة، فتعود غضَّةً طريةً، ذاتَ أَلَق ووهج وجاذبية، كما كانت أول مرة.

ومن أبرز السمات التي يجب أن يتسم بها الخطاب السلفي المتجدد، ويتشرَّبَه الناطقون به، على اختلاف مواقعهم وتخصصاتهم:

أولاً: الاعتصام بالكتاب والسنة:

إن كثيراً من الآفات في الخطاب الدعوي ناشئة عن البعد عن فهم مراد الله ورسوله، والاحتفاء بأقوال الرجال، والوقوع في أسر التعصب، من حيث يشعر صاحبه أو لا يشعر. وربما جرى ذلك لبعض من يعيب التقليد، ويذمُّ التعصب، فيقع له شيء من ذلك في حق من يجلُّه، ويعظِّمه، من المتبوعين الثقات، ويغفل عن كونهم غير معصومين. إننا بحاجة ماسة إلى صلة حميمة، وعلاقة وثيقة، وثقة مطلَقة بالنص؛ تجعلنا نستهدي به، ونقبس من ضوئه مباشرة، فلا تعشوا أبصارنا أقوال الرجال - وإن عظم مقدارهم - بجنب كلام الله وكلام نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ: ٥٠]، وفي الحديث الإلهي: «يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»[1].

إن من ضرورات صياغة الخطاب السلفي المتجدد: أن يبنى على النص والدليل، رسماً ومعنى؛ فيستمد تصوراته وأحكامه من هدي الوحي المعصوم، ويضمخ سياقاته بالأدلة؛ حتى يتربى المخاطب على التأصيل، والتعبُّد لرب العالمين.

ويلحظ المرء في كثير من المعالجات المعاصرة، طغيان الرأي، وغياب الدليل. وربما سُوِّدت صفحات كثيرة لم تُذكَر فيها آية أو حديث؛ وإن ذكرت فعلى سبيل الاستهلال والديباج، لا على سبيل الاستدلال والاحتجاج.

إن للنص سلطاناً وتأثيراً في القلوب، والمسامع لا تبلغه فصاحة فصيح، ولا تنظير متكلم؛ فلا بد للخطاب السلفي المعاصر أن يأويَ إلى ركن شديد؛ فذاك سر قوَّته وغلبته، واكتساحه لكافة الطروحات الهزيلة. وليس من لازم ذلك - كما قد يتوهمه بعض طلبة العلم - اطِّراح النتاج العلمي، والتراث الفقهي للمذاهب المتبوعة، ونصب مجانيق الخلاف بين (السلفية) و (المذهبية)، وافتعال الصراعات الداخلية. بل يتم النظر إليها بوعي سلفي يحترم النص، ويظفر بالفهم.

فعلى الدعاة إلى الله أن يعتصموا بالوحي المعصوم، ويبتعدوا عن جميع صور الاستزلال والتأويل والتجهيل التي يمارسها دعاة العقلانية والعصرانية، الذين ينزعون إلى (بشرية) الدين، ونزع ميزة (الربانية) من خطابه وهدايته. قال ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ»[2].

ثانياً: الوضوح:

من أبرز أوصاف القرآن أنه (بيان) و (تبيان) و (مبين)، كما نطقت بذلك آيات كثر؛ كقوله - تعالى -: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] وقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦]. وتأمَّل كيف يرتب الله الهدى، في كلٍّ من هذه الآيات الثلاث على البيان!

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم، وفي بلاغات مالك في الموطأ: «وسُنة نبيه».

إن ذلك يدل دلالةً جلية على أن الخطاب الدعوي يجب أن يتسم بالوضوح، ويجتنب التلبيس والإجمال والإبهام. إن مقام الإيمان والتوحيد والعبادة لا يحتمل باطنية الخطاب الصوفي، ولا غموض الخطاب الفلسفي، ولا تعقيد الخطاب الكلامي، لا بد أن يمتح الخطاب السلفي المعاصر من بيان القرآن، ويرتشف من وضوح السُّنة.

هكذا ينبغي أن تكون لغة الدعاة؛ فلا يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، ولا يستعيضون عن بيان القرآن ووضوح السنة بأنماط من الأساليب المولدة، الرمزية، الغامضة، يجارون بها بلديِّيهم أو معاصريهم، معتقدين بذلك أنهم يمارسون (تجديداً) في الأداء، أو يحدِّثون القوم بما يعرفون، كلا! إنهم في الحقيقة ينخلعون من ثوب قشيب، ويلتفعون بمرط تتكري غريب. ولو ساغ ذلك في بعض أبواب الشعر والأدب، لما ساغ في أبواب الاعتقاد، والعبادة، والعمل.

ثالثاً: العدل:

العدل (قيمة) و (خُلُقٌ) لأهل الإسلام؛ قيمة من حيث هو، وخلق من حيث التطبيق في القول والعمل والحكم. قال – تعالى –: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٢] ، وقال: ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨]، وقال: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨].

لا بد أن يتحلى الخطاب السلفي المعاصر بالعدل والإنصاف، ويتحاشى جميع صور الحيف والظلم. ومن العدل أن يعترف لأهل الفضل بفضلهم، ويثني بالخير على باذليه؛ دون أن يكون ذلك منافياً للشهادة لله، والقيام بالقسط، أو القيام لله، والشهادة بالقسط، كما قال – تعالى –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ [المائدة: ٨].

يجنح الخطاب السلفي في كثيرٍ من بياناته ونقده للمخالفين – بسبب حماسه للحق – إلى نوعٍ من الظلم والإجحاف، وإهدار فضائل الآخرين. وليس ذلك من أصل المنهج؛ لكنه طارئ عليه من بعض مؤيديه الغاضبين له، في أجواء محمومة، وتحت ضغوطٍ ومظالم أشد من مخالفيهم. ولا ريب أن المنكَر لا يقابَل بمثله، ولا يصحَّح الخطأ بخطأ مماثل؛ وإنما يصحَّح الخطأ بالصواب، والرد إلى كلمة سواء.

وقد جرى في مطاوي التاريخ العقدي شيء من ذلك، ويجري الآن بين الجماعات المنتسبة إلى أهل السُّنة عموماً أكثر من ذلك، بل ويجري بين الجماعات المنتمية إلى السلفية أعظم من ذلك؛ وما ذاك إلا لغياب عنصر (العدل)، ودخول الهوى والمواقف الشخصية في الميزان، أو مقابلة الخطأ بخطأ مثله، وقد قال نبي الله شعيب – عليه السلام –: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

ومن صور الظلم المنافي للعدل، الجاري على بعض ألسنة المتحدثين، أو الكاتبين:

١ – بخس الناس حقوقهم: فيقال عن عالمٍ مَّا: إنه لم يأتِ بجديد، وربما كان من كبار المحدِّثين. أو عن طائفة مَّا: إنها أفسدت الدين، وربما كانوا من عظماء الفاتحين. أو عن جماعة مَّا: ما صنعت للإسلام شيئاً، وربما كانت من أبلغ الدعوات تأثيراً وإنتاجاً (ولو مع شائبة). وكان يسعه أن يقول في هذا، وذاك، وتلك: (فيه تفصيل).

٢ – التسوية بين المختلفات: بأن يحشد المخالفين في خندق واحد، ويصمهم بتهمة سواء؛ كأن يقول عن فرقة مَّا: إنهم أضر على الإسلام من اليهود والنصارى والمشركين؛ وربما انطبق ذلك على غُلاتهم دون مقتصديهم. أو يصم عالماً مَّا ببدعة، دون نظر إلى تفاوت المقالات، أو التماس المعاذير، أو كون ذلك الخطأ نزراً يسيراً مغموراً في جنب فضائله. فالعدل قامت به السماوات والأرض.

لا بد للخطاب السلفي من التجرد للحق، وقول الحق، والحكم على الذوات والأحداث بالحق. ولا بد أن يكف بعض دعاة السلفية عن إهدار حقوق مخالفيهم، والضرب على فضائلهم ومنجزاتهم. لا بد أن نقول للمحسن: أحسنت، وللمسيء: أسأت. ولا يمنعنا ذلك أن نقول للمحسن: أحسنت في كذا، وأسأت في كذا، وللمسيء: أسأت في كذا، وأحسنت في كذا. فذلك أدعى أن يقبل منا. ولا ينقضي العجب ممن ينكر هذا المسلك العادل، وينسب السلف إلى غمط الحق، وازدراء الناس!

ومن تتبع أقوال أئمة السلف ومجدِّدي الملة، كشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وتأمَّل في حكمه على كثير

ممن حاد عن السُّـــنة المحضة من أهل الأهـــواء والبدع على اختـــلاف مراتبهم: من أمراء، وعلماء، ومصنفين، وجد ميزاناً عادلاً، ونفسـاً مطمئناً غير مشحون؛ ومع ذلك فقد أبلى بلاءً حســناً في بيان السُّنة وردِّ البدعة، دون أن يخرج به ذلك عن القسطاس المستقيم. ولـمَّا تصدى لمناقشة تهمة وَصْفِ بعض أهل الحديث بالحشـــو، قال منصفاً: (ولا ريب أن هذا موجود في بعضهم؛ يحتجون بأحاديث موضوعة، في مسائل الأصول والفـــروع، وبآثار مفتعلة، وحكايات غيـــر صحيحة، ويذكرون من القـــرآن والحديث، ما لا يفهمون معناه، وربما تأوَّلوه على غيـــر تأويله، ووضعوه على غير موضعه. ثم إنهم بهذا المنقول الضعيف، والمعقول الســـخيف، قد يكفِّرون ويضلِّلون ويبدِّعون أقواماً من أعيان الأمة، ويجهِّلونهم. ففي بعضهم من التفريط في الحق والتعدي على الخلق، ما قد يكون بعضه مغفوراً، وقد يكون منكرَاً من القول وزوراً، وقد يكون من البدع والضلالات التي توجب غليظ العقوبات. فهذا لا ينكره إلا جاهل أو ظالم. وقد رأيت من هذا عجائب)[1].

فما أحـــرى دعاة الســـلفية، في خطابهـــم المعاصر الذي يتقدمون به إلى أهل ملَّتهم وإلى الناس كافة، أن يستعملوا هذا الميزان؛ فإن الله جعله قريناً للقرآن. قال - تعالى -: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى: ١٧]، وبعث بذلك رســـله، فقال: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُـلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

رابعاً: الرحمة:

وصف الله إرســـال نبيه ﷺ بالرحمة، فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَـةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال ﷺ: «إني لم أبعَثْ لَعَّاناً، وإنما بُعِثْتُ رحمة»[2]. قال ابن كثير - رحمه الله -: (أي أرسله رحمـــة لهم كلهم؛ فمن قَبِل هذه الرحمةَ وشـــكَر هذه النعمةَ، سَعِد في الدنيا والآخرة، ومن رَدَّها وجحدها، خسر في الدنيا والآخرة)[3].

وبنـــاءً علـــى هذا الأصـــل العظيم، فلا بـــد أن يصطبغ الخطاب الســـلفي بصبغة الرفق، وأن تســـكنه الرحمة، وأن يُشـــعِر المخاطَبين بروح النصح والشـــفقة، وينأى عن الشدة والغلظة. وهكذا كان خُلُقـــه ﷺ. قال - تعالى -: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّـنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْـبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْـتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَـاوِرْهُمْ فِي الأَمْـرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وبهذا وصَّى؛ فعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: (اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِـنْ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّـــامُ عَلَيْكَ. فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمْ السَّـــامُ وَاللَّعْنَةُ. فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ، يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ». قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْـمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»)[4]. وفي رواية: «وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ».

فيجـــب أن يراعي الخطـــاب المعاصر اســـتعمال الرفق «في الأمر كله»؛ فـــي القول والفعل، مع النفس ومع الآخرين، مـــن المؤمنين والمبتدعـــة والكفار؛ إلا أن يكونـــوا محاربين أو متمحضـــين لبدعتهم، لقوله - تعالـــى - في صفة الصحابة: ﴿ أَشِـدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]. وتلك قضية يدل عليهـــا العقل، كما يدل عليها النقـــل؛ إذ لا يمكن القبول من غليظ، معنِّف.

ويلاحظ كثيراً على بعض الخطاب السلفي المعاصر، نوع شـــدة، ربما كانت نابعةً من الطبيعـــة القوية لبعض معتنقيه، وحماســـهم للحق الذي أبصروه. وقد وقع من بعض الســـلف غلظة على المخالفين من أهل البدع؛ إما لظهور السُّنة، وفشوِّ العلم، بما لا يحتمل عذراً للمخالف، كما جرى من عمر - رضي اللـــه عنه - مع صبيغ بن عســـل، أو ما جرى من الإمام مالك - رحمه الله - مع الســـائل عن كيفية الاستواء، وإما لشناعة بدعتهم، وعدم المســـوِّغ المحتمل، كما وقع من الإمام الدارمي - رحمه الله - في نقضه على بشـــر المريسي والجهمية، وقد قـــال - تعالى - لنبيه ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِـدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣].

وربما حصل تشـــنيع زائد، لأسباب وقتية، تقدَّر بقدرها، وتُقرَأ في ســـياقها، كما وقع من السجزي - رحمه الله - في ردِّه على الأشاعرة. وهذا تفسير، لا تبرير؛ فخير الهدي هدي محمد ﷺ؛ فهو الإنسان الكامل، والمعيار المعصوم.

وقد آل الحال لدى بعض السلفيين المعاصرين إلى فظاظة شـــديدة في تعامله مع من يراهم حائدين عن منهج السلف؛ فاســـتعمل أقذع الســـباب، وكال أشـــد التهم، ثم حمله هذا المســـلك الطائش على الانقضاض علـــى مخالفيه من خاصة أصحابه، حين اختلفوا في جزئيات وفروع؛ فسوَّد الصفحات، وملأ المكتبات، وحمَّل خلايا الشبكة العنكبوتية بألوان الردود. وقابلـــه الموتورون بمثله، فصاروا سُـــبة عند العقلاء، ضحكة

(١) مجموع الفتاوى: ٤ / ٢٤.
(٢) انفرد بإخراجه مسلم.
(٣) تفسير القرآن العظيم.
(٤) متفق عليه.

للسفهاء، كمداً في نفوس الغيورين على السُّنة وأهلها. وإلى الله المشتكى، وهو المستعان.

وقد أثبت التاريخ، والواقع، أن الله كتب القبول لذوي الرفق واللطف والتودد؛ فمن تأمَّل في سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدي، وابن باز، وابن عثيمين، وغيرهم - رحمهم الله - وجد الدليل العمليَّ على صواب هذا المنهج. كما أن من اعتبر بسيرة بعض أهل العنف والجفاء، وجد أنهم أفسدوا مشروعهم العلمي والإصلاحي بافتعال الشغب والتحريش بين الناس باسم الجرح والتعديل، وتنزيل طريقة السلف في معاملة المبتدع تنزيلاً غير حكيم. والله يغفر للجميع. فرفقاً يا أهل السُّنة، بأهل السُّنة، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

خامساً: السعة والشمول:

أسلفنا القول بأنه لا بد أن يكون الخطاب بحجم المشروع. ودين الإسلام مشروع الحياة الدنيا، المستوعبُ لكافة مناشطها، المنتظمُ لجميع تفاصيلها، المفضي إلى سعة الدنيا والآخرة. قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. ورسالة نبينا محمد ﷺ لجميع الناس. قال - تعالى -: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فلا يصح بحال اختزال هذا الخطاب، ليكون مشروعاً علمياً (فقهياً، أو حديثياً، أو أصولياً) وحسب، ولا أن يستحيل خطة إصلاح أُسَري، مجتمعي فقط، ولا أن يصاغ مرافعةً حقوقية، وبرنامجاً سياسياً، وكفى؛ فضلاً عن أن يُقصَر على التهذيب الروحي، والسلوك الشخصي... إنه كل ذلك.

لا بد من التفريق بين (التخصص) الشخصي لفرد ما، ومضمون الدعوة التي ينخرط فيها ذلك الفرد. لا حرج أن يشتغل عالِم، أو فقيه، أو مربٍّ، أو مصلح اجتماعي، في ما فُتِح له فيه من أنواع التخصصات، دون أن يخل بالحد الأدنى من الواجبات الشرعية، والالتزام العام بمقاصد الإسلام.

كما لا يصح اختزال هذا المشروع في خطاب حزبي لـ (جماعة)، أو بيان مناقبي لـ (طريقة)، أو تقريظ متعصب لـ (مذهب)، ولا أن يُحمَل الكافة على نسق واحد، ويُساقُون في سياق واحد، ويُصَبُّون في قالب واحد، ويُستنسخون من شخصية واحدة، يعتريها القصور والتقصير.

إن دين الله أوسع من ذلك؛ فهو يستوعب البشر، والطاقات، والأذواق، والطبائع، ويوجه كل ذي فضل ومَنْقَبَة، لسد ثغرة لا يسدها غيره، ويستعمله في إصلاح يليق به.

إن على الخطاب الدعوي الشامل أن يستجمع عناصر الدين الواسع ومفرداته، ولا يُجتزَئ، ولا يُبتسَر، ولا يُنتخَب، وَفْقاً لإسقاطات شخصية أو محلية. وبعبارة أخرى: يجب أن يتضمن جميع مقاصد الدين الكامل، والشريعة التامة، ويرتاد آفاق الدنيا، بسعة ورحابة وقدرة على الاستيعاب.

وربما وقع من بعض الدعاة (ضيق أفق)؛ فَقَصَروا مفهوم السلفية على بعض الممارسات، والأعمال التي هي منها، وليست كلها، وفاصلوا عليها، ووالَوا، وعادَوا، وأحبوا، وأبغضوا، فضيقوا واسعاً.

وربما وقع من بعض الدعاة (ضيق عَطَن)، فلم يحتملوا المخالف، دون تمييز بين درجات المخالفة، وضاقوا به ذرعاً، وطلبوا مواصفات دقيقة، ربما كان مبناها على الذوق والمزاج، أكثر من العدل والإحسان.

لقد استطاع هذا الدين من خلال حَمَلته الأوائل الواعين، من الصحابة والتابعين، أن يستوعب شعوباً، وأعراقاً، وأمماً، وحضارات برفق وسلاسة، وأن يذيبهم في بحره الخِضَمِّ، ملتزمين بعقيدته الصحيحة، وشريعته العادلة، دون أن يسلبهم خصائصهم النوعية، ويحجر عليهم عاداتهم المباحة، فعاشوا قروناً متصالحين، كما تعيش جماعات الأسماك المتنوعة في المحيط العظيم.

وليس من لازم هذا التقرير، وهذا التصوير، أن يستحيل الدين مَضافَةً لكل عابر، وعباءةً تجلل كلَّ من هبَّ ودبَّ، كلا! ولكنه الخطاب العام الواسع الذي يطالب الناس أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ فإن هم أجابوا لذلك، وانضووا تحت هذا الإطار الكبير، تفرَّغ لتفقيههم وتربيتهم، وتتبُّع مواطن الخلل فيهم، وإصلاحهم.

لقد حُدِّثتُ عن رجل أسترالي قصد أحد بلاد المسلمين ليعتنق الإسلام، فتنازعته جماعتان (شافعية، وأحناف)؛ كلتاهما تُلِحُّ عليه أن يكون على مذهبها. ولا تعليق.

وتتصدى جماعة إسلامية مجاهدة لقضية من قضايا المسلمين الكبرى، التي تهم عامتهم وخاصتهم، فلا تكاد تتخلص من الخطاب الحزبي الخاص في أدبياتها وبياناتها وبرامجها، فضلاً عن تشكيلاتها، وقياداتها، وهو ما يسلبها كثيراً من الامتداد والقبول.

وينشـــطر كثير من المنتسبين للتيار الســـلفي في مناطق كثيرة إلى شـــطرين متناحرين - وربمـــا أكثر - تبعاً لفلان أو علان أو اتِّباعاً لبعض المتشابه من المسائل المحدَثات، وينسَون ما تلقَّوه من الأصول الســـلفية العظيمـــة في توحيد القصد، وتوحيد الاتِّباع.

كل هذه الآفات والســـلبيات، نشـــأت من جـــراء تضييق الخطاب، والهبوط من الأفـــق الأعلى إلى الحضيض الأدنى، والتشاغل بالمتشابه عن المحكم. وكان من نتيجة ذلك الانكفاء على الذات، والاســـتغراق في الخصومـــات، وتوقُّف الدعوة عـــن الوصول إلى المجتمعات الكافـــرة؛ لانصراف الجهد إلى الاحتراب الداخلي.

إن علـــى الخطاب الســـلفي المتجـــدد - وأعني صاغته والناطقين بـــه - أن يفتحوا أعينهم مـــلء أحداقها، وآذانَهم ملء أسماعها، وأيديَهم وســـع باعها، وأرجلَهم قَدْرَ خطوها، وقبل ذلك عقولهم وقلوبهم وصدورهم؛ لتتسع إلفةً للمؤمنين، ورحمةً للعالمين، وينعتقوا من أسر المشاريع الضيقة، والنظرات المحدودة، والقضايا الشـــخصية. كمـــا أن عليهم - أمام هذه السعة والاستقصاء - أن يتنبهوا لقضيتين:

إحداهما: العنايـــة بترتيب الأولويـــات، والبداءة بالأهم فالمهم.

والثانيـــة: الواقعيـــة: وذلـــك بإعطاء القضايـــا العقدية المعاصـــرة العنايةَ التي تســـتحقها؛ كالحديث عـــن التيارات الفكرية الحديثة.

وهذه الســـمة، سمة الشمول والسعة، تُســـلِمُنا إلى سِمَة أخرى، ضرورية في مشروع التقويم والتجديد، وهي:

سادساً: الائتلاف، والاجتماع:

من أصول أهل السُّـــنة والجماعة، الدعـــوة إلى الوحدة والائتـــلاف، ونبذ الفُرقة والاختـــلاف. وقد جاء بذلك ناطق الكتاب، وصحيح الســـنة. قال - تعالـــى -: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمـــران: ١٠٣]، ثم أردفه بقوله: ﴿وَلا تَكُونُـــوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَـــا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال: ﴿شَـــرَعَ لَكُـــم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَـــى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فيه﴾ [الشورى: ١٣]. وقال نبيه ﷺ: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْـــلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ»[1]. وأمثال هذه النصوص كثير.

وتأسيســـاً على هـــذه الأصول، وسعياً نحو هذه المقـــاصد، لا بد أن يكون الخطاب الســـلفي التجديدي مسكوناً بروح الوحدة والتأليـــف، بريئاً مـــن لوثة الفرقة والتحزيب. فـــلا بد أن ينعتق دعاة الســـلفية من كل ولاء وانتماء يتنافى مع الـــولاء لله ولرسوله وللمؤمنين. قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

لقد كان مذهب أهل السنة والجماعة مستقراً على طاعة ولاة الأمـــر - أبـــراراً كانوا أم فجاراً - وعلـــى ترك الخروج على السلاطين، والسمع والطاعة بالمعروف، والصبر على جور الولاة؛ حقناً للدماء، وتسكيناً للدهماء. والتزم أهل السُّنة من بعد فتنة ابن الأشـــعث بهذا المبدأ الصارم، وأثبتوه في متونهم العقديـــة، واعتصموا بوصية النبـــي ﷺ: «وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ؛ إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[2].

وحين انفرط نظام الخلافة الإســـلامية الشـــاملة وتكونت الدول المدنية الحديثة، اختلـــط الأمر، وصار الدعاة في حيص بيص، مع أنفســـهم ومـــع الأنظمة الحاكمة؛ بســـبب الاختلاف فـــي تكييف الأوضاع الجديدة. فنشـــأت خصومة، وقطيعة بين (الإسلاميين) والأنظمة من جهة، وبين التوجهات الإسلامية من جهة أخرى. وأعقب ذلك قلاقل، وفتن، وضعف، وفشل، واحتراب داخلي، استنفذ الطاقات، والْتهم المقدَّرات. قال - تعالى -: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَـــلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفـــال: ٤٦]. وتكونت (أدبيات) محتقنة متوتـــرة في الخطاب الدعوي؛ ســـواء مع الأنظمة، أو مـــع المخالفين من الدعاة. ولا زالت الأمـــة تجتر هذه الويلات، وتهدر الأرواح والطاقات، ويغذي ذلك أطرافٌ خارجية متربصة، وجهات داخلية مندسة.

لا بد من الخـــروج من (عنق الزجاجـــة)، والتخلص من هذه الدوامة التي تلفُّ في إعصارها كثيراً من شـــباب الأمة، وعلمائهـــا أحياناً. ولا ريب أن الاتجاه الســـلفي جزء في هذه المعضلة، يشـــارك بعض أفراده في تعقيدها، من حيث يشعر، أو لا يشعر.

قال شيخ الإســـلام، ابن تيمية - رحمه الله -: (قَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْـــهُورِ فِي السُّنَنِ، مِنْ رِوَايَةِ فَقِيهَيْ الصَّحَابَةِ: عَبْـــدِ اللَّهِ بْنِ مَسْـــعُودٍ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: «ثَـــلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.

قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ». وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمَحْفُوظِ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً، وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ». فَقَدْ جَمَعَ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ: إِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةِ أُولِي الْأَمْرِ، وَلُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ. وَهَذِهِ الثَّلَاثُ تَجْمَعُ أُصُولَ الدِّينِ وَقَوَاعِدَهُ، وَتَجْمَعُ الْحُقُوقَ الَّتِي لِلَّهِ وَلِعِبَادِهِ، وَتَنْتَظِمُ مَصَالِحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ الْحُقُوقَ قِسْمَانِ: حَقٌّ لِلَّهِ وَحَقٌّ لِعِبَادِهِ؛ فَحَقُّ اللَّهِ أَنْ نَعْبُدَهُ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، كَمَا جَاءَ لَفْظُهُ فِي أَحَدِ الْحَدِيثَيْنِ؛ وَهَذَا مَعْنَى إِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ. وَحُقُوقُ الْعِبَادِ قِسْمَانِ: خَاصٌّ، وَعَامٌّ ؛ أَمَّا الْخَاصُّ، فَمِثْلُ بِرِّ كُلِّ إِنْسَانٍ وَالِدَيْهِ، وَحَقِّ زَوْجَتِهِ وَجَارِهِ ؛ فَهَذِهِ مِنْ فُرُوعِ الدِّينِ؛ لِأَنَّ الْمُكَلَّفَ قَدْ يَخْلُو عَنْ وُجُوبِهَا عَلَيْهِ؛ وَلِأَنَّ مَصْلَحَتَهَا خَاصَّةٌ فَرْدِيَّةٌ. وَأَمَّا الْحُقُوقُ الْعَامَّةُ فَالنَّاسُ نَوْعَانِ: رُعَاةٌ، وَرَعِيَّةٌ؛ فَحُقُوقُ الرُّعَاةِ مُنَاصَحَتُهُمْ؛ وَحُقُوقُ الرَّعِيَّةِ لُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ مَصْلَحَتَهُمْ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِاجْتِمَاعِهِمْ، وَهُمْ لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى ضَلَالَةٍ؛ بَلْ مَصْلَحَةُ دِينِهِمْ، وَدُنْيَاهُمْ فِي اجْتِمَاعِهِمْ، وَاعْتِصَامِهِمْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً)[1].

يجب صياغة خطاب (مصالحة) بين المؤمنين، والكف عن الشجار، والدعوة إلى الوحدة والائتلاف، ونبذ التفرق والاختلاف، على ثلاث مستويات:

الأول: مع أنفسهم: فيكفُّوا عن التنقير، وتلقُّط الزلات، وافتعال الخصومات، ويستعيذوا بالله من شرور أنفسهم وسيئات أعمالهم، ويحذروا من (الشهوة الخفية)، وهي: (حب الترؤس)، و (تكثير الأتباع).

ومن لازم ذلك: الكفُّ عن السجال الكلامي، وتدبيج الردود، ذات العناوين المسجوعة، التي تعج بها رفوف المكتبات، وغرف الصوتيات.

ومن لازم ذلك: التلاقي، والتغافر، والتعافي، وتوحيد المواقف، وترتيب الأولويات، وعدم التشاغل بالمتشابهات، والتعاون على إقامة الدين، وعدم التفرق فيه: ﴿**أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ [**الشورى**: ١٣].

الثاني: مع المخالفين، من المشمولين بوصف السنة: بالتناصح، والتعاون على البر والتقوى، والرد إلى الله والرسول في قضايا النزاع، كما أمر الله: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [**النساء**: ٥٩].

ومن لازم ذلك، أن ينأى الخطاب السلفي عن المخاشنة، كما تقدم في سمة (الرحمة)، ويتخفف من العبارات الحادة، ويضبط معادلة (القوة في الحق، والرفق بالخلق).

ومن لازم ذلك، أن يميز الخطاب السلفي بين ألوان الطيف، بدقة، كما تقدَّم في سمة (العدل)، ولا يحشر المخالفين في خندق واحد، ولا يستعدي المسالمين، ولا يستكثر من الخصوم.

الثالث: مع الحكومات والأنظمة القائمة: بالمناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقول كلمة الحق، والانخراط في الهم المجتمعي العام، وعدم الاقتصار على (أجندة) معينة، بل المساهمة مع أجهزة الدولة الحديثة في إصلاح المجتمع وتقويته؛ لننهض جميعاً؛ فنحن من البداية وحتى النهاية شركاء في الدين، واللغة، والتاريخ، والجغرافيا. ولا يمكن أن يتم هذا الالتحام المنشود مع بقاء روح الشك والتربص بين الطرفين.

ومن لازم ذلك: البعد عن المصادمة المسلحة، والتنظير للتكفير، والخروج على ذي السلطان، ولكن العمل في وضح النهار، وتجنُّب تكوين التنظيمات المسلحة، التي تحمل أُولِي السلطان على الإيقاع بها واعتقال أفرادها، وخسران الأمة لمكوِّنٍ مميز من مكوناتها.

ومن لازم ذلك: الصبر على ما يقع من منكرات ومكروهات، والنظر في عواقب الأمور ومآلاتها، مع دوام بذل النصيحة والإصلاح، والجهر بكلمة الحق، والحذر من تسويغ الباطل، كما قال شعيب – عليه السلام –: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [**هود**: ٨٨].

قال شيخ الإسلام، ابن تيمية – رحمه الله –: (فَظَهَرَ أَنَّ سَبَبَ الِاجْتِمَاعِ وَالْأُلْفَةِ جَمْعُ الدِّينِ وَالْعَمَلُ بِهِ كُلِّهِ ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، كَمَا أَمَرَ بِهِ بَاطِناً وَظَاهِراً . وَسَبَبُ الْفُرْقَةِ: تَرْكُ حَظٍّ مِمَّا أُمِرَ الْعَبْدُ بِهِ، وَالْبَغْيُ بَيْنَهُمْ. وَنَتِيجَةُ الْجَمَاعَةِ: رَحْمَةُ اللَّهِ، وَرِضْوَانُهُ، وَصَلَوَاتُهُ، وَسَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبَيَاضُ الْوُجُوهِ. وَنَتِيجَةُ الْفُرْقَةِ: عَذَابُ اللَّهِ، وَلَعْنَتُهُ، وَسَوَادُ الْوُجُوهِ، وَبَرَاءَةُ الرَّسُولِ ﷺ مِنْهُمْ)[2].

هذا، والله المسؤول وحده: أن يعز دينه، ويعلي كلمته، وما النصر إلا من عنده، وإليه يرجع الأمر كله، وهو الهادي، وهو المعين. والحمد لله رب العالمين.

(١) مجموع الفتاوى: ١ /١٨ – ١٩.

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١٧).

مقررات شرعية
في ائتلاف الصفوف السلفية

إبراهيم الأزرق

الحمد لله الذي أبدل الصدر الأول بعد الاختلاف وفاقاً، وإثر الافتراق اجتماعاً واتفاقاً، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]، وصلى الله وسلم على محمد نبي الهدى، الذي أنقذ الله به الأمة من هُوَّة الردى، وعلى آله وصحبه ومن تلا واقتدى، أما بعد: فقد ألَّفَ العلاَّمةُ الوزير أبو يحيى بن عاصم كتاباً سمَّاه: «جنَّة الرضا في التسليم لما قدَّر الله وقضى»؛ وذلك لمَّا رأى أمر الديار الأندلسية قد اضطرب، وأواصر الإخوة الإسلامية فيها قد انفصمت، وكان مما قال فيه: «من استقرأ التواريخ المنصوصة، وأخبار الملوك المقصوصة، علم أنَّ النصارى - دمَّرهم الله - لم يدركوا في المسلمين ثاراً، ولم يَرْحَضُوا عن أنفسهم عاراً، ولم يخرِّبوا من الجزيرة منازلَ وديارا، ولم يستولوا عليها بلاداً جامعةً وأمصاراً؛ إلاَّ بعد تمكينهم لأسباب الخلاف، واجتهادهم في وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف، وتَضْرِيبهم بالمكر والخديعة بين ملوك الجزيرة، وتحريشهم بالكيد والخِلابة بين حُمَاتِها في الفتن المُبيرة؛ ومهما كانت الكلمة مؤتلفة، والأهواء لا مفترقة ولا مختلفة، والعلماء بمعاناة اتفاق القلوب إلى الله مزدلفة؛ فالحرب إذ ذاك سجال، ولله بإقامة الجهاد في سبيله رجال، وللممانعة في غرض المدافعة ميدان رحب ومجال، وَرَوِيَّة وارتجال»[1].

وصدق رحمه الله، وتأمَّل تاريخ الإسلام تعلم، والواقع المعاصر يشهد، وقول الله - جل ذكره - أصدق: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. ولا خفاء بما كان لملوك المسلمين في الأندلس والعُدْوَة[2] على النصارى من الاستطالة والغلبة، حتى وقع التخاذل والتدابر، فانعكس الأمر. ومن العجيب أن المآل المحتوم للتفرق والنزاع متقرر معلوم، ومع ذلك لم يفلح كثير من الأفاضل على مر التاريخ في وقاية أنفسهم من تلك العاقبة. وهذا يستوجب لَجَأ المسلم إلى ربه، وسؤالَه أن يبصِّره ويهديَه، وأن يعصمه من الفتن ويحفظَه.

وإذا كانت نخب البلاد من أتباع سلف الأمجاد بينهم ما صنع الحداد، فلأن تعظم الشقة بين هؤلاء أو بعضهم مع غيرهم أحرى. والخوف على أهل الإسلام من هذا ولا حيلة لعدوهم

(١) ينظر أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض لأبي العباس المقري التلمساني: ١/ ٥٠ - ٥١.
(٢) قبالة الأندلس من أرض المغرب وفيها بلدان شتى كان لها ذكر مثل: سبتة، وأصيلة، ورصيف العدوة، ولواتة وغيرها.

بدونه؛ ففي الصحيح: «إن ربي قال يا محمد! إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يُرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسَنَةٍ بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها؛ حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً»[1].

وعاقبة التفرق فشل ونزاع، وذلك مقرر عند العقلاء؛ ولهذا وصف الله - تعالى - متفرقي القلوب بأنهم لا يعقلون: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

ولا خلاف بين المسلمين في وجوب إقامة شرع الله، وكذلك لا خلاف بينهم في وجوب الائتلاف معتصمين بكتاب الله، وتتأكد الدعوة إلى ذلك في ظل الفتن والاضطرابات التي تجتاح عالمنا الإسلامي، وما يُدرَى ماذا يكون وراءها، وأيّاً ما كان فإنها تتطلب وحدة الكلمة؛ ولا سيما كلمة أهل السُّنة من أتباع السلف والأئمة.

وفي هذه العجالة جملة مقررات شرعية تعين على تحقيق هذا المقصد، واستحضر - رعاك الله - وأنت تقرأها أن الجماعة صفة أهل السُّنة، وأن الحديث في هذا الصدد متوجه لأتباع السلف، المعظِّمين للكتاب والسُّنة، المبجلين للأئمة، من أي الطوائف كانوا؛ وإنما نبهتُ على هذا لأن أهل الفرق المخالفين للكتاب المختلفين فيه لهم شأن آخر، وفي التعامل معهم تفصيل ليست المقالة بصدده.

فمن المقررات الشرعية التي يساعد استحضارها على ائتلاف صف أهل السُّنة ما يأتي:

أولاً: رد العامة في مسائل الخلاف بين الإخوة إلى العلماء الراسخين الذين تبرأ ذمة العامة بتقليدهم، دون افتئات ممن هم دون أولئك عليهم، والنأي عن تعبئة العامة بفتاوى الأقران في بعضهم. وذلك لأن الاختلاف في المسائل والنوازل لا بد منه؛ لتباين الأفهام، واختلاف مناهج النظر، وتفاوت الناس في المدارك ومعرفة حقائق النوازل، وتفاوتهم كذلك في العلم بالشرع وأصول الأحكام، إلى غير ذلك من الأسباب، لكنه لم يكن لينجم عن ذلك ما تشهده الساحة الإسلامية في كثير من أقطار الأرض، لو اتُّبِع أمر الله.

والله - تعالى - قد أمر عند التنازع بالرد إلى كتابه - سبحانه - وسنة نبيه ﷺ، ثم بيَّن أن من النوازل ما قد يخفى على غير أولي الأمر من العلماء، فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ٨٣]، فخص بالعلم الذين يستنبطونه من أولي الأمر، وأوجب على العامة الرَّدَّ إليهم فقال: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]، بل أمر أهل العلم ببيان الحق ابتداءً، وتوعد كاتمه فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

والله - عز وجل - ما أمرهم بالبيان إلاَّ ليتَّبَع، وما توعدهم على الكتم إلا لخطر عاقبته؛ فالموفق من ردَّ الأمر إلى من أمر الله بالردِّ إليهم، والمسدد من شاورهم وعرض بحثه عليهم؛ فقد قيل: رأي الشيخ خيرٌ مِنْ مَشْهد الغلام، ومن استغنى برأيه خاطر، ورأي الفَذِّ لا تستغني به الخاصة، ولا يصلح للعامة. والاغترار بما عند المرء من العلم سبيل أمم أضلهم الله على علم؛ وقد كانوا يحسبون أن ما معهم من الفهوم فضلوا به على من سواهم، وأن ما عندهم من العلوم قد سبقوا به غيرهم، فاغتروا بعلم إن لم يكن باطلاً فهو لا يغني عنهم من الله شيئاً، ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [غافر: ٨٣]، فحري بك - أخا الإسلام - أن تراجع علماءك، وأن تحسن الظن بهم، وأن ترد الأمر إليهم؛ ولا سيما في القضايا التي تكون مظنة فرقة.

ومتى ترك الناس أمر الله لهم بالرد إلى علمائهم الراسخين، تفرقت كلمتهم، وتبعثرت جهودهم، وضاع مقصودهم؛ فالتنازع مُذهِبٌ لريح أهل الحق كما علمتَ، وبهذا جرت سنته - سبحانه - في خلقه. فإذا تباينت الآراء بعد القراءة والبحث، فحري بالمسلمين أن يردُّوا الأمر لأهل العلم الراسخين، وأن يصدروا عن قولهم راضين؛ فالله إنما أمر العامة بالرجوع إلى أهل العلم، فلا ينازعنهم في الأمر غيرهم ممن لا تبرأ الذمة بتقليدهم! ولا يكفي السلفي أنه سلفي لينـدرج في زمرة طلاب العلم فضلاً عن المشايخ دعك من العلماء المجتهدين الذين لهم قدم صدق في الأمة وبتقليدهم تبرأ الذمة، وإن قرأ بضعة كتب وحضر عند الأشياخ عدداً من المحاضرات والدروس، بل «قيل: إنما يفسد الناس نصف متكلم، ونصف فقيه، ونصف نحوي، ونصف طبيب؛ هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد اللسان، وهذا

(١) صحيح مسلم (٢٨٨٩).

يفسد الأبدان»[1].

ثانياً: ترك المراء والمجادلة التي تفضي إلى الشقاق والنزاع: والناس في هذا الشأن طرفان ووسط؛ فمن الناس من يفهم أن ترك المراء والجدل، يقتضي ترك البحث الشرعي، والمناظرة العلمية، والنأي عن الردود الشرعية، وهذا غلط، ومناظرات السلف والأئمة مع بعضهم، ومؤلفاتهم، وما أُثبت في سيرهم كل ذلك ينفي أن تكون هذه خطة سلفية.

والمراء المنهي عنه، هو «طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير»[2]، كذا قال صاحب التعريفات، وتبعه على ذلك المناوي وغير واحد من أئمة اللغة[3]، وقال صاحب الفروق: «الفرق بين الجدال والمراء قيل: هما بمعنى، غير أن المراء مذموم؛ لأنه مخاصمة في الحق بعد ظهوره وليس كذلك الجدال»[4]؛ ولهذا فالمراء مذموم في أصله إلا المراء الظاهر في مواضع بقيود، بخلاف الجدال ففيه المحمود وفيه المذموم، فالجدل ولو طال والردود وإن كثرت لا تُذَم، إذا كان الكلام في ذلك بمقتضى العدل، والقصد منه تقرير الحق وكشف الشبهة وردُّ الباطل؛ وإنما يذم الجدل إذا خرج عن حدود الشريعة، إلى أضرب من الاستطالة أو التحقير، أو الدفع عن الباطل المقرَّر بطلانه، ولهذا قال الله – تعالى –: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال الله – تعالى –: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: ٣٢]، ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١].

والمقصود التنبيه على ترك المراء، وكذا الجدال الذي لا يراد منه الوصول إلى الحق أو بيانه، لكن يراد منه إظهار مذهب أو الانتصار لقول أو قائل غير معصوم، قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: (وقد كره النبيُّ من المجادلة ما يفضي إلى الاختلاف والتفرق، فخرج على قوم من أصحابه وهم يتجادلون في القدر فكأنما فُقِئَ في وجهه حب الرمان، وقال: «أبهذا أمرتم؟ أم إلى هذا دُعيتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض! إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض»[5]، قال عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما –: فما أغبط نفسي كما غبطتها ألا أكون في ذلك المجلس)[6].

ثم قال: «وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله – تعالى – في قوله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩]، وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين. نعم من خالف الكتاب المستبين، والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة، خلافاً لا يعذر فيه؛ فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع... وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة»[7].

ثالثاً: حسن الظن بالأفاضل وحمل كلامهم على أحسن ما يمكن: قال الله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وتأمل سياق الآية فبعد أن أثبت الله – تعالى– للمقتتلين الإيمان فقال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾، أمر المؤمنين بالإصلاح، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، ثم خص بعد أن أمر بالتقوى فنهى المؤمنين عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، وتلك أمور ينتج عنها البغي، فالأنفاس المحمومة تنم عن اتقاد جمر القلب، والشُّرر كثيراً ما تقدح شرارته الألسنة الرطبة:

وإنَّ النَّارَ بالعُودين تُذْكَى
وإنَّ الحربَ أوَّلُهَا الكلامُ

وبعد أن خَصَّ الله – تعالى – النهي عن آفات اللسان التي قد يقع بها الشر بين المسلمين، نهى عن اشتمال القلب على الباعث، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم﴾ [الحجرات: ١٢]، فحسم مادة الشر من أصلها، وفي صحيح ابن حبان: «ذِكْرُ الزجرِ عن

(١) الرد على البكري: ٢/ ٧٣٠.
(٢) التعريفات للجرجاني، ص٢٦٦.
(٣) ينظر التوقيف على مهمات التعاريف ص٦٤٧، والمادة في تاج العروس.
(٤) الفروق اللغوية للعسكري، ص١٥٩.
(٥) رواه الإمام أحمد في المسند: ٢/ ١٧٨ (٦٦٦٨)، وابن ماجة في سننه (٨٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (٦٩)، وأصله في صحيح مسلم (٢٦٦٦).
(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٤/ ١٧١.
(٧) من رسالة شيخ الإسلام إلى أهل البحرين وهي في مجموع ابن قاسم: ٢٤/ ١٧٠ – ١٧٤.

سوءِ الظنِّ بأحدٍ من المسلمين»، وأورد فيه حديثَ أبي هريرة - رضي الله عنه - المتفق عليه: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث»[1]. قال سعيد بن المسيب: كتب بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ: أن ضع أمر أخيك على أحسنه، ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً[2].

ومن أحسن الظن بإخوته، لم يعتسف حمل التصرفات والأفعال على أسوأ وجوهها، ولو حققنا هذا في ما بيننا لارتفع شر كثير.

رابعاً: ينبغي حمل كلام الفضلاء على أحسن المحامل:

والفاضل يحتمل في حقه من التأويل ما قد لا يحتمل لغيره، فمن عُرِف بالخير، ثم بدرت منه بادرة تخالف ما عُهِد عنه وعرف به، فيجب التماس العذر له فيها مهما أمكن، بخلاف الذي لم يُعرَف بخير، وإنما عرف بالشر؛ ولهذا تجد المحققين من أهل العلم يعذرون بعض الغالطين في تفوُّههم بعبارات وألفاظ مجملة أو مطلقة تحتمل معانٍ شنيعةً عند إطلاقها، ويلتمسون لهم المخارج منها، ومع تغليطهم كلمات وإطلاقات فإنهم يمهدون لبعض المتحدثين بها من الأعذار ما لا يمهدون لغيرهم؛ وذلك لمعرفتهم بما سبق وثبت من فضل من التمسوا له العذر، وتأمل تفريق شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بين عبارات من عُرِف بالإلحاد من أصحاب وحدة الوجود كابن عربي، أو ابن الفارض، أو ابن سبعين، وعبارات من عُرِف بتعظيم الشريعة كأبي إسماعيل الهروي، أو أبي سعيد الخراز، ونحوهما، وذلك فرع عن معرفته بما كان عليه أمرهم، وبمن ثبت له الفضل منهم، فيحمل مجمل كلام هذا على مبينه، ومطلَقه على مقيَّده. وتفسيرُ تصرفات الناس وأقوالهم المجملة على ما عُهِد منهم، أَوْلى من اعتساف حملها على وجه سيء. قال السبكي: إذا كان الرجل ثقة مشهوداً له بالإيمان والاستقامة، فلا ينبغي أن يُحمَل كلامه وألفاظ كتابته على غير ما تُعوِّد منه ومن أمثاله، بل ينبغي التأويل الصالح، وحسن الظن به وبأمثاله[3]، ولو كان هذا التأويل بحمل قوله العام على معنى خاص، فقد تحدث العلماء عن تخصيص كلام المتحدث بالعادة والعرف والشرع وغيرها[4]، في أبواب الأيمان والطلاق وغيرهما.

وكذلك اعتبار الحال وما عُهِد من المرء لازم لمعرفة الظاهر من قوله، قال شيخ الإسلام: «واعلم أن من لم يحكم دلالات اللفظ ويعلم أن ظهور المعنى من اللفظ تارة يكون بالوضع اللغوي أو العرفي أو الشرعي... وتارة بما اقترن باللفظ من القرائن اللفظية... وتارة بما يدل عليه حال المتكلِم والمخاطَب والمتَكلَم فيه وسياق الكلام الذي يعيِّن أحد محتملات اللفظ... إلى غير ذلك من الأسباب التي تعطي اللفظ صفة الظهور؛ وإلا فقد يتخبط في هذه المواضع»[5].

خامساً: تجب مراعاة سابقة الفضل لمن بدرت منه هفوة: فيغتفر لهذا ما لا يغتفر لغيره، «ومن جعل من أخطاء الثقات سبباً في التجريح والاطراح فقد أخطأ»[6]، وقد قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: «من اتبع ظنَّه وهواه، فأخذ يشنع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صواباً بعد اجتهاده، وهو من البدع المخالفة للسُّنة، فإنه يلزمه نظيرُ ذلك، أو أعظم أو أصغر في من يعظمه هو من أصحابه، فقلَّ من يسلم من مثل ذلك في المتأخرين؛ لكثرة الاشتباه والاضطراب، وبُعْد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة الذي به يحصل الهدى والصواب، ويزول به عن القلوب الشك والارتياب»[7].

وقد روي: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم»[8]، وصححه بعضهم[9]. قال الطحاوي: «هم ذوو الصلاح لا من سواهم، ولم يخرجهم ما كان منهم من الزلات والهفوات عما كانوا عليه قبل ذلك من المروءات والهيئات التي هي الصلاح»[10]، قال ابن القيم - رحمه الله -: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول: وكذلك لطم موسى عينَ ملك الموت ففقأها ولم يعتب عليه ربه، وفي ليلة الإسراء عاتب ربَّه في النبي ﷺ إذ رفعه فوقه، ورفع صوته بذلك ولم يعاتبه الله على ذلك. قال: لأن موسى - عليه السلام - قام تلك المقامات العظيمة التي

(١) البخاري (٥٧١٩)، ومسلم (٢٥٦٣)، وانظر صحيح ابن حبان: ١٢/ ٤٩٩ (٥٦٨٧).
(٢) روي نحوه عن عمر، انظر تفسير سورة الحجرات للحافظ ابن كثير.
(٣) قاعدة في الجرح والتعديل، ص٩٣.

(٤) تقرير هذا تجده في كتب أصول الفقه كالتمهيد للأسنوي، وكتب الأشباه، كما في غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، وكتب القواعد الفقهية كما في قواعد ابن رجب، بالإضافة إلى كتب الفقه.
(٥) الفتاوى الكبرى: ٥/ ١٥٥.
(٦) ينظر الآداب الشرعية: ٢/ ١٤٥ (فصل في خطأ الثقات وكونه لا يسلم منه البشر).
(٧) درء التعارض: ١/ ٢٨٣.
(٨) رواه أبوداود في سننه (٤٣٧٥)، والنسائي (٧٢٥٣)، وابن حبان في صحيحه (٩٤)، وغيرهم.
(٩) كالألباني والأرناؤوط وغيرهما.
(١٠) بيان مشكل الآثار: ٦/ ٥١.

أوجبت له هذا الدلال، فإنه قاوم فرعون أكبر أعداء الله - تعالى - وتصدى له ولقومه، وعالج بني إسرائيل أشد المعالجة، وجاهد في الله أعداء الله أشد الجهاد، وكان شديد الغضب لربه، فاحتمل له ما لم يحتمله لغيره. وذو النون لما لم يكن في هذا المقام: سجنه في بطن الحوت من غضبة، وقد جعل الله لكل شيء قدْراً»[1]، هذا مع أن الله أكرم يونس، ولم يعامله المعاملة التي يستحقها غيره، فجعل في بطن الحوت كرامة له، جزاء فضله، ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤]، وقال - رحمه الله -: (من قواعد الشرع والحكمة أيضاً أن من كثرت حسناته وعظُمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل له ما لا يحتمل لغيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره؛ فإن المعصية خَبَثٌ، والماءُ إذا بلغ قلتين لم يحمل الخَبَث، بخلاف الماء القليل، فإنه يحمل أدنى خبث، ومن هذا قول النبي ﷺ لعمر: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»[2]، وهذا هو المانع له ﷺ من قتل من جسَّ عليه وعلى المسلمين، وارتكب مثل ذلك الذنب العظيم، فأخبر ﷺ أنه شهد بدراً، فدلَّ على أن مقتضى عقوبته قائم، لكن منع من ترتُّب أثره عليه ما له من المشهد العظيم، فوقعت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ما له من الحسنات، ولما حضَّ النبي ﷺ على الصدقة، فأخرج عثمان - رضي الله عنه - تلك الصدقة العظيمة، قال: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعدها»[3]، وقال لطلحة لما تطأطأ للنبي ﷺ حتى صعد على ظهره إلى الصخرة: «أوجب طلحة»[4]، وهذا موسى كليم الرحمن - عز وجل - ألقى الألواح التي فيها كلام الله الذي كتبه له، ألقاها على الأرض حتى تكسرت، ولطم عين ملك الموت ففقأها، وعاتب ربه ليلة الإسراء في النبي ﷺ، وقال: شاب بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي! وأخذ بلحية هارون وجره إليه، وهو نبي الله! وكل هذا لم ينقص من قدره شيئاً عند ربه، وربه - تعالى - يكرمه ويحبه، فإن الأمر الذي قام به موسى، والعدو الذي برز له، والصبر الذي صبره، والأذى الذي أوذيه في الله أمر لا تؤثر فيه أمثال هذه الأمور، ولا تغير في وجهه، ولا تخفض منزلته.

(١) مدارج السالكين: ٢/٤٥٦.
(٢) صحيح البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).
(٣) رواه الترمذي (٣٧٠١) بلفظ: «ما عمل بعد اليوم»، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، وانظر تخريج مشكاة المصابيح (٦٠١٨)، وباللفظ المذكور رواه البيهقي في الدلائل: ٥/٢١٥، وغيره.
(٤) رواه الترمذي (١٦٩٢)، وابن حبان (٦٩٧٩)، وصححه جمعٌ من أهل العلم.

وهذا أمر معلوم عند الناس، مستقر في فطرهم، أن من له ألوف من الحسنات، فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها؛ حتى إنه ليختلج داعي عقوبته على إساءته، وداعي شكره على إحسانه، فيغلب داعي الشكر داعي العقوبة كما قيل:

وإذا الحبيبُ أتى بذنبٍ واحدٍ
جاءتْ محاسنُه بألفِ شفيعِ

وقال آخر:

فإن يكنِ الفعلُ الذي ساءَ واحداً
فأفعاله اللاتي سَرَرنَ كثيرُ

والله - سبحانه - يوازن يوم القيامة بين حسنات العبد وسيئاته، فأيهما غلب كان التأثير له، فيفعل بأهل الحسنات الكثيرة، والذين آثروا محابَّه ومراضيه، وغلبتهم دواعي طبعهم أحياناً من العفو والمسامحة ما لا يفعله مع غيرهم)[5].

سادساً: تجب مجاهدة النفس على إنصاف المخالفين:

ولا أقل من الإنصاف، فهو واجب تظاهرت عليه النصوص. قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، وقال في الآية قبلها: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فانظر كيف أمر بالعدل، ثم لم يقتصر عليه فجاوزه للإحسان، ثم لم يقتصر على مطلقه حتى خص بالإيتاء قوماً، ثم لم يقتصر حتى أكد بالنهي عن البغي وقول الفحش والنكر.

وحري بالسلفي أن يسير على خطى سلفه في هذا، وقد سجل الجيل الأول من سلفنا الصالح في ذلك صفحات مشرقة، رغم ما وقع بين بعضهم؛ فعن محمد بن سيرين قال: قال رجلٌ لعلي - رضي الله عنه -: أخبرني عن قريش، قال: أرْزَنُنَا أحلاماً إخوتُنا بنو أُمية[6]، فتأمل هذا مع ما كان بينهما، وعن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، قال: ذُكر عند علي يوم صفين (أو يوم الجمل) فذكرنا الكفر، قال: لا تقولوا

(٥) مفتاح دار السعادة: ١/١٧٦.
(٦) رواه معمر في الجامع: ١١/٥٦، وعنه عبد الرزاق: ٥/٤٥١ بسند صحيح.

ذلك، زعموا أنَّا بغينا عليهم، وزعمنا أنهم بغوا علينا، فقاتلناهم على ذلك[1].

وفي المقابل لما جاء معاويةَ نعيُ عليٍ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا فقدوا من العلم والخير والفضل والفقه! قالت امرأته: بالأمس تطعن في عينيه، وتسترجع اليوم عليه؟ قال: ويلك، لا تدرين ما فقدنا من علمه وفضله وسوابقه[2]، وقد كان معاوية - رضي الله عنه - يستفتي علياً - رضي الله عنه - مع ما كان بينهما[3].

وعن عاصم بن كليب عن أبيه قال انتهينا إلى علي - رضي الله عنه - فذكر عائشة فقال: خليلة رسول الله ﷺ قال الذهبي بعد أن ساق الخبر: «هذا حديث حسن، ومصعب فصالحٌ لا بأس به، وهذا يقوله أمير المؤمنين في حق عائشة مع ما وقع بينهما، فرضي الله عنهما»[4].

وجاء رجل فوقع في عمار - رضي الله عنه - عند عائشة، فقالت: ... أما عمار فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يخير بين أمرين إلا اختار أرشدهما»[5].

فحري بنا أن نأتسى بسلفنا في إنصافهم مخالفيهم الذين خرج الخلاف بهم إلى حدِّ القتال، وهذا الإنصاف تبقى ثمرته للأجيال التالية؛ فمعرفة الصحابة - رضوان الله تعالى عنهم - قدر بعضهم، مما أوجب لمن جاء بعدهم من أهل السنة عدم الاغترار بما شجر بينهم، ومعرفة فضلهم.

ومن الإنصاف إثبات الأعذار التي يظهر قيامها بالمخالف من أهل السنة، وفي هذا الشأن كثيراً ما يدخل الشيطان ليوهم المسلم بأن ما هو فيه من الشقاق مع إخوانه مقتضى الشرع، وإنما هو لله، وأن أخاه المخالف له ليس معه من الحق شيء، وليس له من التأول ما يسوِّغه عالم، وأن الحق الذي معه لا يخفى إلا على خفافيش البصائر، ثم يُسَهِّل على العبد أن يبكع أخاه بالبوائق، كالعمالة لأهل الكفر، أو البغي والخروج عن الطاعة، فتستعر العداوة، وتعظم الفتنة بين الإخوة، وكثير منهم يخادع نفسه، ويمنِّيها أماني بموافقة الشريعة، وربما دخلت على قصد ضعيف الإيمان دواخل أخرى. ولا يُستكبر وقوع بعض الفضلاء في هذا فقد وقع فيه على مر التاريخ أفاضل من بني الإسلام، فأريقت دماء زكية، وأهدرت أموال محترمة، وضعفت الدولة، وكادت ريح المسلمين أن تذهب، وما بان الأمر لكثير من ذوي الأفهام إلا بعد أن وقع أمر الله، وظهر ما جفَّت به الأقلام، وانطوت عليه الصحف، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ختاماً: الحديث ذو شجون والمقام لا يتسع، وقد رميت الدعوة السلفية بسهام المنون على مر عصور الإسلام منذ عهود الصدر الأول وهلمَّ جراً، لكن شأن أهلها ظل كما قال الأول:

فَبَقِينا عَلى الشَناءَةِ تَنمِيـ
ـنا حُصونٌ وَعِزَّةٌ قَعساءُ
قَبلَ ما اليَومِ بَيَّضَت بِعُيونِ الـ
ـناسِ فيها تَعَيُّطٌ وَإِباءُ
وَكَأَنَّ المَنونَ تُردِي بِنا أَر
عَنَ جَونٍ يَنجابُ عَنهُ العَماءُ
مُكفَهِراً عَلى الحَوادِثِ لا تَر
تَوهُ لِلدَّهرِ مُوئِدٌ صَمَّاءُ

وستبقى الدعوة السلفية كذلك ما شاء الله - تعالى - شامخة؛ فلا تزال طائفة من الأمة على الحق ظاهرة، لا يضرها من خالفها ولا خذلها، وهذه الطائفة متفرقة اليوم بين أفراد وجماعات وجمعيات ومؤسسات، فيهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، وفيهم السابق بالخيرات، وعلى أهل الحجا والعلم من تلك الطوائف كلها أن يعملوا على توحيد صفوفهم، لتنتج الجهود السلفية غاياتها المرجوة، وتنهض بالأمة في شؤون الحياة المختلفة؛ ولا سيما في هذه الآونة، التي تحتاج فيها الأمة إلى جهود هؤلاء مجتمعة.

وقد قال ربنا - سبحانه -: ﴿**وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [الروم: ٣١ - ٣٢]، «ومن نصب شخصاً كائناً من كان، فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو ﴿**مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا**﴾»[6]، والله أعلم.

---

(١) ورواه ابن عساكر: ٣٤٣/١ وغيره بسند صحيح.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في مقتل علي (١٠٦)، وفي حِلم معاوية (١٩)، والسقطي في فضائل معاوية (٢٩)، وابن عساكر: ١٤٢/٥٩، من طريق جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة بن مِقْسَم، وسنده صحيح إليه، وهو يروي عن جمع من ثقات أصحاب معاوية وعلي رضي الله عنهما.

(٣) الأم للشافعي: ٣٠/٦ و ١٣٧، وعبد الرزاق: ٤٣٣/٩، وابن أبي شيبة: ٤٠٢/٩، وسعيد بن منصور: ٤٠/١، والغريب للخطابي: ١٩٩/٢، وحلم معاوية (٣٧)، والكلاباذي في بحر الفوائد: ٤٦٦/١ رسالة دكتوراة، ابن عساكر: ٤١٥/٤٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ترجمة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: ١٧٧/٢.

(٥) والأثر مختصر انظر السلسلة الصحيحة، للألباني: ٤٨٩/٢ رقم (٨٣٥).

(٦) الفتاوى: ٨/٢٠.

أيها السلفيون! استقيموا يرحمكم الله

أحمـــــد فـهـمـي
afahmee@hotmail.com

يحمل الروائي المصري المعروف جمال الغيطاني مشاعر خاصة تجاه التيارات الدينية عموماً، والسلفيين خصوصاً. ولا عجب في ذلك؛ فالرجل عَلماني حتى النخاع، وتجلَّت مشاعره الفياضة في تعليقه على الظهور السلفي في مرحلة ما بعد ثورة ٢٥ يناير. يقول الغيطاني: «لست خائفاً من النشاط السلفي، ولست منزعجاً من السلفيين؛ فالثورة كشفت عن الحفر التي تعيش بها الثعابين، ويمكننا مقاومتهم بكل سهولة»[١].

لا أدري حقيقة كيف سيستفيد الأستاذ غيطاني من هذا الكشف المذهل حول «ثعبانية» السلفيين؛ هل يمكن أن يقترح - مثلاً - تعليق نبات «الشيح» على اللجان الانتخابية ومبنى مجلس الشعب لإبعاد السلفيين؟ أم سيلجأ إلى السحرة الشعبيين لصرفهم؟ أم تراه سيؤذنهم ثلاثاً خشية أن يكونوا من الجن؟

في مواجهة هذا الاتهام «الثعباني» يبدو الاتهام الآخر للسلفيين بـ (أنهم خرجوا من الكهوف) مهذباً ورقيقاً؛ فعلى الأقل في هذه الحالة يحتفظ السلفيون بـ «إنسانيتهم»؛ فقد أصبح نفي التهم عن التيارات السلفية الآن يتضمن هذا المعنى؛ حتى إن الدكتور محمد سليم العوا على الرغم من الخلافات الفكرية بينه وبين السلفيين في بعض القضايا، إلا إنه اضطر لتوضيح هذه الحقيقة فقال: «إن السلفيين ليسوا غيلاناً»[٢]. أما وقد ثبت ذلك بالأدلة القاطعة، وأن السلفيين لم يأتوا من المريخ، وأنهم يسكنون الأرض منذ مئات السنين، فقد لجأ العلمانيون إلى تحليلات أخرى للفكر السلفي.

نظم المجلس الأعلى للثقافة (وهو هيئة حكومية تابعة لوزارة الثقافة) ندوة موسعة تحت عنوان «الجماعة السلفية في مصر»، تحملت تكلفتها - طبعاً - ميزانية الوزارة، وشهدت الندوة هجوماً ضارياً على الفكر السلفي، وتبارى باحثون وأكاديميون في توجيه التهم وإلصاق الأفكار الشاذة بالسلفيين.

تحدث في الندوة باحث تاريخي يُدعى محمد حافظ دياب، فقال: إن السلفية تعد بالنسبة للولايات المتحدة خطراً أحمر؛ نظراً لما تعانيه من جماعات سلفية أخرى مثل حزب الله اللبناني! وقال دياب: إن السلفيين حولوا قبر النبي ﷺ إلى «دورة مياه»، وإنهم يصفون الرسول ﷺ بأنه «ساعي القرآن»، وأضاف: إن السلفيين يُحرِّمون النوم على البطن، والسفر إلى بلاد الشرك، وارتداء النظارة، وترك السواك، وقراءة الصحف، وإنهم يلزمون المرأة بعدم استعمال اليسرى، وأنها يجب أن تسير في الطريق وراء محرمها، وأن تبتعد عن وسائل الإعلام، لكنه في الوقت نفسه يقول: إن

(١) اليوم السابع: ١٩/٤/٢٠١١م.

(٢) اليوم السابع: ١٧/٥/٢٠١١م.

السلفيين يملكون ٣٦ قناة فضائية[1].

لقد كان الظهور السلفي بعد الثورة مفاجئاً وقوياً وصادماً، حتى أنه اصطدم بـ «رأس» العَلمانيين فأصابها بـ «هلوسة» فكرية تجلَّت مظاهرها لكل متابع ومراقب للشأن المصري، وهي «هلوسة» موروثة ومعهودة تتكرر دوماً عندما يُصاب أعداء الدين بصدمة عصبية جراء رؤيتهم تنامي الإسلام وارتفاع رايته، فينصرفون عن الاتعاظ بعلو الدين إلى تكلُّف أسباب زائفة لظهوره ورفعته، وهذه «الهلوسة» وصفها القرآن الكريم في قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ١٨ - ٢٥].

للإنصاف أقول: لا يمكن إنكار أن السلفيين لعبوا دوراً كبيراً في مساعدة العَلمانيين على مهاجمتهم؛ فمن المسلَّم به أن كيانات العَلمانيين وأفرادهم يتغذون على أخطاء الإسلاميين، فتنمو أجسادهم وتكبر أفكارهم بها، وإذا ما توقف الإسلاميون عن ارتكاب الأخطاء فستحدث للعَلمانيين مجاعة فكرية قد لا يستقيم لهم عود بعدها.

إن واقع الأمر أن القوى العَلمانية لا تخشى من إخفاقات أو سلبيات التيارات السلفية؛ لكنها تخشى من نجاحها، ومن اعتدالها، ومن بُعدِها عن التطرف، ومن إقبال الناس عليها؛ فهم يطالبون السلفيين بالاعتدال والتسامح ثم يتمنون في أنفسهم ألا يفعلوا؛ لأنهم لو فعلوا فستزيد شعبيتهم ويرتفع مستوى إقبال الجماهير عليهم، وسيكون ذلك خصماً من رصيد العَلمانيين المتدهور أصلاً، وقطعاً للطريق السياسي عليهم، وهذا الخوف لا يشمل السلفيين وحدَهم، بل يتعداه إلى التيارات الإسلامية جميعها.

القطاعات السلفية الرخوة:

هناك ظاهرة خطيرة تعرِض للتيارات السلفية عندما تنتقل من حالة التضييق والخنق الدعوي، إلى حالة الانفتاح والحرية، هذه الظاهرة تتسبب في إفراز أغلب الأخطاء الصادرة عن التيارات السلفية، حيث تظهر للعيان مجموعات متفرقة - قديمة أو حديثة - تحمل أجندات مطالبَ جزئية لا تتناسب مع أولويات المرحلة ومتطلباتها، وتنطلق هذه المجموعات دون وعي واقعي أو استيعاب لما هو ممكن أو غير ممكن من الناحية السياسية؛ فتتحرك وَفْقَ رؤى تستند مباشرة على المبادئ والقيم؛ بغضِّ النظر عن كون القضية المتبنَّاة كُلية أو جُزئية، كبيرة أو صغيرة؛ فكل ما يندرج تحت مبدأ ديني كُلِّي يكتسب بدوره صفة «الكلِّيَة» بغض النظر عن قيمته الواقعية.

هذه المجموعات التي يكثر عددها ويتسع نشاطها في مناخ الانفتاح السياسي، يمكن وصفها بـ «القطاعات الرخوة» داخل بنية التيارات السلفية، ويعود ظهورها إلى عاملين رئيسيين:

العامل الأول: هو الطبيعة الفطرية للتدين السلفي: فهو تدين تلقائي يمكن حدوثه بدون أي تدخلات خارجية، بمجرد الاطلاع على المصادر الأصلية للإسلام متمثلة في الكتاب والسُّنة، مع الكتب المفسِّرة لهما؛ وذلك مقارنة بتيارات إسلامية أخرى مثل جماعة الإخوان المسلمين على سبيل المثال؛ حيث لا بد أن يسبق الانتماءَ إلى الجماعة تدخُّل خارجي وإعداد فكري ممنهج، بينما في الحالة السلفية حتى عندما يكون هناك تدخُّل خارجي يدفع إلى التدين، فإنه - غالباً - لا توجد أي إعدادت تتعلق بالانتماء.

هذه التلقائية في التدين (والانتماء) السلفي، لها مميزاتها وسلبياتها، وأبرز السلبيات هو ضعف الأُطُر الفكرية لعدد كبير من المنتمين إلى السلفية، وهو ما يجعلهم قطاعات رخوة يسهل اندفاعها أو اختراقها أو توجيهها؛ على الرغم مما يحمله أفرادها من عواطف مخلصة ونيات صادقة.

العامل الثاني: ضعف الأطر التنظيمية: توجد عدة أشكال تنظيمية للمجموعات السلفية في مصر:

• نموذج الشيخ والأتباع: ويمكن تشبيهه بنقطة (الشيخ) أمامها خط مستقيم (الأتباع)؛ فكلما ابتعد الشخص أو الأشخاص عن القطاع المقرَّب من الشيخ، كان تأثُّره أضعف وارتباطه متدنٍّ؛ فيكون الأشخاص الذين هم على طرفي الخط من الجانبين بمثابة قطاعات رخوة، ويمكن أن يجمع عدد كبير من أفراد السلفيين بين الانتماء لأكثر من «نقطة» (شيخ) في الوقت نفسه.

• نمط التيار العام: الذي يمتلك منطقة تنظيمية مركزية يحيط بها دوائر من الأتباع المرتبطين (أدبياً أو علمياً) مع هلامية الارتباط التنظيمي؛ فيكون الانتماء هنا أشبه بالغطاء الذي يتمدد ليشمل مجموعات سلفية متفرقة؛ يتوفر لديهم

(١) الوفد ١٧/٥/٢٠١١م.

الالتزام الأدبي والمنهجي بتبعيتهم للمركز دون أن يكون هناك هياكل تنظيميـــة أو إدارية واضحة يُمارَس العمل من خلالها، وهـــذا النموذج يُنتِج أيضاً قِطاعـــات رخوة، ولكن بدرجة أقل من سابقه.

• نموذج الجماعة ذات الإطار الفكري والتنظيمي المحكم: وهي تشـــبه المركز الذي تحيط به دائرة، فيكون ارتباط كافة القطاعات بالمركز على درجات متســـاوية من القوة، وفي هذا الشـــكل تكون القطاعات الرخوة في حدها الأدنى؛ ولكن هذا النموذج هو الأقل انتشاراً في الأوساط السلفية.

الانكشاف السلفي:

هنـــاك ظاهرة أخرى تُصاحب التيارات الســـلفية عندما تنتقل من الضيق إلى الســـعة؛ وهي «حالة انكشـــاف» شاملة لها ثلاثة مجالات:

١ - **انكشـاف فكري منهجي:** حيث يواجهون ظروف معقدة ومتشابكة دون غطاء فكري، ومن المعروف أن شكل التلازم بين الفكر والحركة يؤثر بدرجة كبيرة على أداء الجماعة أو التيار؛ فالوضع السليم أن يسبق الفكرُ الحركة بقدر مناسب فتنطلق الجماعـــة وَفْقَ رؤى واقعية مســـبقة دون ارتباك أو غموض؛ لكن فـــي بعض الأحيان يتأخر الفكر عـــن الحركة فيصطبغ الأداء بالعشـــوائية والتذبذب، وفي أحيان أخرى يسبق الفكرُ بمسافة أطول من اللازم، فتُغرق الجماعة في التنظير وتبتعد عن الواقع.

٢ - **انكشـاف إعلامي:** حيث لم تســـتطع التيارات السلفية حتى الآن صياغة خطاب إعلامي يتناسب مع خطورة المرحلة التي يمر بها العمل الإســـلامي؛ فلا يزال الخطاب الإعلامي الســـلفي مفتقداً لـ «الجدلية» والقـدرة علـــى الإقناع؛ فهو خطاب يُناسب في الأساس الموالين والأنصار وليس المخالفين، كمـــا أنه خطاب لا يفرق بين الداعية الذي يجلِّي الحق للناس دون مواربة، وبـــين الإعلامي الذي يجب أن يجيد فن المناورة والمداراة.

٣ - **انكشـاف تنظيمي:** فالنماذج التنظيمية التي ســـبقت الإشـــارة إليها، والتي تصف الواقع السلفي المصري، لا يتوائم منها مع الواقـــع الحالي إلا النموذج الثالث الأقل انتشـــاراً؛ علـــى الرغم من أنه النموذج الوحيد الذي يضمن أُطُراً فكرية وتنظيمية قوية للمنتمين إلى التيارات السلفية، بالدرجة التي تقلل من ارتكاب الأخطاء والزلات والاجتهادات الفردية المغردة خارج السرب.

إن الســـلفيين يُفترض بهـــم أن يكونوا مـــن أكثر الناس حفاظاً على الصلاة في المســـاجد؛ حيث يصطفون في مشهد عجيب مهما كثر عددهم وتباعدت صفوفهم، وبمجرد أن يبلغ مسامعهم نداء الإمام: استقيموا... يبادرون على الفور الكتف في الكتف والقدم في القدم؛ فلا بروز مخالف إلى الأمام، ولا ثغرة ينفذ منها الشيطان.

ما أشـــد حاجـــة الســـلفيين الآن إلى محاكاة مشـــهد الصلاة في أدائهم الدعوي، وحَراكهم السياســـي، وتواصلهم مع المجتمع. إن نداء «اســـتقيموا» يجب أن يبقى حاضراً في أذهانهـــم دوماً وفي كل حين؛ فلا يبـــرز منهم بارز إلى الأمام فيشوش على الصف، ولا يتأخر أحدهم إلى الخلف أو ينكمش في مكانه فيفتح بمســـلكه ثغرات لشياطين الإنس كي ينفذوا منها إلى الصف الإسلامي.

إن القطاعـــات الرخوة والأشـــكال التنظيمية الباهتة لم تعد تناســـب هذه المرحلة الي يمر بها العمل الإســـلامي في مصـــر؛ فيجب على القادة والرموز والعقـــلاء أن يبادروا إلى تقويـــة وتدعيم الأطر الفكرية والتنظيمية للتيارات الســـلفية وتمديدها؛ لكي تســـتوعب كافة المجموعات المتفرقة الموجودة على الســـاحة؛ وهذه المهمة لها أولوية على تأسيس الكيانات والهيئات والمؤسســـات التي تنطلق من تجمعات جزئية؛ لأنها تعيد إنتاجاً للتفرُّق الســـلفي، كما أنها تركِّز على النخبة دون اهتمام بالأغلبية الســـلفية «الصامتة»، بينما الأولوية المطلقة يجب أن تكون للتجميع لا التفريق.

ولا يعني ذلك بالضرورة أن يندمج السلفيون في إطار واحد؛ فلا بأس من تعدد الكيانات؛ إذ الهدف من ذلك هو اســـتيعاب المجموعات «الســـائبة» والأفكار «الشاردة» حتى لا تؤثر بأدائها وعملها على المجموع الســـلفي؛ فقبل أكثر من ثلاثين عاماً، لم تكن المجموعة التي اغتالت الرئيس السابق أنور السادات تشكِّل أغلبية وسط الســـلفيين؛ ولكنها باجتهادها المنفرد – بعيداً عن السلفيين والإسلاميين بصفة عامة – وضعت التيارات الإسلامية جميعها في حالة من الضيق والاختناق استمرت ثلاثين عاماً.

ما أشد حاجتنا الآن إلى دعاة ورموز ينطلقون في أوساط السلفيين وهم يحملون نداءً واحداً: **استقيموا يرحمكم الله**.

الرضيع

طفلي الرضيع

خصائصة ـ صحته ـ تربيتة

مشروعنا
وظف مختلف
المتخصصين

مشروعنا:

- بناء علمي منهجي.
- تنويع في شكل المعلومات.
- توظيف المتخصصين بكافة مجالاتهم في مراحل المشروع.
- توسيع دائرة المشرفين في منتجات المشروع.
- تنويع بيئات المشاركين وتجاربهم.

www.albayan.co.uk

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

السلفيون
وقواعد اللعبة السياسية

حسن الرشيدي(*)
istratigi@hotmail.com

«الإسلام يملك جوهراً ثابتاً تتوالى عليه الدهور فيتغير المظهر دون الجوهر؛ ومعنى ذلك: أن الأصولية أصيلة فيه، وفي ظروف الأزمات تعود للظهور باعتبارها الجزء الأصيل من ماهيته».

هذا قول المستشرق الغربي أرنست جلنر، وهذا ما يحدث فعلاً على أرض الواقع؛ فالمزاج العربي والإسلامي بات في السنوات القليلة الماضية سلفياً.

ونحن نشهد الآن من وسائل الإعلام التي يهيمن عليها قطاع كبير من الليبراليين هجوماً كاسحاً على السلفيين في كثير من بلاد العرب، ويتزامن هذا مع الصعود الثوري للجماهير ونجاحها في تغيير الأنظمة في أكثر من دولة، وتبدُّل قواعد اللعبة السياسية.

قواعد اللعبة السياسية:

اصطلح الممارسون للعمل السياسي على تسمية الأسس التي تحكم الصراع بين الأطراف السياسية المختلفة بقواعد اللعبة؛ حيث يتم تشبيه ساحة الصراع أو البيئة التي تمارس فيها الأطراف المختلفة ضغوطاً لتحقيق أكبر قدر من الأهداف بساحة الألعاب التي يطلِق عليها بعضُهم مسمى الطاولة السياسية.

هذه الأسس أو القواعد أو دعائم الطاولة تشمل: تحديد أطراف الصراع المختلفة، وطبيعته، ونوعه؛ وعلى ضوء هذه القواعد يمكن لأي طرف في هذا الصراع اتخاذ المواقف السياسية والخيارات الأقرب لتحقيق أهدافه.

ولعل نظرية الألعاب أو The Theory of Games هي إحدى التطبيقات العلمية لممارسة السياسة بهذه القواعد، وقد طوَّرها عدد من علماء السياسة أمثال مارتن شوبيك وفون نيومان؛ حيث بيَّنا أن هناك نوعين من هذه الألعاب: لعبةٍ صفرية: وفيها يحاول أحد أطراف الصراع تحقيق أهدافه فقط، ولا يسمح للطرف الآخر بتحقيق أهدافه. وهذه اللعبة لها قواعدها التي تختلف عن اللعبة غير الصفرية التي يسمح فيها كل طرف للآخر بتحقيق جزء من أهدافه.

(*) مدير المركز العربي للدراسات الانسانية بالقاهرة.

كذلك يدرك السياسيون أن اللعبة السياسية قد تكون لها أبعاد دوليـــة أو إقليمية ومحلية، وفي الغالب فإن الخصائص الثلاث السابقة قد تشترك في مكوِّن اللعبة السياسية.

وتحديد أيٍّ من الأبعاد الثلاثة الســـابقة داخل في اللعبة، يســـمح لنا بتحديد من يتحكم في قواعد اللعبة. وهذه أخطر درجات الصراع السياســـي وأهمها؛ حيث تتنافس الأطراف السياسية المختلفة الداخلة في الصراع – سواء كانت محلية أو إقليمية أو دولية – على وضع قواعده، وتحديد معالم الطاولة السياسية وأبعادها، وإنشاء دعائمها المختلفة.

ولذلك في أعقاب ســـقوط النظم السياسية ونشوء نظام جديد، فإن القوى السياســـية تتصارع لإعادة إرســـاء قواعد اللعبة الجديدة، وتشييد دعائم للطاولة. فبينما تحاول أطراف في الصراع السياسي إبقاء قواعد اللعبة القديمة التي تخدم أهدافها تعمـــل الأطراف الأخرى التي تضـــررت من قواعد اللعبة القديمة على أن تهدم القواعد التي أعاقتها عن تحقيق أهدافها قبل أن تشرع في تحقيق هذه الأهداف.

هذه القواعد قد تكون قانونية، مثل: قانون دولي أو دستور محلـــي، وقد تكون متجـــاوزة الصيغة القانونيـــة وَفْقاً لإرادة الطرف الأقوى في الصراع.

وفـــي النهاية يحاول الطرف الأقـــوى في الصراع المحلي – مثـــلاً – فـــرض قواعده في اللعبة مراعيـــاً قواعد تضعها الأطراف الأقوى منه (دولياً وإقليمياً) لحين تغيُّر موازين القوى الإقليميـــة والدولية، بينما يحاول الطـــرف الأضعف الالتزام بقواعد اللعب التي رسمها الطرف الأقوى، وفي الوقت نفسه يســـتكمل أدوات قوَّته ويغير بالتدريج قواعد اللعب لتكون في صالحه في نهاية المطاف.

ففي الواقع المكِّي في بدايات الرسالة كان طرف الجماعة المســـلمة هو الأضعف فلم يأذن الرسول ﷺ للصحابة بالقتال؛ لأن الصراع حينئذٍ كان صفرياً؛ فلا يسمح المشركون للمسلمين بتحقيق أهداف الدعوة إلى الله؛ لذلك حاول الطرف المســـلم اســـتكمال دعوته بمد الدعوة إلى أماكن أخـــرى (الطائف)، وقبائـــل غير قريش (الأوس والخزرج)، حتى نجحت الجماعة المســـلمة في إيجاد موطئ قدم لها فـــي المدينة ومن ثَمَّ أُعلِنت الدولـــة، وهنـــا أصبح ميـــزان القوى يميـــل تدريجياً لجانب المســـلمين حتى وقعت حادثة مفصلية في الصراع الدائر بين المسلمين والمشـــركين؛ تمثلت في صلح الحديبية؛ عندما أراد المســـلمون الذهاب إلى مكة لأداء الحج وعلم المشركون بالأمر فحاولوا إيقاف المســـلمين عن مسعاهم. وهنا في هذا الصراع السياســـي أثبت النبي ﷺ حساً إســـتراتيجياً رائعاً في إدارة الصراع، وقدرته على التحكم في اللعبة السياسية؛ فهو مدرك أن قوة المســـلمين تنامت بحيث إنها أثرت في طبيعة الصراع فأضحى غير صفريٍّ؛ يســـمح كل طـــرف فيه للآخر بتحقيق جـــزء من أهدافه، ومن ثَمَّ دخل المســـلمون في مفاوضات مع مشـــركي قريش انتهت بتحقيق كل فريق لجـــزء من أهدافه؛ فالمشركون نجحوا في منع المسلمين من أداء عمرتهم ونجحوا أيضاً في اســـترداد من يأتي من المشركين مسلماً، بينما نجح المســـلمون في تحقيق الإنجاز الأكبر الذي يتمثل في اعتراف المشـــركين – للمرة الأولى – بالدولة الإســـلامية؛ بل ونجحوا أيضـــاً في بعض الأهـــداف الأقل مثـــل أداء العمرة في العام التالي، ونجحوا في حقن دماء المســـلمين؛ بل وازدادوا ثقة في دعوتهم أنها ستكتسح المشركين إن طال الزمن أو قصر وليس بالسلاح فقط. ولم يخضع النبي ﷺ لضغوط الصحابة الذين لم يروا هذه الأبعاد من اللعبة السياسية واعترضوا على ما بدا لهم تنازلاً في استبدال (بسم الله الرحمن الرحيم) بـ (باسمك اللهمَّ) و (محمدٍ رسول الله) بـ (محمدٍ بن عبد الله). فقد كان النبـــي ﷺ يرى أن هذا الموقف لا يحتمل مزيداً من الضغوط، ومـــن ثَمَّ فإنه ليس من المصلحة فرض مزيد من الأهداف مما لا يمكن للطاولة السياســـية أن تتحملـــه في هذه اللحظة إلى أن تبدَّل الموقف عنـــد فتح مكة، وأصبحت اللعبة صفرية مرة أخرى؛ ولكن هذه المرة لصالح المسلمين؛ فلن يُقبل من المشركين إلا الدخول في الإســـلام أو الدخول في قتال الطرف الأقوى هم المسلمون.

وتبـــرز أيضاً الانتفاضة الفلســـطينية فـــي عام ٢٠٠٠م مثالاً للعبة السياســـية الصفرية؛ فالطرف الفلســـطيني في الصـــراع لا يمتلك كثيراً من الأوراق فـــي صراعه مع الدولة الصهيونية، فحاول جاهداً اســـتجلاب مزيد من أدوات القوة عبـــر الانتفاضـــة وبالتدريج كان الطـــرف الصهيوني يحاول أيضاً انتزاع تلك الأدوات ليظـــل الصراع في مرحلة صفرية يعجز فيها الفلســـطينيون عن تحقيق أيٍّ من أهدافهم. ولكن مع دخول حماس اللعبة السياســـية المسموح بها ونجاحها في

السيطرة على قطاع غزة تغيرت قواعد اللعبة؛ لذلك حاولت آلة الحرب الصهيونية تغيير تلك القواعد في أواخر عام ٢٠٠٨م وتحديدها بأنه لا يمكن للسيطرة الحماسية على القطاع أن تدير الدولة فتصبح دولة فاشلة.

وفي مصر قبل الثورة كانت اللعبة السياسية صفرية بين النظام المصري المنهار وبين قوى المعارضة الإسلامية؛ بحيث لا يسمح بتشكيل أحزاب ذات مرجعية إسلامية، وتم منع أي من القوى الإسلامية من تحقيق أهدافها، ومع انهيار النظام في ثورة في ٢٥ يناير انهارت معه قواعد اللعبة السياسية، وبدأت البلاد في مرحلة لتشكيل قواعد جديدة للعبة السياسية وحاولت الثورة صبغ سماتها في قواعد اللعبة السياسية في مصر، ومنها:

القانون: ليصبح سيد الموقف في المجتمع المصري.

الحرية: وفي مقدمتها الحرية السياسية.

الدين المنفتح على التيارات الفكرية الأخرى.

ولكن الخارج كان له أيضاً إطلالته وتأثيره على المشهد السياسي المصري؛ سواء إقليمياً متمثلاً في إيران وإسرائيل والدول العربية أو دولياً، وبالذات الولايات المتحدة.

لذلك حاولت القوة الرئيسية الداخلية متمثلة في الجيش المصري – التي كان لها الدور الأكبر في تمرير سيناريو الثورة وتغيير النظام بهذا الشكل الأقل دموية؛ مقارنة بنظيره في الدول المجاورة – وَضْع قواعد جديدة للعبة، مراعية العوامل الخارجية وفي الوقت نفسه عدم تجاوز دور الجماعات الإسلامية ذات النصيب الأكبر في ثبات الثورة، فظهرت اللعبة السياسية غير الصفرية التي تسمح بوجود أحزاب ذات مرجعية إسلامية؛ ولكنها في الوقت نفسه لا تستطيع النزول بثقلها الكامل لتفرض خياراتها على المجتمع بالطرق السياسية مع قدرتها على ذلك مراعاة للضغوط الخارجية.

السلفية:

عند الحديث عن السلفية يجب أن نفرق بين مستويين في التعامل مع هذا المصطلح؛ بين الفكرة نفسها وبين تطبيقاتها في المجال الواقعي والعملي.

ففي المستوى الأول: نجد أن السلفية هي منهج فكري لفهم الإسلام، له قواعد وأصول. والمقصود به رؤية القرآن والسُّنة وتطبيقهما بمنظور وفهم السلف الصالح وهم الصحابة – رضوان الله عليهم – والتابعون وتابعو التابعين؛ أي القرون الثلاثة الأولى ومن تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين. وتقوم الفكرة السلفية على مجموعة قواعد يطلَق عليها منهج التلقي، ومنها: كل ما وافق الكتاب والسنة يتم إثباته وما خالفهما يُبطَل، ولا معصوم إلا الرسول ﷺ، كما أن إجماع السلف حجة شرعية ملزمة للخلف، ولا تُقِرُّ السلفية قولاً ولا تقبل اجتهاداً إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة والإجماع، ولا تعارِض القرآن والسنة بعقل أو رأي أو قياس، وغير ذلك من القواعد.

وهذه القواعد الواضحة في التعامل مع النصوص الشرعية تجعل الأساس في المنهج السلفي جليّاً نقياً، وهذا الوضوح يجعله في مقدمة المناهج على ساحة الصحوة الإسلامية. كما أن منهج التلقي هذا يجعله بمثابة إطار جامع لكل من ينتسب للسلفية.

لقد كان المنهج السلفي هو المنهج الذي تلجأ إليه الأمة الإسلامية طيلة تاريخها في اللحظة الفارقة؛ عندما يختلط فهم الإسلام النقي بمفاهيم متعددة وافدة، أو مفروضة.

والسمة الثانية لهذه اللحظة أيضاً: أنها لحظة صدام مادي مرتبط بالرؤية السلفية؛ ففي الصعود السلفي الأول زمان الإمام أحمد بن حنبل ارتبط هذا الحدث بشيئين، هما: فتنة خلق القرآن التي كان يقول بها المعتزلة، وأصرَّ الإمام أحمد على إظهار عقيدة السلف؛ فهنا تعرَّضت الرؤية العقيدية السلفية إلى التشويه. كما ارتبطت بتعذيب من يتمسك بها ومحاولة إجبار الناس على رؤية مخالفة.

و نلمح صعوداً سلفياً آخر في زمن ابن تيمية عند المد التتري الثاني على العالم الإسلامي، وكان التتار حينئذٍ يدَّعون الإسلام، وامتنع المسلمون عن قتالهم، فخرج ابن تيمية للناس يذبُّ عن منهج الإسلام النقي الذي يرفض التحاكم الى غير القرآن كقانون (الياسق) الذي كان يتحاكم إليه التتار، مع ملاحظةِ أن تلك اللحظة التاريخية ارتبطت أيضاً بصدام بين المسلمين والتتار، وبين علماء أهل السُّنة والحكام.

وفي انبعاث السلفية عصرَ دعوة ابن عبد الوهاب ارتبط ظهور السلفية بالشوائب التي شابت الإسلام بالبدع والخرفات والممارسات الشركية، فجاءت السلفية لتجلو وجه الإسلام الناصع مرة أخرى مع وجود الصدام المسلح أيضاً؛ سواء مع المناوئين للدعوة من داخل الجزيرة أو خارجها.

ونجيء إلى اللحظة الراهنة في أعقاب أحداث الحادي

عشر من سبتمبر ٢٠٠١م فلم تكن نظرة الغرب لتلك الأحداث أن مجرد مجموعة من الشباب العرب المسلمين الغاضبين قد هاجموا بعض المنشآت الاقتصادية السياسية في الولايات المتحدة (طليعة الغرب وزعيمته، ونموذجه المبهر للعالم كله) ولكن الرؤية لتلك الأحداث كانت أعمق من هذا بكثير؛ حيث اعتبروه انتفاضة إسلامية على مسيرة حضارة غربية مظفَّرة تسود العالم وتنتشر قيمُها في كل بقعة وصقع، وهي التي ظنت أنها حسمت منذ فترة طويلة صراعها مع المسلمين أو بدا لها ذلك.

وإذا كان السياسيون والعسكريون قد شرعوا في إعداد الإستراتيجيات للرد العسكري والسياسي على تلك الهجمات، فإن المفكرين الإستراتيجيين والباحثين الغربيين - وخاصة في الولايات المتحدة - أخذوا يفنِّدون خلفيات وجذور الفكر الذي استقى منه هؤلاء المهاجمون قيمَهم وأفكارَهم ليصوغوا إستراتيجيات جديدةً للمواجهة الفكرية مع العالم الإسلامي لتتبلور في ما بعد في شكل سياسات يحاول التنفيذيون تطبيقها في الواقع، وكان أكثر هذه الإستراتيجيات خطورة ما اصطلح عليه في الأدبيات الأمريكية بـ (إعادة بناء الإسلام)[1].

إذن الصعود السلفي الحالي في العالم الإسلامي يرتبط بمحاولة فرض فهم جديد للإسلام، مثل: الإسلام الليبرالي والإسلام الفرنسي والإسلام الأمريكي، كما أنه أيضاً مرتبط بتصعيد الحرب العسكرية على بلاد المسلمين.

أما المستوى الثاني في فهم السلفية: فهو الحديث عن تطبيقاتها المعاصرة على أرض الواقع، فيجيء الاختلاف عند وصف الواقع وكيفية التعامل مع هذا الوصف.

ونتيجة لهذا الاختلاف ظهرت السلفيات المتعددة؛ فهناك السلفية الجهادية: وهي ترى أن الجانب العسكري مقدَّم للتعامل مع الواقع واستحضرت النصوص الشرعية التي تثبت به نظرتها هذه، وكذلك الحال عند الحديث عن السلفية العلمية والسلفية الإصلاحية، وحتى السلفية الجامية التي ينظر إليها أنها موالية للحكومات؛ فإن شرعيتها والأدلة عليها تستخرجها بالطريقة نفسها التي تتلقاها السلفيات الأخرى؛ ولكنها تنظر إلى النصوص التي توجب طاعة ولي الأمر وتغلبها وهكذا.

(١) يرجع في تفصيل ذلك لدراسة (حملة للترويج لإسلام جديد)، التقرير الإستراتيجي لمجلة البيان، العدد الثامن.

ولكن السلفيين في مجموعة بلدان تجنَّبوا العمل السياسي لأسباب كثيرة مختلفة؛ والواقع أن خبرتهم في هذا المجال محدودة، وعلى الرغم من أن هناك تجاربَ سلفية في الكويت والبحرين، ولكن التجربة السياسية - أصلاً - في هذه البلدان ضعيفة، كما أن مفهوم الدولة لا ينطبق على هذه المناطق فنفترض أنها لا تصح معياراً جديّاً، ودليلاً على فشل أو نجاح هذه التجارب السياسية.

وفي أعقاب نجاح الثورات العربية في بعض الدول سارعت كثير من التيارات السلفية فيها إلى محاولة الولوج إلى العمل السياسي الذي بدت آفاقه مفتوحة، ولكن هناك مجموعة إشكاليات تعوق في نظرنا بين هذه التيارات وبين جني ثمار هذا العمل:

أولاً: إشكاليات مفاهيمية منهاجية:

هذه المفاهيم تتعلق بأفكار التيارات السلفية وعلاقتها بالسياسة.

بين فقه الاستضعاف وفقه التمكين:

لم يحظ هذا الفقه بالاهتمام والتأصيل قبل سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٨م لعدم الحاجة إليه في تلك الأزمنة إلا قليلاً، وتلمح في كتابات ابن تيمية إشارات لهذا الفقه عندما يقول: (فالعالِم في البيان والبلاغ قد يؤخر البيان والبلاغ في بعض الأشياء إلى وقت التمكُّن؛ كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء أو النهي عنها حتى علا الإسلام وظهر، ولا يكون ذلك من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات...)[2].

والمثير للانتباه أنه حتى بعد سقوط الخلافة لم يجرِ الاهتمام به بطريقة جدية من قِبَل العلماء في بيان معنى المصطلَحَين، والفروق بينهما، وحدودهما، وأحكام كل حالة منهما، والحد الأدنى للاستضعاف... وهكذا.

لذلك يحدث الخلط بينهما؛ ففي مرحلة الاستضعاف قد يظن المرء أنه في مرحلة قوة وتمكُّنٍ فيشرع في أفعالٍ وأقوالٍ تعارض ذلك المفهوم مما يعرِّض البيئة السياسية إلى النفور من هذا الشخص أو الاتجاه (غزوة الصناديق، وهدم الأضرحة)؛ ولذلك فإن الفرق بين هذين الفقهين يحتاج لمزيد من الدراسة والبحث والتأصيل.

(٢) مجموع الفتاوى: ٢٠/ ٥٩.

التفرقة بين الثوابت والمتغيرات:

إن أكبر ثوابت الأمة في المجال السياسي هو التحاكم إلى الشـــرع وجعل مرجعية الإسلام هي الأصل، ولكن يجب علينا العلم بأن مساحة الاجتهادات والمتغيرات في السياسة واسعة وأن ما جاء به الوحي في تفاصيل النظام الإسلامي قليلة وأن أغلبه يندرج تحت المقاصد والقواعد العامة.

فقولُ تيارٍ ما – مثلاً –: إن نظامَ الحُكم الإســـلامي لا يحدد مدة معيَّنة للخليفة، فهذا لم يرد فيه نص ووحي؛ فلماذا التشديد فيه واعتبارُه من الثوابت؟

ولكـــن هناك فرق بين ما يردده بعض الناس في وســـائل الإعلام من أن هذه المســـائل السياســـية كـ (الاســـتفتاء أو الانتخابـــات) لا علاقـــة لها بالدين و بـــين أن نقول: إن هذه المســـائل داخلة في المباح شـــرعاً؛ فأفعال الإنســـان وأقواله وتوجهاته يجـــب أن يكون مصدرها الدين والشـــرع ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

مفهوم العالم الشرعي في زمننا المعاصر:

ضرب علماء الأمة في القرون الســـابقة المثل الأعلى للعالم الفقيه المتبحر في مســـائل الشـــريعة، الخبير بتحقيق مناطات المســـائل؛ وخاصة في ما يتعلق منها بالمجال السياسي. أما هذه الأزمان مـــع تعقُّد المناطات وتحريرهـــا وتحقيقها، وقد أصبح من ســـمات العصر التخصص في المســـائل والفروع، وأضحت السياســـة لها معاهدهـــا ومراكزها البحثية التـــي تضع أمام صانع القرار السياســـي كثيراً من الخيارات والاجتهادات مما لا يســـتطيع العالم الشـــرعي في زماننا الإلمام بها والتبحر في مســـائلها، فقد لزم علماء الشرع اللجوءَ إلى المتخصصين بهذه المسائل، ومع ملاحظة أن العلماء في هذا الزمان تم إبعادهم عن المطبخ السياســـي وصناع القرار السياسي، وللأسف فإن بعض علمائنا يعتبـــرون أن الإلمام بالسياســـة لا يحتاج إلى مثل هذه التخصصات؛ فإن الأمور يمكن تحصَّل بســـماع نشرة في قناة فضائية أو قراءة صحيفة، ولا تحتاج إلى التعمق فيها واستشارة المتخصصين بالرغم من أن السياسة أصبحت عِلماً له علماؤه.

ثانياً: إشكاليات إستراتيجية:

الإســـتراتيجية في بعض اســـتخداماتها هـــي تعبير عن التوجـــه العام أو المســـار الذي يربط بين الأهـــداف العامة المرتبـــط منها بالغايات وبين النقطـــة التي نقف عندها؛ أي: هي انتقال بين واقع حالي وواقع مأمول، وكل ذلك مبني على تشخيص حقيقي للواقع يســـتفيد من الفرص ويعزز مواطن القـــوة ويحـــارب التهديدات ويعالج مواطـــن الضعف، كذلك تتوافر فيه رؤية وغاية نهائية وحالة تميز الوحدة عن غيرها، بمجموعة من الأهداف والغايات تحقق هذه الرؤية.

فدراسة الإستراتيجية في حقيقتها تتطلب معرفة النقطة التـــي أنت فيهـــا، والنقطة التـــي تريد أن تتحـــرك إليها ثم المســـارات التي يمكن أن تســـلكَها للوصول بين النقطتين مع إدراك المعوقـــات والمحفزات للوصول إلى المـــراد، أو الهدف والبيئة التي تجـــري فيها هذه العناصر مع عدم إغفال الفكر والفلسفة والنظرية التي وراء تحديد هذه العناصر.

فالحركة الإســـتراتيجية تقتضي دراسة أطراف الصراع وعناصر القـــوة والضعف فيها وترتيب الأهداف للوصول إلى الغاية المنشودة وتحديد مسارات العمل.

وحـــين تكون الحركة عبارة عـــن تكتيتكات لحظية وردود أفعال وتخطيط يعتمد على حل المشاكل اليومية والآنية، يمكن أن نعتبر أن ذلك نوع من الفشل الإستراتيجي.

ثالثاً: إشكاليات سلوكية:

لا يصح للتيارات الســـلفية أن يكون لها في إحدى البلدان نواة خمسة أو ستة أحزاب تحت التأسيس. فما بالنا بتنسيق هذه التيارات مع جماعات إسلامية أخرى كالإخوان المسلمين وغيرهم؟

إن هذه الاشكالية ذات شقين:

قلبيٌّ: يتعلق بالإخلاص والتجرد من الهوى وحب الزعامة؛ وإحساس الفصائل الكبرى بأن الجماعات الصغيرة يجب أن تنضوي تحتها.

علمي: يتعلق بفقه الخلاف؛ ومحاولة إيجاد مظلة إستراتيجية تنطلق فيها التيارات الســـلفية للعمل السياسي تحت راية واحدة مع بقاء جماعاتها الدعوية تمضي في عملها مستقلة.

إن الحركات الســـلفية في العالـــم العربي تمر بمنعطف خطير في هذه المرحلة الحرجة الدقيقة؛ والتحدي الأكبر لها: هو التكيف مع الواقع المحيط، وكسر جدار الشرنقة التي كانت تعيـــش فيها أو أُرغمَت على الحياة فيها مع الاحتفاظ بثوابت السلفية وضوابطها.

الخطاب الإعلامي السلفي...

(السياق، والمكونات، والمرتكزات)

أحمد عمرو(*)

لا تكاد تخطئ عين أي متابع للأحداث أنه منذ بدأ عهد الثورات العربية أصبحت التيارات الإسلامية في بؤبؤ النشاط الإعلامي؛ فمع تغيُّر الأنظمة السياسية العربية تغيرت كثير من المعادلات داخل تلك المجتمعات؛ سواء منها السياسية أو الاجتماعية أو الأمنية أو الإعلامية.

ففجأة أصبح النشاط السياسي والحزبي وحرية التعبير عن الرأي متاحةً للجميع، وفجأة اختفى الكابوس الأمني الذي كان يكمم الأفواه ويعتقل المصلحين ويُغَيِّب كل من يعترض عليه في غياهب السجون.

نستطيع أن نقول: إننا بصدد سياق جديد نشأ في مجتمعات ما بعد الثورة، يلعب الإعلام فيه الدور الرئيسي لتوجيه الرأي العام، وتسيير الحالة الاجتماعية والسياسية وتشكيل وعي الجماهير؛ خاصة في ظل حالة الانهيار التي تعرَّضت لها المجتمعات العربية والإسلامية؛ فقد حرصت الأنظمة الديكتاتورية السابقة على تغييب هوية مجتمعاتها وحرمت الإنسان من قيمه الذاتية والشخصية .

هنا نشأت حالة جديدة من الصراع أصبحت فيها كل التيارات – سواء الإسلامية منها أو العَلمانية والليبرالية – في حالة سباق مع الزمان لإثبات الوجود على الساحة، عندها انبرت وسائل الإعلام – التي هي في مجملها عَلمانية الهوى والنشأة – للهجوم على التيارات الإسلامية – خاصة السلفية – لتشويه صورة تلك القوة الإسلامية الصاعدة.

(*) مدير وحدة الحركات الإسلامية بالمركز العربي للدراسات الإنسانية.

وأصبحت السلفية هي الفزاعة التي استخدمها الليبراليون والعَلمانيون الخائفون من عودة الإسلام شريعة ومنهجاً للسلطة كلياً أو جزئياً؛ بحيث أصبحت الصورة الذهنية لرجل الشارع العادي: أن الشريعة الإسلامية هي تقطيع آذان وأيدي وأرجل الناس، وحرق المتبرجات وتشويههن، وما إلى غير ذلك من الادِّعاءات والأكاذيب. وتصبح مكونات الصورة النمطية يستدعي بعضها بعضاً؛ فلفظة الشريعة الإسلامية تستدعي في الذهن صورة الشخصية السلفية ذات اللحية الطويلة والجلباب القصير، وبدورها هي أيضاً تستدعي صورة القهر والسلطوية وقطع آذان وألسنة وأيدي الناس.

وإذا كنَّا بصدد الحديث عن الخطاب الإعلامي فلا بد ابتداءً من التفريق بين وسيلة الخطاب (التي ما هي إلا أداة لتوصيل الفكر)، وبين الفكر نفسه، ومناط التفريق هنا يرجع إلى أن ضعف الخطاب لا ينسحب بالضرورة على ضعف الأفكار؛ فقد يكون الفكر قوياً وناضجاً ولكن يضيعه خطابه، والعكس صحيح.

لذلك ابتداء يجب الإقرار بأن الخطاب الإعلامي الإسلامي بصفة عامة والسلفي بصفة خاصة يواجه تحديين خطيرين:

التحدي الأول:
مكونات ووسائل الخطاب الإعلامي التي تبدأ من المسجد ولا تنتهي بالفضائيات:

هذا التحدي هو من الأهمية بمكان، بل يُعَد من واجبات الوقت؛ فقد أورد ابن القيم ضابطاً عظيماً في أفضل الأعمال تقرباً إلى الله وحدَّها بواجب الوقت؛ فإذا حضرت الصلاة فأفضل العبادات هي الصلاة، وإذ دعا داعي الجهاد صار الجهاد فريضة الوقت، وإذا حضر المسلم منكَراً واستطاع أن يزيله بضوابط إنكار المنكر صار أفضل العبادات إنكار المنكر... وهكذا؛ لذلك قد لا يكون في الأمر مبالغة إذا قلنا: إن امتلاك قناة فضائية أو صحيفة إسلامية تنافح وتصحِّح المفاهيم المغلوطة عند كثير من الناس، لهو أفضل من إيواء اليتامى وإطعام المساكين، والتبرع للفقراء والمحتاجين؛ ففي مصر الآن – على سبيل المثال – عشرات المطبوعات اليوميَّة والأسبوعيَّة، وكلها – تقريباً – توجِّه سهام النقد لتعاليمَ إسلامية بشكل أو بآخر في معظم الأوقات، كما أنها لا تكاد تخلو من مادة أو أكثر تحرِّض على تيارات الحركة الإسلاميَّة عامة والسلفية منها خاصة؛ فلا بد من السعي لامتلاك عدد من وسائل الإعلام ومكوناته؛ سواء المقروءة منها أو المسموعة.

• إضافة إلى ذلك ينبغي الاهتمام بتشكيل فريق عمل إعلامي يتضمن أصحاب الاختصاص في الإعلام وعلم النفس وعلوم الاجتماع والعلوم السياسية إذا اقتضت الضرورة، تكون مهمتهم إعداد الدراسات الميدانية والبحوث المتخصصة المستنطقة لأهم احتياجات المجتمع المعنيِّ بالبث الإعلامي، بدلاً من الواقع الحالي لكثير من المشاريع الإعلامية التي تعتمد على التيار والجماعة لتشكيل فريق من الخبراء والاستشاريين والإداريين والتنفيذيين؛ فالإعلام لا يحتمل المجاملات والعواطف والحزبية الضيقة.

• إعداد فريق مدَّرب من الفنيين: من كتاب أو معدِّين (مذيعين أو مخرجين)، تتملكهم الرغبة في الإبداع والتميز، ولديهم القدرة على فهم احتياجات المرحلة، والجرأة على خوض غمار التطوير المستمر للمواد المطروحة وطرق بثِّها والتوقيت الملائم لذلك.

• هيكلة البرامج من جديد بصورة جذرية، والتفكير بصورة إبداعية علمية بنوعية المواد الإعلامية والبرامج الصالحة للعرض، وانتقاء الأفضل منها حسب رسالة الوسيلة الإعلامية وبما يحقق رؤيتها العامة وأهدافها المستقبلية.

• بالنسبة إلى الفضائيات والوسائل الإعلامية التي تصل إلى الدول الغربية أو تنطلق منها لمخاطبة المغتربين من المسلمين هناك، فينبغي أن تولي اهتمامها لإيصال أفكار وقضايا العالم الإسلامي إلى الغرب بدلاً من الانشغال في نقل برامج بعيدة عن اهتمامات الإنسان الغربي[1].

(١) أحمد شهاب، الإعلام الإسلامي والخطاب الجديد، شبكة النبأ المعلوماتية.

التحدي الثاني:

مضمون الخطاب نفسه وسيطاً لإيصال الفكرة:

فالحديث عن مضمون الخطاب يجرُّنا للإجابة عن سؤالين هامين: من نخاطب؟ وبماذا نخاطب؟

فالسؤال الأول يتمحور حول شخصية مستقبِل الرسالة الإعلامية، التي من الممكن أن نقسمها إلى عدد من الأنساق والدوائر المتداخلة:

فالنسق الأكبر هو: عامة الناس؛ سواء كانوا مسلمين أوغير مسلمين، مؤمنين أوكفاراً؛ لأن الوسائط الإعلامية الآن تشمل الكرة الأرضية، ثم الدائرة الثانية وهي الجمهور الإسلامي خاصةً، تليها الدائرة الثالثة وتشمل أبناء الحركات الإسلامية على تنوعاتهم المختلفة.

النسق الثاني: النخب الفكرية والقوى السياسية المختلفة، التي من الضروري أن يتوجه الخطاب الإعلامي الإسلامي عامة والسلفي بصفة خاصة، إلى العمل على كسب قطاع لا بأس به من نُشطاء النخب العَلمانيَّة: فإما أن يصيروا في خندق المدافعين عن الحركة الإسلاميَّة وأطروحاتها، أو على الأقل يقفون على الحياد ويكفون عن صبِّ أذاهم على الحركة الإسلاميَّة وأطروحاتها؛ وذلك يحقق مزيداً من التأثير الإعلامي والسياسي الإسلامي؛ لأن هذه النخب ذات صوت عالٍ، ورأيها مسموع في الداخل والخارج، كما أنها تمثل قطاعاً من قطاعات المجتمع الذي نعمل فيه[1].

النسق الثالث: العالم الخارجي الذي يرصد بدقة الخطاب الإعلامي للحركات الإسلامية؛ ليحدد موقفه منها، ويضع خططه للتعامل معها، خاصةً في حال مشاركتها المنتظرة بقوة في البرلمانات التي تلعب دوراً خطيراً في البلاد الديمقراطية أو حتى مشاركتها في الحكومات المرتقبة بعد حين، وهنا لا بد للخطاب الإعلامي أن يتبنَّى رؤية إسلامية عالمية موجَّهة إلى العالم الحذر والقلق والمترقب. ومن المفيد أن ندرك أن الغرب نفسه ليس كتلة واحدة متناغمة؛ بل يحوي في داخله تنوعاً كبيراً وتبايناً في الآراء ونستطيع أن نكسب من خلال خطاب إعلامي متزن من يدافع عن قضايانا من بني جلدتهم، ولْنراجع - على سبيل المثال - موقف جورج غالوي من القضية الفلسطينية.

والسؤال الثاني يتمحور حول تحديد مضمون الخطاب ومرتكزاته:

لا شك أنه لكل خطاب ورسالة إعلامية مرتكزاتها، ولكل مرحلة زمنية طبيعتها. والسلفية وأخواتها من التيارات والحركات الإسلامية جميعها تمر بمرحلة غاية في الدقة، تستلزم وضع أطر ومرتكزات واضحة، تضبط الخطاب الإعلامي بضوابط محددة.

- فمن الضروري أن يكون الخطاب الإعلامي السلفي خطاباً تسامحياً مجمِّعاً لا تصادمياً منفِّراً.
- مع تسامحية الخطاب ينبغي أن يكون مزيلاً للشبهات؛ سواء منها التي تتعرض للإسلام كمنهج أو تلك الشبهات التي تساهم في تشويه حَمَلَة رسالة الإسلام من الدعاة والمصلحين.
- أن يكون الخطاب مطمئناً للمسلمين والأقليات، للداخل وللخارج، للتيارات كافة (الإسلامية منها وغير الإسلامية).
- التركيز على القضايا ذات البعد الجماهيري التي تحظى باهتمام شعبي قوي. وأن يبتعد عن القضايا التي تَظهر للناس بالمظهر الفئوي.
- أن يكون شاملاً لكافة مناحي الحياة ومجالاتها، وأن يكون الخطاب الإسلامي قادراً على ترسيخ قيمة الشمول، وأنه جاء لسعادة الفرد في كافة مناحي الحياة.
- أن يكون الخطاب الإعلامي الإسلامي عالِماً بمتطلبات العصر وتطبيقات المرحلة، ويتبنَّى هموم الأمة، ويشعر رجل الشارع بأن من يتحدث يملك حلاً إسلامياً عملياً لا مجرد نظريات لا حياة فيها[2].
- أن يكون مهتماً بعملية التغيير الحقيقي، تغيير السلوكيات والأخلاق على المستوى العام والخاص.
- المساهمة في صناعة الرأي العام (الإسلامي والعربي)، والانتقال بالجمهور الإسلامي إلى وعي أكبر وحضور مؤثر؛ خاصة على الصعيد السياسي والإعلامي.

(١) عبد المنعم منيب، الرؤية الإستراتيجية ضرورة لحصد ثمار الثورات العربيَّة، موقع مفكرة الإسلام.

(٢) دكتور عبد الرحمن عبد البر، مستقبل الخطاب الإعلامي للحركات الإسلامية.

صورة السلفيين في الإعلام الغربي

في مرحلة ما بعد الثورة

محمد سليمان الـزواوي
zawawy@yahoo.com

انتبه الجميع إلى الوجود السلفي في مصر مع التصويت على التعديلات الدستورية التي جرت في مارس الماضي، ومنذ ذلك الحين أصبحت الحركة السلفية المصرية مادة شهية للإعلام المصري والغربي على حد سواء، وانطلقت حملات ممنهجة تدعو إلى التخويف من دورهم المستقبلي في السياسات المصرية وأثرِ ذلك على شكل البلاد في السنوات المقبلة، والإعلام الغربي بدوره استلم العصا في سباق التتابع ذلك، ونقل الصحفيون الغربيون الموجودون في القاهرة معظم المزاعم التي تناقلتها وسائل الإعلام المصرية بدون التأكد منها، وطاروا بها في صحفهم وفضائياتهم في حملة تفزيع جديدة من أجل تحريض الساسة وصناع القرار في الغرب للضغط على الدولة المصرية (التي هي في طور التكوين) من أجل إعادة قمع الحركات الإسلامية عامة، ومن أجل إعادة إخراج فزاعة الإسلاميين مرة أخرى، تلك التي كان يستخدمها النظام السابق في إظهار الخيار الثنائي المشؤوم أمام الغرب: (مبارك أو الفوضى).

فبعد الحملات الإعلامية الممنهجة لتشويه صورة الإسلاميين عموماً والسلفيين خصوصاً في وسائل الإعلام المصرية، جاءت وسائل الإعلام الغربية لتحمل الراية وتنقل الصورة المشوهة التي رسمها الإعلام المصري عن السلفيين، في ما يبدو أنه امتداد لعملية التشويه الممنهجة للتيارات الإسلامية ولدفع أجندة الليبراليين داخل القطر المصري، الذين تتقاطع أهداف كثير منهم مع أهداف غربية في نقل مكونات الحضارة الغربية إلى الحضارة العربية والإسلامية؛ فبعد غزو العولمة والرأسمالية الاقتصادية الطاحنة للفقراء لبلاد المسلمين، فإن أنظمة الحكم بدأت تتشكل من جديد في كثير من الدول العربية، وهنا تجيء أهمية الفكرة الليبرالية الغربية وتصدير صورتها لأنظمة الحكم إلى العالم الإسلامي، وكل ذلك يتصادم بالضرورة مع التيارات الإسلامية التي تريد تطبيق رؤيتها للدولة الإسلامية الراشدة؛ لذا فإن التفزيع من الإسلاميين هو هدف لكثير من الأطراف في الداخل المصري وفي الخارج أيضاً.

فقد نشرت جريدة الكريستيان ساينس مونيتور[1] الأمريكية مقالاً لكريستين شيك بتاريخ ١٠ مايو ٢٠١١م قالت فيه: إن المصادمات الدامية بين المسلمين والمسيحيين التي اندلعت في القاهرة حول أحداث كنيستي إمبابة أكدت على مدى تصاعد التوتر بين الجانبين، وعلى ما وصفته بأنه «دور الإسلاميين الأصوليين المعروفين باسم السلفيين في مصر ما بعد الثورة في ذلك التوتر؛ فبالرغم من أن السلفيين ليس لديهم بنية

(١) http://www.csmonitor.com/World/Middle-East/١٠/٠٥/٢٠١١/Egypt-violence-heightens-concern-about-growing-Salafi-role

تنظيميـــة جامعة، وطالما كانوا بعيدين عن السياســـة في مصر؛ إلا أنه مع سقوط نظام الرئيس السابق (محمد حسني مبارك)، الذي قام نظامه العَلماني بقمع الإسلاميين والمتطرفين من كافة الأطياف، بدأ الســـلفيون في الدخول فعلياً في قافلة السياسة، ولكـــن الخطب النارية الطائفية التي أطلقوها، وكذلك الهجمات على النصارى، جعلت كثيراً من المصريين يشعرون بالقلق من أن القوى المتطرفة يمكن أن تجد لها دوراً أكبر في مصر الجديدة».

ونقلـــت الصحيفة عن إحـــدى المتظاهـــرات النصرانيات، اسمها منى، وكانت قد انضمت للمحتجين ضد ما أسمته العنف ضد كنيســـة إمبابة، قولها: «إن الســـلفيين لا يريدون النصارى فـــي مصر، إنهم يريدون دولة إســـلامية»، وكانـــت تقف بجوار منى امرأة مســـلمة ترتدي الحجاب وتحمل صليباً خشـــبياً هي الأخرى، وانضمت إلى التظاهـــرت تضامناً مع النصارى وتطلق معهم الهتافات ضد الســـلفيين، وقالت منى – وهي تحمل صورة مفترضة للمســـيح –: «إننا نخشـــى مما ســـوف يحدث لنا في المستقبل عندما يسمح لأناس مثل هؤلاء بمهاجمتنا وبأن يكونوا جزءاً من الحكومة الجديدة».

وقد صورت الجريدة أن السلفيين هم الذين قاموا بالهجوم على الكنيســـة بالرغم من أن كافـــة المصادر – بما فيها المصادر الكنسية ذاتها – نفت ذلك لاحقاً، وقالت: إنهم لم يكونوا مسلحين، واســـتمرت الجريدة في قولها: إن الأحداث الدامية أسفرت عن مصرع ١٢ شـــخصاً في حي إمبابة؛ بعدما تجمع السلفيون حول كنيســـة إمبابة زاعمين أنها تأوي امرأة تحوَّلت من المسيحية إلى الإســـلام، ويطالبون الكنيسةَ بإطلاق سراحها، وتضيف أن «مثل تلك المزاعم بالتحول إلى الإســـلام واختطاف المســـلمات، كانت ذريعة لإشعال التوتر الطائفي؛ باستغلال السلفيين على الأخص لتلك القضايـــا». على الرغم من أن الأحـــداث أكدت بعد ذلك صحة تلك المزاعم؛ وأن الكنيســـة كانت بالفعل قد اختطفت تلك المرأة واحتجزتها دون إرادتها داخل إحدى المباني التابعة للكنيسة فـــي إمبابة، ولكـــن الجريدة أغفلت ذلك واســـتمرت في دورها لتشويه صورة الإسلاميين في مصر ما بعد الثورة.

ثم تنتقل الجريدة بعد ذلك لترصد الدور السياســـي المتنامي للســـلفية، وتقول: إن كثيراً من زعماء الحركة الســـلفية كانوا ضد المشـــاركة في الثورة المصرية التي أطاحت بنظام الرئيس المصري الســـابق حســـني مبارك، على الرغم من أن الأتباع الأصغر سناً من الســـلفيين شـــاركوا في تلك الثورة، وتنقـــل الجريدة عن د. ضيـــاء رشـــوان (الباحث بمركز الأهرام للدراســـات السياســـية والإستراتيجية) قوله: «إن الفكر السلفي يتطور الآن ليتبنى مزيداً من المشاركة السياســـية بعد الثورة. والتفاعل المتزايد مع المجتمع ربمـــا يكون له أثر اعتدالي عليهم؛ على الرغم من أنهم لن يحاولوا أن يدمجوا أنفسهم في الساحة السياسية؛ لأن هذا سوف يستغرق وقتاً؛ إلا أننا سنحظى بتغيير إيجابي على الحركة السلفية».

ويقول رشـــوان: «إن الأعداد الحقيقية للســـلفيين في مصر غير مؤكدة»، ولكنه يقول: «إن الأرقام ليســـت ضخمة، وســـوف يكونون فقط قوة هامشـــية في السياسات المصرية»، ولكن هذا لم يمنع الجريدة من قولها: إن ذلك أدى إلى إثارة مخاوف بعض الأطراف؛ ففي مظاهرة للســـلفيين لتأبين أســـامة بن لادن بعد صلاة الجمعة، قال أحد المارين – واســـمه أحمد، واصفاً نفسه بأنه مسلم ليبرالي، وقف ليشاهد بضع مئات من السلفيين وهم يهتفون ضد الولايات المتحـــدة ويحملون لافتات تقول: «كلنا ابن لادن» –: إنـــه مـــن أجل أن نعرف إذا كانوا ســـيلعبون دوراً على الســـاحة السياسية المصرية أم لا؟ فيجب علينا أن نعلم عددهم، ويقول أحمد: إنه جاء ليفهم السلفيين، وقال: إن أعدادهم كانت ضئيلة لدرجة أنه لا يعتقد أنهم سيصلون إلى الحكم، ولكنه شعر بالقلق من تأثيرهم، وقال: إنهم يقولون إنهم مسالمون، ولكن فجأة يقومون ببعض الأفعال العنيفة. وتنقل الصحيفة عن امرأة أخرى قالت إنها من الســـلفيين واسمها حنان: أن ابن لادن كان «شهيداً وبطـــلاً ولم يكن له أبداً أن يقتل أبريـــاء»، وأنها لا تؤيد العنف، ولكنها شـــعرت بالسعادة لأن الثورة أطاحت بمبارك من السلطة وتقول: إنها متحمسة للمشاركة السياسية، وتضيف: «لكننا نريد حكومة إسلامية، فلا نريد مزيداً من العملاء للولايات المتحدة أو إسرائيل مثلما كان مبارك؛ فلا نريد العَلمانيين».

والقالـــب العام للمقال جاء هجومياً على الســـلفية وتفزيعاً منها، بدون تحرٍّ للدقة أو تثبُّت من الحوادث التي وقعت ونُسبَت إلى السلفيين.

إن ذلك يلقي مســـؤولية كبيرة على الحركة السلفية المصرية إذا أرادت أن تدخل السياســـة فـــي مرحلة ما بعد مبارك؛ حيث إن خطواتهـــا باتت مرصودة وكل خطأ يتـــم تضخيمه وتصويره على أنه اعتداء على الحقوق المدنية والإنســـانية، وأن السلفيين بحاجة إلى شرح أنفسهم بصورة أعمق وكذلك وضع إستراتيجية سياســـية لهم وإعادة تنقيح الخطاب الإعلامي بما يتناسب مع رغبتهم في المنافسة على المشـــاهد والناخب في مرحلة ما بعد مبارك، وإدراكهم أنهم يخوضون حرباً إعلامية مع أطراف تريد تشويه صورة الإسلاميين؛ وذلك بالتحالف مع أصحاب المصالح في ذلك داخلياً وخارجياً.

وفي مقال آخر لـ (نيل ماكفاركوهار) من النيويورك تايمز[1] من القاهرة بعنوان «تحول الأصوليين الإسلاميين للديمقراطية يزعج مصر» قال فيه: إن عودة عبود الزمر، المشارك في قتل السادات، إلى الحياة العامة في مصر ونيته تشكيل حزب سياسي تقلق المصريين، وقال: إن الاستفتاء على تعديل مواد الدستور الذي جرى في ١٩ مارس الماضي يعد مثالاً على القوة السياسية للإسلاميين، الذين صوروا أن التصويت بـ «نعم» هو واجب ديني؛ حيث قال الزمر في حديث تليفزيوني: «إن صناديق الاقتراع هي التي سوف تحدد من يفوز في النهاية، فلم تعد هناك حاجة إلى استخدام العنف ضد أولئك الذين يمنحونا حريتنا ويسمحون لنا أن نكون جزءاً من الحياة السياسية».

ويقول الكاتب: إن الجماعة الإسلامية وأشباهَها تسعى إلى إنشاء دولة إسلامية خاصة؛ ولذا تستخدم الديمقراطية مطية للوصول إلى ذلك، ويقول: إن هذا أقلق أولئك الذين يعتقدون أن الأصوليين الإسلاميين يريدون أن يطبقوا الشريعة الإسلامية حرفياً من خلال صناديق الانتخابات والعملية الديمقراطية، التي كانوا يصفونها في السابق على أنها اختراع غربي كافر يهدف إلى تقويض شريعة الله. ويقول الكاتب: إن الزمر يسعى إلى تكوين أحزاب سياسية وعقد تحالفات مع جماعة الإخوان المسلمين لتعظيم قدرة التصويت الإسلامي.

وينقل عن شريف عبد الناصر ٢٤ عاماً – وهو مصري يحمل الجنسية الأمريكية وينتمي إلى التيار السلفي – قوله: «إن غالبية الشباب السلفي عارضوا شيوخ الحركة السلفية الذين دعوا إلى عدم المشاركة في المظاهرات، وقال الشباب أنهم يجب أن يكونوا جزءاً من تلك القضية العادلة والتظاهر ضد نظام مبارك في ثورة الخامس والعشرين من يناير»، وينخرط شريف حالياً في دورة للتثقيف السياسي، تقام ثلاثة أيام في الأسبوع في المسجد الذي يحاضر فيه الشيخ عبد المنعم الشحات المتحدث باسم الدعوة السلفية في الإسكندرية.

واستخدم المقال كل الفزاعات التي يثيرها الإعلام المصري للتخويف من السلفيين، مثل: حادثة قطع أذن نصراني في الصعيد، وهي التي ثبتت براءة السلفيين منها بعد ذلك، وتصريحات محمد حسين يعقوب عن غزوة الصناديق وغيرها التي تم نقلها حرفياً عن وسائل الإعلام المصرية التي طافت بتلك الحوادث للتفزيع من الإسلاميين، ونقل أحداثها بصورة درامية محبوكة للقارئ الغربي وصانع القرار، بصورة كفيلة بشحذ سيوف أعداء مصر بالخارج من أجل التحرك للضغط من أجل وأد الحريات الناشئة في مصر والارتداد إلى عصر قمع الإسلاميين في عهد مبارك.

كما يشير المقال إلى إفراج الحكومة المصرية عن كثير من الإسلاميين الذين كانوا معتقلين في عصر نظام مبارك، ويحذر من أن ذلك سوف يؤدي إلى تقوية آراء المتشددين في مصر الذين يبدؤون في تجميع صفوفهم من أجل الانقضاض على الحياة السياسية المصرية، ويختم الكاتب مقاله بواقعة حدثت داخل جامعة الإسكندرية؛ حيث عقد خمسة من الشباب السلفي ندوة مصغرة للتعريف بالسلفية ومميزات الدولة الإسلامية داخل كلية التجارة، وعندما اعترض أحد الطلبة المسيحيين على الدولة الإسلامية رد عليه السلفيون: أن المسلمين عندما يشنون حروباً «فإننا نفعل ذلك لتقوية ديننا؛ فهل ستقاتل في صفوفنا لنشر ديننا؟» فرد المسيحي: «بالطبع لا، وسوف أكون غاضباً من ذلك وسأعارضه»، فرد عليه إبراهيم محمد ٢١ عاماً (أحد السلفيين) قائلاً: «إننا لا يمكن أن نطرح أوامر الله على الاستفتاء»، باجتزاء واقتطاع واضح للعبارات التي تؤدي فقط إلى التخويف من الإسلاميين، وختم بها مقاله ليكون لها الصدى الأكبر لإحداث الفزع بين القراء وصناع القرار الغربيين.

من الواضح أن المرحلة القادمة ستشهد تعاوناً وثيقاً بين الليبراليين وبين المنظمات الغربية التي تروج للديمقراطية وتحذِّر من تصاعد السياسات الإسلامية في مصر، وأن الإعلام الليبرالي المصري الذي تسيطر عليه أطراف لها اراتباطات بالخارج وبالكنيسة المصرية سيكون رأس الحربة في تلك المعركة الإعلامية القادمة، والواقع يشير إلى سيطرة الليبراليين بالفعل على الصحف والمواقع الإخبارية الإلكترونية ذات الشعبية وعلى القنوات والبرامج الحوارية بصورة كاسحة، وأن صوت الإسلاميين على الساحة الإعلامية خافت ومشوَّه في كثير من الأحيان؛ فعندما يتم استضافة إسلاميين يتم اختيارهم بصورة انتقائية من الذين دعموا النظام السابق لتشويه صورة الإسلاميين جميعاً، وكل ذلك يضع على الإسلاميين مهمة جسيمة لتطوير الخطاب الإعلامي الإسلامي ولفتح آفاق جديدة للاتصال الجماهيري ليست بالضرورة إسلامية الصبغة من أجل مخاطبة الشرائح التي لا تتقاطع توجهاتها مع الإسلاميين؛ فالإعلام أحد أهم أذرع السياسة، ومن يخسر الحرب الإعلامية فسوف يخسر بالضرورة المعركة السياسية القادمة.

(١) http://www.nytimes.com/٢/٤/٢٠١١/world/middleeast/٠٢salafi.html?r=١&pagewanted=print

[المسلمون.. والعالم]

المظاهرات العراقية حراك سياسي في مواجهة الاحتلال الأمريكي وحكوماته

حارث الأزدي

محددات فهم الصراع على السلطة في إيران...

علي حسين باكير

الصومال بين نشاط المنصِّرين وغفلة المسلمين!

مجدي داود

مرصد الأحداث

جلال سعد الشايب

محددات فهم الصراع على السلطة في إيران...

تحالف النجادية مع «العقيدة المشائية» ضد ولاية الفقيه

علي حسين باكير

في (أبريل/ نيسان) الماضي شهدت إيران أزمة عميقة بين أركان السلطة متمثلة برئاسة الجمهورية عبر أحمدي نجاد وأنصاره من جهة، وبين ولاية الفقيه المتمثلة بالمرشد الأعلى وأنصاره من جهة أخرى؛ وذلك على خلفية إقالة وزير الاستخبارات حيدر مصلحي.

إن المتابع للملفات الإيرانية – سواء ما يتعلق منها بالاقتصاد أو المجتمع أو السياسية أو الدين – يستطيع أن يلاحظ بكل وضوح مدى التعقيد الذي يكتنفها نظراً لشدَّة التداخل بين الملفات ولتعدُّد المحاور والجبهات ولتنوع المصادر والتوجهات.

ولا تخرج هذه الحالة المتعلقة بالنزاع بين نجاد ومعسكره من جهة، وبين المرشد ومعسكره من جهة أخرى عمَّا سبق شرحه؛ لذلك نحاول في هذا المقال أن نعطي فكرة مقتضبة عن طبيعة النزاع، والعناصر المؤثرة فيه، والتفسيرات المتعلقة به، والمحاور المنخرطة فيه وأيضاً انعكاساته على طرفي النزاع وعلى النظام السياسي في إيران.

الفروع والأصول في الأزمة بين «النجادية» وولاية الفقيه:

في الفروع: تقدم مصلحي باستقالته تحت ضغط الرئيس أحمدي نجاد الذي سرعان ما قبل الاستقالة؛ إلا أنَّ المرشد تدخَّل فرفض الاستقالة، ولم يكتفِ بذلك؛ بل أمر بإعادة مصلحي إلى منصبه. وَفْقاً للدستور الإيراني فإن المرشد الأعلى يمتلك صلاحيات مطلقة. ورغم ما يقال عن وجود «شيء من الديمقراطية» في النظام الإيراني إلا أنَّ هذا أبعد ما يكون عن الواقع؛ فالمرشد يمتلك صلاحيات تجمع بين «السلطتين المدنية والدينية» بما يفوق ما يمتلكه أي ديكتاتور في العالم.

وَفْقاً للمادة ١١٠ من الدستور الإيراني، فإن مرشد الثورة هو الذي يضع كافة المسائل الرئيسية الخاصة برسم وتعيين السياسات العامة للنظام، وهو الذي يقود القوات المسلحة، وهو الذي يملك أن ينصِّب ويعزل رؤساء المؤسسات والمجالس الرئيسية في الدولة، وهو الذي يعيِّن رئيس السلطة القضائية، ورئيس الإذاعة والتليفزيون، ورئيس أركان القيادة المشتركة للجيش، والقائد العام لقوات حرس الثورة، ويملك – فوق كل ذلك – عزل رئيس الجمهورية المنتخَب مباشرة من قِبل الشعب. كما أنَّ المجالس الأخرى الرئيسية في النظام السياسي: من مجلس الخبراء، إلى مجلس تشخيص مصلحة النظام، إلى مجلس صيانة الدستور كلها تابعة له بشكل مباشر أو غير مباشر أو خاضعة لنفوذه.

أما دينياً فالمرشد يمثل «الإرادة الإلهية» ويتمتع بهالة من «القدسية» كونه ينوب عن الإمام المنتظَر، ويتمتع بنوع من العصمة التي تفرض على الجميع إطاعته والامتثال له.

حاول الرئيس أحمدي نجاد إظهار اعتراضه على موقف المرشد من خلال الاعتكاف؛ حيث غاب عن مقر الرئاسة وعن اجتماعات الوزارة لأكثر من أسبوع. لكن سرعان ما عاد

عن اعتكافه بعد اشتداد حملة الضغوط عليه من المرشد وأنصاره. ونُقِل حينها عن حجة الإسلام مرتضى آقا طهراني تخيير المرشد لنجاد بين إعادة مصلحي إلى منصبه أو أن يقوم الرئيس بتقديم استقالته.

في الأصول: فإن هذه المعركة تعتبَر امتداداً لمعارك سابقة أقل حدَّة؛ خاضها أحمدي نجاد مع المرشد بعد الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٩م. ويعود ذلك إلى تخوُّف المعسكرين اليمينين (نجاد وأنصاره) و (المرشد وأنصاره)؛ من أن يقضي أحدهما على الآخر في النظام السياسي بعد أن خلت الساحة لهم إثر قيامهم معاً بإقصاء كل المنافسين المحتملين سابقاً دون استثناء؛ سواء من الإصلاحيين أو البراغماتيين أو اليساريين.

وعلى الرغم من أنَّ كثيراً من الأوساط المطَّلعة على الخلاف بين «النجادية» وولاية الفقيه تحبُّ أن تفسر النزاع الحاصل بينهما الآن من باب المنظور الطبقي؛ أي صراع الطبقات في المجتمع الإيراني (الفقراء، والطبقة المتوسطة، والأغنياء)، إلا أنه تفسير غير صحيح في هذا السياق، وكان روَّج له الطرفان سابقاً في مواجهة التيار الإصلاحي للتقليل من أثره من خلال القول: إنه لا يمثل كل فئات المجتمع الإيراني، وإنه يقتصر على بعض الأغنياء وشيء من الطبقة الوسطى ولا يشمل الأغلبية الساحقة من الفقراء، وهو تفسير تبنَّته للأسف كثير من الأوساط العربية الموالية للمرشد وأيضاً المناصرة للرئيس نجاد. ما هو حاصل في إيران اليوم يتجاوز هذا التفسير السطحي «المصلحي» إلى ما هو أعمق من ذلك؛ بما يعكس الصراع داخل الجبهة المحافظة في أقصى اليمين.

بروز «الحالة النجادية» في النظام الإيراني:

في عام ٢٠٠٥م، كان المرشد بحاجة إلى رجل قوي في الرئاسة، قادرٍ على التعامل مع الغرب، وعلى تنشيط جبهات إيران الإقليمية وأذرعها كخط دفاع أول عن الجمهورية وقادرٍ على إطلاق برنامج إيران النووي بسرعة. لقد كان التيار الإصلاحي - وعلى رأسه خاتمي - مناقضاً لكل ذلك؛ فقد قلَّص الدعم لأذرع إيران الإقليمية، وأطلق آلية حوار مع الدول المجاورة ولا سيما الخليج، كما دعا إلى نهج تصالحي مع الغرب وإلى حوار الحضارات، وعليه فقد كان نجاد الرجل المناسب للمرشد في المكان والزمان المناسبين.

في المقابل، سعى نجاد إلى توسيع دائرة نفوذه في النظام السياسي الإيراني بما يسمح له بتطبيق سياساته الداخلية والخارجية دون عراقيل تذكَر؛ لكنه كان يواجه عدداً من المشاكل من قِبَل منافسين كُثُر (الإصلاحيين، المحافظين والبراغماتيين، والمحافظين والتقليديين، والأصوليين). فقرر التقرب من المرشد الأعلى خلال ولايته الأولى، وأخذ يزايد في إعلان الولاء والطاعة له؛ الأمر الذي أتاح له تهميش الإصلاحيين، وفي الوقت نفسه اتقاء شر أنصار المرشد من الأصوليين والمحافظين التقليديين؛ بالإضافة إلى تعيين عدد كبير من المسؤولين الموالين له ومن الأنصار في مفاصل أساسية ورئيسية في النظام الإيراني، وهو ما خلق «حالة النجادية».

وفي الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٩م، رأى أركان النظام الإيراني - وعلى رأسهم المرشد الأعلى - في الحركة الخضراء بوادر ثورة مخملية تهدد النظام برمَّته، فقرر هو ومعسكره دعم أحمدي نجاد حتى النهاية. لقد أسفرت هذه المعركة عن سحق الحركة الخضراء وذهب ضحيتها أيضاً إلى جانب الإصلاحيين كثير من المحافظين البراغماتيين ورجال الثورة الحقيقيين الذي لعبوا دوراً رئيسياً في ثورة عام ١٩٧٩، فتوسعت «الحالة النجادية» داخل النظام الإيراني على حساب كل هذه الأطراف.

معارك «الحالة النجادية» مع المرشد الأعلى:

لم يسلم المرشد الأعلى ومعسكره من انعكاسات هذه الحملة التي قادوها لدعم نجاد في انتخابات عام ٢٠٠٩م، فنظر إليه كثير من الخصوم على أنه تحول إلى «رئيس تيار حزبي» وخرج عن موقعه مرشداً حاكماً للتوازنات في النظام السياسي الإيراني وحكماً بين المؤسسات. في هذه اللحظة بالذات، ونظراً لما أسفرت عنه هذه المعركة القاسية من نتائج، اعتقد نجاد أن تياره أو «الحالة النجادية» أصبحت قادرة على التحرك باستقلالية من دون المرشد. لقد أدى ذلك إلى صدام بين أركان النظام متمثلة بالحالة النجادية في مواجهة الولي الفقيه، ومن أبرز معالمها:

١ - تحدِّي نجاد للمرشد وأنصاره بعد انتخابات ٢٠٠٩م مباشرة، من خلال تعيين صهره «إسفنديار رحيم مشائي» - سنتحدث عنه لاحقاً - في موقع النائب الأول للرئيس.

وقد أثارت هـــذه الخطوة عاصفة من ردود الأفعال من رجال الدين المتشددين ومن اليمين المحافظ في النظام الإيراني في وجه نجاد، ودَشَّـــنت المعركة بين المعســـكرين، ودفعت المرشد الأعلى إلى كتابة فتوى في هذا الشـــأن تفرض عليه التخلي عنه. فاستقال «مشائي» بعد ثلاثة أيام من تعيينه في منصبه آنذاك، لكن نجاد عـــاد وعينه في منصب رئيس مكتبه (كبير الموظفين)، واحتل في ما بعد قرابة ١٩ منصب في النظام وَفْقَ بعض المصادر.

٢ – معركة تعيـــين مبعوثين خاصين لنجاد (عام ٢٠١٠م) لمنطقة الشرق الأوسط ولآسيا وأفغانستان وبحر قزوين، وكان من بينهم أيضاً مشائي وعددٌ من المقربين جداً منه. وقد أدى ذلك إلـــى اعتراض وزير الخارجية المقرَّب جداً من المرشـــد «منوشـــهر متكي»، فصـــرَّح قائلاً: «إنَّ هذه الخطوة تســـمح بإنشاء سياسات خارجية مســـتقلة للرئيس وموازية لسياسة الوزارة؛ وهو ما ســـيؤدي إلى إضعاف الجهاز الدبلوماســـي الإيراني وتضارب في الصلاحيات». لكن نجاد انتظر ســـفر متكي إلى الســـنغال حتى يقوم بإقالته مما حال دون إفســـاح المجال لأحد بالتدخل، وقد عُدَّ ذلك انتصاراً للحالة النجادية في النظام، وبمثابة تحذير للمحافظين الأصوليين.

مخاطر «العقيدة المشائية» على المرشد الأعلى:

أما ملف الخلاف الثاني بين المعســـكرين؛ فهو شخصية صهر الرئيس وما يحمله من أفكار. فالمرشـــد الأعلى وتياره وأنصاره يمقتون «مشائي» إلى أقصى حد، وعادة ما يرمزون له ولتياره بـ «المجموعة المنحرفة»، ويوصف من قِبَل بعضهم بأنه «ليبرالـــي النزعة» ومِن قِبَل آخرين بأنه «قومي الأيديولوجيا» ويعرف بمواقفه المستهجنة عادة، ومنها:

١ – ســـبق له أن أعلن في عام ٢٠٠٨م – عندما كان في منصب نائب الرئيس الإيراني لشؤون السياحة والثقافة – أنَّ «إيران صديقة للشعب الإسرائيلي».

٢ – سمح بإقامة حفل حملت فيه اثنتا عشر فتاة إيرانية كن يرتدين اللباس التقليدي وهن يرقصن نسخة من المصحف على طبق، وأثـــار جدلاً لموقفه «المتراخـــي» وغير المبالي من الحجاب الإسلامي كما يتَّهمه بذلك المحافظون.

٣ – صرَّح عام ٢٠١٠م بأنَّ الرســـول محمد ﷺ من أصل فارسي وليس عربي.

لكن كل ذلـــك لا يكفي لتبرير مخـــاوف وكره الأصوليين والمحافظين التقليديين لمشائي، أو لتبرير هذه المعركة الحالية مع الرئيس. إن ما يخيف معسكر المرشد هو ما يمكن تسميته بالـ «عقيدة المشائية» التي يدعو من خلالها إلى إيران إسلامية ولكن بشـــكل مغاير عما هو موجود اليوم وتكون نزعة التشيع فيها أكثر قومية.

فمشائي رجل مدني ليس من رجال الدين من جهة، وليس من رجال الثورة من جهة أخرى، وهو يؤمن بالتشيع «الإيراني» من جهة وبالقومية الفارسية من جهة أخرى. إن نجاح تحالف «الحالـــة النجادية مع العقيـــدة المشـــائية» وتمهيد أحمدي نجاد لصهره في منصـــب الرئيس لانتخابات عام ٢٠١٣م قد يطيح كليّاً بمعســـكر المرشد الأعلى، بل قد يغيِّر شكل النظام السياســـي باتجاه تقييد صلاحيات الولي الفقيه ودور المرشد الأعلى المطلق في النظام السياسي الإيراني.

وتعتمد الحالة النجادية على بعض الشخصيات المزروعة فـــي مفاصل النظام بالإضافة إلى نفوذ داخل الحرس الثوري وشـــريحة واســـعة من طبقة الفقراء التي يحرص نجاد على الفوز بهـــا من خلال الدعم المالي الاقتصـــادي أو من خلال الترويج للصور المرتبطة باتصاله مع الإمام الغائب والحصول على بركته ودعمه والتحضير لظهوره.

أمَّا المشـــائية، فهـــي تراهن على تجيير الكتلة الشـــعبية الموجودة خارج اللعبة السياســـية: مـــن (قوميين وعَلمانيين لا يرون به رجل دين، ومن إسلاميين معتدلين لا يرون به محافظاً متشـــدداً، وربما مـــن فئات أخرى ترى فيـــه نقطة التقاء مع توجهاتها).

نتائج المعركة بين المعسكرين وانعكاساتها:

إن حرص نجاد على إقالة صالحي أو دفعه للاستقالة كان يتعلق بمدى تقييمه لدور وزارة الاستخبارات في الانتخابات المقبلة - سواء البرلمانية أو الرئاسية - وبضرورة أن يكون المركز لأحد المقربين لدائرته مع مشائي. ولعل استفحال «حالة النجادية» وإدراك المرشد وتياره لهذه المعطيات عجَّل بجعل ملف مصلحي معركة كسر عظم بين المعسكرين، فاستنفر المرشد الأعلى وتياره وأنصاره والتابعين له في المؤسسات بما فيها البرلمان الذي يرأسه لاريجاني خصم نجاد لمواجهته.

لقد أسفرت هذه المعركة حتى عن أضرار كبيرة لنجاد وحلفائه، كان منها:

١ - اضطرار الرئيس للعودة عن اعتكافه بعد ١١ يوماً، مع بقاء موضوع صالحي.

٢ - اعتقال عدد كبير من أنصار الرئيس والمقربين ومن دائرته الخاصة (ما يقرب من ٢٥ شخصاً) ، تردد أن من بينهم الشيخ عباس أميري فار الذي يرأس الدائرة الدينية في القصر الرئاسي الذي أنتج فيلم «ظهور إمام الزمان»، بذرائعَ شتى، منها ترويجهم للخرافة وتقديس نفس الرئيس بزعم أنه من المهديين لظهور المهدي المنتظر.

٣ - تقييد الرئيس والتقليل من دوره من خلال تقليص حجم حكومته بإخراج عدد من الوزراء الموالين له في وزارات أساسية مثل النفط و «الصناعة والمناجم» و «الشؤون الاجتماعية»، مع أن الرئيس فسَّر ذلك على أنه استجابة للمخطط الخماسي الخامس (٢٠١٠ - ٢٠١٥م).

٤ - تعرُّضه لحملة كبيرة تجبره على وجوب «الطاعة العمياء» للمرشد وعدم المناقشة أو المجادلة.

والحقيقة هي: أنَّ نجاداً يبدو غير مستسلم إلى الآن، فهو مراوغ وعنيد؛ إذ أعاد التصريح بأنَّه من أشد المدافعين عن المرشد الأعلى وأن هناك من يحاول استخدام ولاية الفقيه كأداة ضدَّه وأن هناك من يحبون المرشد، ولكن لا يعرفون كيف يدافعون عنه فيروجون لخوارقه. (كان إمام جمعة قم «محمد سعيدي» زعم أنَّ آية الله علي الخامنئي نطق عند ولادته عبارة «يا علي!» مكرراً إياها عدة مرات).

كما تلقَّى الرئيس رسالة تأييد ودعم له ولصهره من ١٣ حاكم محافظة في إيران، مما جاء فيها: «إن هناك مجموعة منحرفة (استخدموا مصطلحهم) تحاول إيذاء الحكومة من خارج السلطة».

يحاول بعض المراقبين والكتاب العرب أن يقولوا: أن الوضع عادي؛ فقد حصلت معارك سابقة بين الرئيس والمرشد وأدت في النهاية إلى إقصاء الرئيس كما في حالة بني صدر، واستمر النظام الإيراني بشكل طبيعي. في الشكل هذا صحيح، لكن في المضمون كان النظام الإيراني في الثمانينات يتمتع بمشاركة واسعة من مختلف الأطياف والتيارات الدينية والسياسية التي تعمل تحت عباءته وتصلح بديلاً له. أما اليوم وكما شرحنا، فقدأصبحت جميع التيارات والأطياف خارج النظام باستثناء أنصار المرشد ونجاد.

صحيح أن نجاد قد يتحول إلى بطَّة عرجاء إذا ما استمر ضغط المرشد وأنصاره عليه وتقييده من صلاحياته وتحركاته، لكن وإن حصل ذلك أن انتصر تيار المرشد الأعلى فإن النظام الإيراني بكافة أركانه ومؤسساته سيتحول إلى اليمين المتطرف بعدما تم إقصاء جميع التيارات وهو الأمر الذي سيهدد بانفجاره داخلياً، ومن غير الواضح ما إذا كان سيتم اللجوء إلى اللعبة السابقة عبر الإتيان بإصلاحيين في الانتخابات القادمة وهو أمر مستبعد إلى الآن.

المظاهرات العراقية

حراك سياسي في مواجهة الاحتلال الأمريكي وحكوماته

حـــــارث الأزدي

شهد العراق حَراكاً شعبياً بمطالب سياسية وخدمية وأمنية ومجتمعية لخَّصه شعار: (الشعب يريد التغيير)، وذلك بالتزامن مع ثورات عربية اجتاحت المنطقة، سقطت فيها أنظمة ولا تزال أخرى على الطريق؛ ولكن الأسـئلة المثارة: من هو الشعب؟ وما هي الإرادة؟ وما هي ماهية التغيير المطلوب؟

إن طوفـان التغيير الذي عم بلدان المنطقة يمكن قراءته من وجهين لا ثالث لهما:

الأول: هو ازديـاد الكم المتراكم مـن النقمة والغضب لدى شعوب المنطقة بعد تغوُّل حكَّامها، وتمترسهم خلف أجهزة أمنية أحكمت الخناق على الشعوب، ومارست أبشع طرق التعذيب مع معارضيها فجاءت لحظة الانقلاب التاريخية ضد هذا الطغيان .

أما الثاني: فإن الجو العام العالمي وتعامله بإيجابية تجاه هذه الثورات لأمور سـوف نتطرق إليها في ثنايا هذا المقال؛ تتماشى مع دفع الدول الكبرى بدماء جديدة لتسـتبدل الوجوه القديمة بوجوه أخرى شبابية ربما تعد بولاء وانقياد أكثر من السابقين.

هذا العامـلان هما المحركان لجميع الثـورات التي تجتاح المنطقة وهي قد بدأت بدول المحور قبل دول المانعة؛ كما قسمها المشـروع الأمريكي الاحتلالي للمنطقة إبَّان غزو العراق، فدول محور الخير - وَفْقَ التسـمية الأمريكية - هي تلك الدول التي اختارت الترحيب بمشـاريع الاحتلال فـي المنطقة للتخلص من أنظمة الممانعة سـعياً منها للإبقاء على نفسها حاكمة لشعوبها مدى الحياة.

لقد بدأت التظاهرات بحرق البوعزيزي نفسـه اعتراضاً على لطمة وُجِّهَت له من شرطية حاسبته على عربة الخضار غير المرخصة ومنعتها عنه، ومن هنا اندلعت الشرارة لتنقلب الموازين وتصبح الأنظمة الحاكمة المستبدة مطارَدة من شعوبها؛ فيطلب رئيس الدولـة من الجيش إطلاق النار تجاه الصدور العارية للشباب فيرفض قادة هذا الجيش: إما لضمان بطاقة التأهل للمرحلة اللاحقة، أو أنهـم أدركوا انتهاء عهد القمع تصديقاً منهـم لرياح التغيير القادمة؛ فاليوم وقد تخلت دول الغرب عن عملائها وسـحبت يدها من إسنادهم صار القرار إلى الشارع يُسقِط من يشـاء منهم، ثم يحتكم إلى انتخابات تشـمل جميع الحركات والأحزاب المجتمعية والسياسـية؛ ولكن من المؤكد أنه لن يصل إلى السـلطة من لا ترضى عنه هذه الدول الغربية المساندة للحَراك الشعبي، وإذا حدث ذلك فبالتوقيع على المعاهدات والاتفاقيات الضامنة لمصالحهم.

تبعت تونسَ مصرُ بحَراك صـار أعجوبة للمتابعين وملهماً لشعوب أخرى بسلوك الطريق نفسه للوصول إلى الغاية المنشودة، ولا شـك أن رئيس تونس لم تشفع له بطاقاته الممغنطة للدخول إلى المساجد، ومنعه الأذان، ومحاربته للحجاب، وتصدُّره للدفاع عن المصالح الغربية؛ بل تصاعدت نبرة الشـجب الغربي له حد المطالبـة بالتنحي وإعطائه فرصة البحـث عن مكان يؤويه من غضب شعبه.

ومثل ذلك وأكثر فعل شعب مصر، في تلاحم وإصرار وثبات

تاريخي سلب من حاكميه الشرعية فاضطرهم إلى التنحي وهم كارهون؛ بل زاد بأن حاكمَهم وأودَعهم السجن على ما اقترفوه بحق شعوبهم من موبقات وآلآم ومآسٍ على مدى عقود من الزمن ولم ينفعه كذلك تجهيز الغاز لإسرائيل ولا محاصرة غزة.

كانت مصر وتونس من دول محور التحالف الغربي، بينما تغير الحدث والمسار في ثورتي (اليمن وليبيا)؛ ففي الأولى تنتظر الحل الخليجي بمبادرة تنحي الرئيس، بينما الثانية سمحت بعض الأنظمة العربية بالتدخل الغربي بحدوث مجزرة بطائرات وقنابل وقتال ضار بين طرفي المعادلة المؤيدين للسلطة والثوار عليها، فدخلت ليبيا منعطفاً خطيراً لا يمكن رسم نهاياته على ضوء المعطيات المتشابكة: من تسخير المرتزقة، ومساندة غربية سترهق كاهل الليبيين.

إن تغير التعاطي مع الثورات في المرحلة الأخيرة لينبئ عن تحكُّم المصالح الغربية في المنطقة، وحرصها الشديد على أن عملية التغيير لن تأتي بمن يهدد مصالحها؛ وهي نتيجة لا يمكن أن يقبلها أي متابع للحدث ما دام التعاطي الغربي بالإيجاب مع هكذا تغييرات؛ إن لم يأخذ القائمون على هذه الثورات حذرهم من الاختراقات والتدخلات والمساعدات التي تبدو مجانية؛ لكن وراءها ما وراءها من التحكم بمصير الشعوب.

نأتي إلى الحدث العراقي في الحَراك الشعبي بنمطه السياسي الذي شمل كل فئات المجتمع لتقول قولتها: (الشعب يريد التغيير). نعم، فالشعب كل الشعب العراقي: من كرد وعرب في الشمال من أقصاه إلى أبعد نقطة في الجنوب، وتحركت جموع الشعب من بساتين الشرق في ديالى إلى أقصى بادية الرمادي في الأنبار، فهذا هو الشعب بكل مكوناته. أما الإرادة فهي انصهار العراقيين ببوتقة مطالبهم الحقة لتكون إرادة حرة، وأما التغيير فهو الخلاص من المحتل وأعوانه ونبذ التبعية للأجنبي... بهذا الفهم بدأ العراقيون حَراكهم الحرُّ يوم الخامس والعشرين من شباط فبراير، واتخذوا من الجُمَع والأيام زماناً للإعلان عن الرفض الشعبي العارم، وكان لساحة التحرير في وسط بغداد مكاناً لانطلاق الثورة الشعبية ضد الاحتلال ومن جاء معه. إن جميع من شارك في التظاهرة يطالب بالتغيير؛ فهم على دراية تامة ببواطن الأمور وكيفية سرقة وطن بحجة الادِّعاء بالتمثل لمكوِّن معَّين، ورفع المظالم عن مكوِّن آخر، وتحقيق حلم بعيد المنال بالكذب والخداع لمكوِّن ثالث. تلك القسمة البريمرية[1]. فتقسيم العراق إلى مكونات وفئات بغية تسهيل الانقياد مضاف إليه التخويف من عدو وهمي وملاحقة المخلصين من أبناء العراق بتهمة ما يسمى الإرهاب، فكل العراقيين الرافضين للمحتل مدرَجون تحت طائلة المادة (٤ إرهاب) التي يقبع تحت بندها آلاف العراقيين في السجون والمعتقلات السرية منها والعلنية عبر منظومة المخبر السري مدفوع الأجر غير المسؤول عن أي تهمة ينسبها إلى هذا الشخص أو ذاك... هذا الحال الأمني المتدهور، والاعتقالات العشوائية، والتغييب القسري، والتهجير، وتفشي الأمية (تسعة ملايين أمِّي في العراق وَفْقَ آخر إحصائية)، وانعدام الخدمات والمتطلبات الأساسية، وتلاشي الحصة التموينية، كل ذلك - ناهيك عن وجود المحتل السبب الأول والرئيسي - دفع العراقيين إلى الخروج إلى الشوراع معلنين رفضهم لوجوده أو التمديد له من الحكومة الاحتلالية الخامسة، وفي المقابل تهيأت الحكومة بكامل استعدادها وجاهزيتها القمعية لقمع التظاهرات بتقطيع الطرق ومنع الناس من المشاركة في التظاهرة الكبرى؛ ومع ذلك فالحضور كان لافتاً للنظر في إشارة إلى إصرار العراقيين على طرد المحتل ومحاصرة عملائه وسقط في هذه التظاهرة كثير من المتظاهرين بين قتيل وجريح في عموم المناطق التي اجتاحتها التظاهرات نتيجة تصدي قوات المالكي لمطالب المتظاهرين بالعصي والهراوات وقاذفات المياه، وحتى الرصاص الحي، وحاصروا المتظاهرين، وطاردوهم من شارع لآخر بدءاً من ساحة التحرير في بغداد ومروراً بمظاهرات الفلوجة وكركوك والسليمانية وديالى وغيرها من المناطق. المثير في الأمر أن إدارة الاحتلال الأمريكي (وحتى الدول الغربية) سكتت عن هذه الانتهاكات ضد المتظاهرين؛ على الرغم من وجود شهادات حية تناقلتها قنوات فضائية عراقية، مثل: (الرافدين والشرقية والبغدادية)، بل التزمت إدارة الاحتلال ومعها عواصم الدعم الغربية للتغيير في المنطقة الصمتَ تجاه انتهاكات حكومة المالكي ضد المتظاهرين في العراق؛ فهل هذا يعني أن العراق غير مشمول بالتغيير الحاصل في المنطقة؟ أم أن حكومة المنطقة الخضراء المستندة إلى الاحتلال الأمريكي لا تزال ضمن حيِّز الصلاحية الاحتلالية في البقاء وغير مشمولة بالتغيير؟ أم أن احتلال العراق - وهو ما يطلِق عليه العملاء تحريراً - يمثل حجر الزاوية في الفوضى التي يريد الغرب تعميمها على المنطقة؟ فإذا كانت الثورات ستنتج دولاً مسخاً كما حدث في العراق طيلة السنوات الثماني الأخيرة، فإن المنطقة ستشتعل تمزيقاً ونزاعات وابتعاثاً للأقليات المفرِّقة لجسد هذه الأمة، وإذا كان الحَراك سينتج تحرراً لإرادة الشعوب وخلاصها من ربقة الفاسدين

(١) نسبة إلى بريمر سيئ الصيت، الحاكم المدني السابق للعراق بعد الاحتلال.

الدائرين في فلك الاستعمار فحيهلاً.

إن الإصـــرار علـــى التحرير يدفع العراقيـــين إلى أن تكون ثورتهـــم التغييريـــة كمقاومتهـــم: نابعة من داخلهـــم وإيمانهم بقضيتهـــم؛ فالمقاومة العراقية أطلق عليها المتابعون أنها مقاومة يتيمـــة؛ لا لفقرها ولا لتواضعها فـــي مواجهة المحتل؛ فهي التي حازت قصب السبق في اندلاعها كأسرع مقاومة يشهدها العالم في العصـــر الحديث، أطلقوا عليها اليتمة ليتمها من مســـاندة خارجيـــة تعينها على مواجهة المحتل ومع هذا فقد اســـتطاعت المقاومة العراقية أن تكون ندّاً مكافئاً لقوات الاحتلال فضلاً عن ابتكارها لأساليب جديدة كبَّدت المحتل الخسائر الكبرى وألجأته إلى الانسحاب تحت جنح الظلام؛ وبهذا تكون المقاومة قد قطعت الشـــوط الأصعب في تحرير العراق. غير أن مشروع الاحتلال لا يزال قائماً بهذه العملية السياســـية؛ فلا بد من حَرَاك شعبي يستثمر انتصارات المقاومة وإنجازاتها ويسير على ثوابتها بحراك شـــعبي سياسي كاشـــف لترهات المحتل وفساد عملائه، فكانت جمعـــة البداية (جمعة الغضب العراق) في ٢٠١١/٢/٢٥م، تلتها جمعة الشهداء يوم ٢٠١١/٣/٤م التي خرج العراقيون فيها وفاء لمن نالتهم أيادي الغدر في جمعة البداية، واختار المتظاهرون يوماً غير الجمعة أطلقوا عليه يوم الندم ٢٠١١/٣/٧م بمناسبة مرور عام على الانتخابات الأخيرة؛ ليعلنوا ندمهم على المشاركة فيها، وكان يوماً له أثره في الحراك السياســـي الشعبي العراقي فقد أعلن من خُدع بهؤلاء عن ندمه على ما فعل بانتخابه الفاســـدين المســـتقوين بالمحتل على أبناء العراق، بعد يـــوم الندم هذا وما صاحبه من فعاليات تعبِّر عن مكنون أبناء العراق تجاه شـــراذم المحتل اختار العراقيون اســـماً لجمعتهـــم فكانت (جمعة الحق) ٢٠١١/٣/١١م، وتوالت بعدها جُمُعَات العراقيين بإصرار وثبات فكانت جمعة (المعتقل العراقي) ٢٠١١/٣/١٨م، وجمعة (الرباط) ٢٠١١/٣/٢٥م، وجمعة ربيع الكرامة ٤/١/ ٢٠١١م، وستتواصل تظاهرات الجُمَع بتســـميات ذات دلالة ومعنـــى كجمعة الوحدة الوطنية، وجمعة الرحيل، وجمعـــة الثبات؛ حتى تحقيق مطالب العراقيين .

هـــذه الجُمَع وتلك الأيـــام أثبت العراقيون فيهـــا انتماءهم لقضيتهـــم في التخلص مـــن الاحتلال ومَن جـــاء معه، وأثبتت كذلك كسرهم للطوق الأمني المفروض عليهم في التعبير وحرية الرأي؛ فظهرت ائتلافات وتجمُّعات تولَّت التحضير للمظاهرات وتكفَّلت بديمومتها واســـتمراريتها برصد الانتهاكات والمواجهات مـــع القوات القمعيـــة الحكومية؛ فكان ائتـــلاف ثورة الخامس والعشـــرين من شـــباط والثورة العراقية الكبرى، وثورة الغضب العراقي، ورابطة شـــهداء ثورة الخامس والعشرين من شباط.. وغيرها كثير؛ تولَّت الدفـــاع عن العراقيين وإدامة زخم الحراك الشعبي وَفْقَ منظور سياسي واضح جليٍّ؛ اتَّخذ من ثوابت القوى المناهضة للاحتلال نبراســـاً له في الحَـــراك؛ وهو ما أدى إلى التفاف كثير من شـــرائح المجتمع حول هذا الحَراك الشـــبابي: من أمهات المعتقلـــين وضحايا الاحتـــلال والعاطلين عن العمل والمتضررين من الممارســـات الاحتلالية والحكومية، ولم يقتصر الأمر على هؤلاء؛ فقد انضم إليهم المحامون والمثقفون وشـــيوخ العشـــائر، فصار ميدان حَراكهم لا يقتصـــر على بغداد وبعض المحافظات؛ بل بادر العراقيون في الموصل إلى تحويل اسم ساحة السجن القديم في الموصول إلى ساحة الأحرار لتشهد اعتصاماً مفتوحاً لحين تحقيـــق مطالب الثائريـــن، وانتقلت حمَّى إيجاد الســـاحات إلى الأنبار لتكون ساحة التحرير في الرمادي شاهدة على تدفُّق العشـــائر العراقية بكامل أبنائها، يتقدمهم شيوخهم معلنين تأييدهم المطلق لمطالب العراقيين.

كل هذا حدث وما يزال في العـــراق، وليس هناك أحد يعير اهتماماً لمعانـــاة العراقيين؛ لأنهم يتصدَّون للمشـــروع الأمريكي الداعي إلى تقســـيم المقسَّـــم وتجزئة المجزَّأ فتُـــرِك حَراكهم من دون تغطيـــة إعلامية، ومن دون تفاعل غربي أو حتى عربي، ولكنَّ الإصرار العراقي علـــى مواصلة التصدي لتحقيق أهداف ثورتهم ضد الاحتلال ومن جاء معه، وثباتَهم على موقفهم عدمَ الاعتراف بما نتج عن الاحتلال يبقى هو الداعم الأساسي للحَراك السياسي العراقي بمنطلقات شعبية تشمل الجميع .

بقي أن نقول: إن النخب السياسية المناهضة للمحتل العاملة على الساحة العراقية، لا بد لها أن تجد الرابط والإطار للتحرك من دون الاســـتناد إلى قوى لاحتلال الأمريكي أو الغربي أو من يدور في فلكهما، وأن تديم زخم الحَراك بكشـــف الفساد الذي نخر العراق ووضعه في مصاف الدول الأشـــد فقراً في العالم؛ بل احتل العراق المراتب الأولى في الفســـاد الإداري في العالم. وعليها أن تضع تحت الضوء انتهاكات المحتل النفسية والجسدية والإداريـــة والمالية، وكذلك مـــن خَلَفَه في إدارة مشـــروعه في الصفحة السياســـية، ومثلما تخطَّى العراقيون بكل عزم وثبات صفحـــات الاحتلال بالتقتيل والاعتقالات والتصفية الجســـدية والشـــحن الطائفي والتقســـيم على أســـس العرقية والمذهبية، فسيتخطى العراقيون – بإذن الله – مرحلتهم هذه نحو الإمساك بزمام أمور البلد وطرد المحتل ومحاسبة العملاء والفاسدين، وما ذلك على الله ببعيد.

مجلة البيان

جديد مجلة البيان

أهمية الوثيقة:

١- تحديد حاجات المربين وفق منهجية عالية.

٢- الاسهام في تطوير أداء المربين وتأهيلهم.

٣- الاسهام في تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو التدريب.

www.albayan.co.uk

الريـــــاض: ـ هـــــاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحـــــويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فـــــاكس: ٤٥٣٢١٢١

التـــوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـــ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـــ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جـــدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكـــة والمديـــنة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقـــة الجنوبيـــة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقـــــة الشرقيـــــة: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقـــــة القصيـــــم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

الصومال
بين نشاط المنصِّرين وغفلة المسلمين!

مجدي داود
Mdaoud_88@hotmail.com

لا يزال النصارى يسعون جاهدين إلى تنصير المسلمين في كل مكان، ينفقون في سبيل ذلك مليارات من الأموال، ويبذلون كثيراً من الجهود، ولا يتركون وسيلة إلا ويستخدمونها، ولا باباً إلا ويطرقونه، ولا فرصة إلا ويستغلونها. وبحسب معلومات موثقة عرضها موقع (طريق الإيمان) الإلكتروني، فإن هناك حوالي ٢٤,٥٨٠ منظمة تنصيرية في العالم، أكثر من عشرين ألف منها تُغلِّف نشاطها التنصيري بالخدمات العامة، مثل: التعليم والعلاج. ويعمل في هذه المنظمات حوالي ٢٧٣,٧٧٠ منصِّر ومنصِّرة، تفرغو للعمل خارج المجتمعات النصرانية. وهناك ١,٩٠٠ محطة تبشيرية تبث برامجها إلى أكثر من ١٠٠ دولة، بلغاتها المحلية. ويتلقى المنصِّرون تبرعات سنوية قد تصل إلى ١٥٠ مليار دولار.

لمحة تاريخية عن التنصير في الصومال:

يتعرض الصومال لمحاولات التنصير منذ زمن بعيد، من قَبْل أن يقع فريسة لقوى الاستعمار الأوروبي البغيض؛ فكانت الحبشة (إثيوبيا حالياً) تحاول استعادة الأراضي الصومالية مرة أخرى إلى سيطرتها؛ حتى إن الإمبراطور الحبشي (يوحنا) أصدر قوانين لتنصير المسلمين قسراً، وقامت حروب بين الصوماليين المسلمين والأحباش الصليبيين، ولولا تدخُّل البرتغاليين داعمين للأحباش لاختفت من الخريطة الحبشةُ الصليبيةُ ولصار أهل الحبشة كلهم مسلمين.

ولم يكن الصومال بعيداً عن أطماع الدول الاستعمارية الغربية؛ وذلك لما يتمتع به ذلك البلد من مكان إستراتيجي على المحيط الهندي والبحر الأحمر وإشرافه على مضيق باب المندب؛ فقد احتله البرتغاليون من سنة ١٥٠٦م إلى سنة ١٦٦٠م، ولكن خلال هذه الفترة الطويلة لم يتمكنوا من تنصير أحد من المسلمين، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر حينما بدأت الدول الغربية في احتلال البلاد العربية والإسلامية لم يكن الصومال بعيداً عن أعين هذه الدول؛ فقد احتلت بريطانيا شمال الصومال، واحتلت إيطاليا جنوبه، وقامت إثيوبيا باحتلال مدينة هرر والصومال الغربي، وهذه الدول الصليبية الثلاث على الرغم من اختلاف مصالحها، إلا أنها تلاقت واتفقت على العمل على تنصير الشعب الصومالي المسلم، وليس أدلَّ على ذلك من قيام الإرساليات الكاثوليكية بالعمل في شمال الصومال الذي تحتله بريطانيا

البروتســـتانتية، كما كانت إرساليات بروتســـتانتية تعمل في الجنوب الواقع تحت ســـيطرة إيطاليـــا الكاثوليكية والغرب الواقع تحت ســـيطرة إثيوبيا الأرثوذوكســـية، ولعل المساعدة العســـكرية التي قدمتْها بريطانيا وإيطاليا وفرنســـا للقوات الإثيوبيـــة التي احتلت مدينة هرر وغـــرب الصومال تؤكد أن هذه الحروب كانت صليبية بامتياز.

وبمجـــرد أن تم احتلال الصومال من قِبَـــل هذه القوى، فقد توافدت عليه عشـــرات المؤسســـات التنصيرية؛ ســـواء كانت كاثوليكية أو بروتستانتية، وبدؤوا في استغلال الظروف الصعبة للشعب الصومالي في بث السموم؛ فأنشؤوا المدارس، وكان المنصِّـــرون يتجولون بين القـــرى والأرياف ويتنقلون مع البدو الرُّحل؛ حتى إن بعض العشـــائر تســـمَّت باسم المنصِّر الذي لازمها.

وانتشـــرت الإرســـاليات التنصيريـــة في كافـــة أنحاء الصومال، وكل هذا بمعاونـــة المحتل الغاصب، وكان التنصير في بداية الاســـتعمار خفياً عن عيون العلماء؛ ففي الشـــمال اكتشف ذلك السيد محمد عبد الله حسن، فثارت ثائرته ونبَّه الناس إلى خطورة الأمر وأخذ يخطب بالناس ويجمعهم حوله فأدرك الناس خطورة هذه المدارس التنصيرية؛ وأنها تســـعى إلى هدم دينهم، فثارت ثائرتهم أيضاً، فحملوا الســـلاح ضد هذه الإرســـاليات والمدارس التابعة لهـــا وكذلك ضد المحتل الصليبي وكان للســـيد محمد عبد الله حســـن دور كبير في هذا حتى اســـتطاعوا طرد الإرساليات التنصيرية من شمال الصومال الذي كانت تحتله بريطانيا، وذلك عام ١٩١٢م. وكان عدد من اســـتطاعوا تنصيرَه خلال عقود من الزمن هو ٣٧٥ متنصراً جرى نقلهم إلى جيبوتي ولم يُعرَف عنهم شـــيء بعد ذلك. وبخروج هذه الإرســـاليات خرج المنصِّرون من الشمال الصومالـــي ولم يعودوا إليـــه أبداً في فتـــرة الاحتلال. أما الجنوب فقد كان التركيز فيه أقوى من التركيز في الشـــمال كما أنه لم تقم انتفاضة قوية كتلك التي قام بها السيد محمد عبد الله حسن ومن معه، وكانت هذه الإرساليات تتلقى دعماً مـــن المحتل الإيطالي، وكذلك من الحكومة الصومالية؛ بحجة مساعدتها على الخدمات الاجتماعية التي تقدمها.

التنصير بعد خروج المحتل:

حصلت الصومال على الاستقلال في عام ١٩٦٠م، لكن المســـتعمر خرج وخلَّـــف وراءه ما هو أســـوأ من الاستعمار في كثير من الأحيان؛ فقد خلَّف وراءه آلاف المنصِّرين والمؤسســـات التنصيرية التي أمضى بعضُها أكثر من نصف قرن في الصومال؛ حتى تغلبت على كثير من المشاكل التي كانت تواجهها في البداية واستطاعت الاندماج في الوسط الصومالي، فكانت الفترة التي تلت خروج الاستعمار من أفضل الفترات التي مارست فيها هذه المؤسســـات عملها التنصيري الهادم لكل الأخلاق والقيم وقبل ذلك العقيدة الإسلامية، وكان أهم عاملين ساعدا هذه المؤسســـات على تكثيف العمل خلال هذه الفترة، هما:

• **التوجـــه العَلمـــاني** الـــذي انتهجتـــه الحكومات الصومالية التي تعاقبت على الســـلطة، والتي توجهت نحو الغرب وصارت تتودد إليهم، وبالطبع كان عليها أن تقدم خدمات ملموسة لهذه الدول الغربية كي تدعمها، وكانت هذه الخدمـــات هي العطف علـــى رعايا هذه الدول ومساعدتهم، ورعايا هذه الدول هم المنصِّرون.

• **اعتمـــاد الحكومـــة الصومالية اللغـــة الإنجليزية لغة رسمية في البلاد**، وهو ما دفع كثيراً من الصوماليين إلى التوجـــه إلى مدارس الإرســـاليات التنصيرية كي يحصلوا على وظيفة مناسبة.

ومـــن الغريب أنه فـــي هذه الفتـــرة تم وضع أول دســـتور صومالي، وذلك في عام ١٩٦١م، وقد تضمن هذا الدســـتور فِقْرة تتحدث عن حريـــة العقيدة لكل المواطنـــين، وفي الوقت ذاته تضمَّـــن فِقْرة أخرى تمنع الدعوة إلى غير الإســـلام، وهذا من التناقض الكبير؛ فكيف يجري منع الدعوة إلى غير الإسلام، بينما تباح حرية الاعتقاد في بلد كل أهله مسلمون؟ وهذه الفِقْرة تعلقت بها الإرســـاليات والمؤسسات التنصيرية، وكانت تشجع أتْبَاعها على الذهاب إلى الجهات المعنيَّة لإعلان رغبتهم في التنصُّر.

أهم المؤسسات والإرساليات التنصيرية التي عملت في الصومال:

ومن أهم المنظمات والمؤسسات التنصيرية التي عملت في الصومال: الإرسالية الكاثوليكية والإرسالية السويدية، ومنظمة المينونايتيون التي يتركز نشاطها في الصومال منذ خمسين عاماً من خلال برنامج (طريق يسوع بين الصوماليين) عبر الوسائل الإغاثية، ومنظمة كاثوليك ريليف التي تقدم المساعدة للمنظمات التنصيرية المختلفة منذ عام ٢٠٠٢م، بالإضافة إلى (البرنامج العائلي العالمي) الذي يهتم بالنساء والأطفال، ومنظمة التطوير الإغاثية الكنسية (CRDE) التي تهدف إلى الدعوة الصريحة إلى النصرانية وتقدِّم الدعم الإغاثي للصوماليين عبر مشاريعَ إنمائيةٍ زراعيةٍ شمال غربي الصومال، ويجري فيها إيواء ما يزيد عن ٣٠٠ ألف لاجئ، ومنظمة مجتمع التوراة وإرسالية السودان الداخلية، ومنظمة آباء كونسولاتا التي تمارس عملها التنصيري في ثوب إغاثي عبر إدارة وحدات طبية، ودُورِ أيتام ومدارس، ومنظمة أخوات كونسولاتا التي تقدم برنامجاً للإغاثة الكاثوليكية منذ عام ٢٠٠٢م، بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية، يتضمن برامج غذائية للأطفال، ويهدف هذا المشروع إلى الوصول إلى تنصير ٣٠٠ طفل سنوياً.

الجهود الشعبية وجهود العلماء في مقاومة التنصير بعد الاستقلال:

إن التنصير في الصومال لم يتوقف ولا تزال المؤسسات التنصيرية تمارس عملها منذ أن وطأت أقدامهم أرض الصومال، وفي الفترات التي كانت تجد فيها بعض المضايقات من قِبَل الحكومات الصومالية كانت تقوم بتجميد نشاطها لفترة قصيرة ثم لا تلبث أن تعاود نشاطها بضراوة بعد ذلك، لكن كان للعلماء دور كبير بعد الاستقلال في التصدى لهجمات المنصِّرين، نذكر من ذلك:

عندما تسربت أنباء عن توزيع موادَّ تحتوي على شعارات نصرانية ومقتطفات من قصص الأناجيل المحرَّفة على طلاب المدارس سارعت رابطة علماء الصومال - وهي مظلة جامعة لفصائل العمل الإسلامي في الصومال بما في ذلك التيار الصوفي - إلى التأكد من صحة الخبر وقد حصلت على عيِّنات من هذه المواد وعقدت مؤتمراً صحفياً في مقديشو أذاعت فيه بياناً يرفض الممارسات التنصيرية ويدعو الشعب الصومالي إلى التصدي لها، ودعوا إلى اجتماع في ساحة ميدان التربون الشهيرة في وسط مقديشو، وذلك في ٢٠٠٤/٤/١٢م، وحضر هذا الاجتماع عدد كبير من العلماء الصوماليين، تحدثوا فيه عن أحكام الردة والمرتدين وعن حكم بيع هذه المواد وتوزيعها وحذروا من الخطر الذي تسببه هذه المؤسسات التنصيرية، وقاموا بإحراق بعض المواد التي كانوا قد حصلوا عليها.

التنصير والانتشار في الفراغ ومطاردة هيئات الإغاثة الإسلامية:

بعد سقوط الحكومة المركزية عام ١٩٩١م، وبعد الأحداث التي شـهدتها الصومال، توجهت هيئـات الإغاثة التنصيرية والإسـلامية إلى الصومال؛ لكن لما كانت المنظمات الإسلامية أقرب إلى الصوماليين؛ حيث إن الشعوب تميل إلى من يماثلها فـي العقائد والأخلاق والقيم؛ وخاصة في بلد مثل الصومال كافة سـكانه من المسلمين؛ لهذا فقد رحب الشعب الصومالي بالمنظمات الإسـلامية وتقبَّلوا منها المعونـة وكذلك الدعوة والنصيحة، وبهذا تكون المنظمات الإسلامية قد ملأت فراغاً أرادت المنظمات التنصيرية أن تستأثر به كي تمارس نشاطها التنصيـري بلا أية مشـاكل أو عقبـات أو منغصات؛ لذلك اسـتَعْدَتْ المنظماتُ التنصيريـة الإدارةَ الأمريكية على هذه المنظمات الإغاثية الإسلامية، وهو ما جعل الإدارة الأمريكية تُلصِق بهذه المنظمات تهمة دعم المنظمات الإرهابية، وعلى أثر ذلك جرى منعُها من ممارسـة عملها بالصومال، وهو ما جعل السـاحة فارغة تماماً للمنظمات التنصيرية كي تنشر الفساد وتبث السموم دون حسيب ولا رقيب.

وعـن خطـورة الهجوم علـى منظمات العمـل الخيري الإسلامي يقول الباحث محمد النجار (الخبير بمركز الخليج للدراسـات الإسـتراتيجية) خلال ندوة (مستقبل مؤسسات العمـل الخيري الخليجي في ضوء الاتهـام الأمريكي لها بتمويل الإرهاب): «الحملـة الأمريكيـة على هـذه الجمعيات ترغب في القضـاء على المكوِّن الدينـي لهذه الجمعيات وإفساح الطريق أمام جمعيات تنصـيرية غربيـة لتحل محلها خصوصاً في أفغانسـتان والبوسنة»، وهو الوضـع نفسـه في الصـومال أيضاً. إن الحـرب على منظمات الإغـاثة والعمل الخيـري الإسـلامي هـي جزء من الإسـتيراتيجية الغربية للتنصير.

ومنـذ عـام ١٩٩١م والهيئات التنصيريـة تنهش لحوم الصوماليين وتحـاول فرض التنصير عليهم مسـتغلة بذلك الظروف الصعبة التي تعيشها البلاد: مِنْ تسلُّط أمراء الحرب على مقدرات البلاد، وكذلك الفقر والمجاعة التي يتعرض لها الصومال؛ ففي مطلع عام ٢٠٠٠م أعلنت الخارجية الأمريكية عن إرسـالها ٧٠ فرقة تنصيرية الى جنوب إفريقيا، مؤهَّلين

ومدرَّبين علـى العمل في أحلك الظروف فـي قلب الغابات والحروب والأمـراض وبالطبع كان للصومال نصيب كبير من هذه الفِرَق التنصيرية، وظلت السـاحة مواتيةً تماماً لأعمال المنصِّريـن ونشـاطهم حتى تمكَّنت المحاكم الإسـلامية عام ٢٠٠٦م من السيطرة على العاصمة الصومالية وهزيمة أمراء الحرب، هنالك أدرك المستعمرون القدامى والمنصِّرون الذين يشـكلون ذراعاً للاستعمار في الصومال خطورة وجود نظام إسـلامي في الصـومال؛ فهذا النظـام الإسـلامي - حتماً - سيوقف نشاط المؤسسات التنصيرية في الصومال ولو بالقوة؛ هـذا بالإضافة إلى أنها كانت قد عملـت فعلاً على القيام بـدور إغاثي كبير في العاصمة الصومالية وغيرها من المدن، فما كان من إثيوبيا الصليبية إلا أن تقوم بحرب بالوكالة على المحاكم الإسـلامية، وهو ما أدخل الصومال في حقبة جديدة من الاستعمار والتنصير كذلك.

وفي سـابقة خطيرة تحدث لأول مرة في تاريخ الصومال أفرغت منظمة كَنَسـية هي (Swiss church) حمولة تزن أطناناً في مدينة مركا (جنوب غرب مقديشـو على بعد ١٠٠ كـم تقريباً)؛ وهي عبارة عن علـب كرتونية تحتوي على لعب أطفال وعلاَّقات مفاتيح عليها صلبان، بالإضافة إلى نُسَخ من قصص الأناجيل المحرَّفة، وكذلك بطاقات تهانٍ تحمل أسماء العائـلات المُهدِية وعناوينها، ودعـوة صريحة إلى الارتداد والتنصُّر، ووزعت هذه المواد السـامة على طلبة المدارس في مـركا في ٢٠٠٤/٤/١م على أنها هدايـا قيمة، وهذا التوزيع العلنـي للأناجيل المحرفة والصلبان هو مـا لم يكن يحلم به التنصير في الصومال قط.

تنصير اللاجئين:

لـــم تتوقف الحملة التنصيرية عند تنصير الصوماليين في الصومال فقط، بل استهدفت اللاجئين الصوماليين أيضاً؛ ففي الأول من نوفمبر ٢٠١٠م نقل موقع مفكرة الإسلام الإلكتروني خبراً عن قيام المؤسســـات الإغاثية الغربية باستغلال الظروف القاسية للاَّجئين الصوماليين في كينيا؛ من أجل إبعاد المسلمين عن دينهم وقال الداعيـــة محمد عمر جامع (أحد أبرز الدعاة في مخيمات اللاجئين) وَفْقاً لموقع (الجزيرة نت): «هناك أكثر من ١٥ هيئة إغاثة غربية في المخيمات، تعمل على إبعاد الجيل الصومالي الجديد عن دينه الإســـلامي)، كما نقل موقع مفكرة الإســـلام أيضاً على لســـان أحمد عبد الله محمد (مســـؤول الجمعيـــة الخيرية لمســـلمي كينيا) قولـــه: «إن إغلاق مكاتب مؤسســـة الحرمين الخيرية في كينيا شجع كثيراً من المحسنين الكينيين على العمل الخيري بدعم المعاهد الإسلامية، ومراكز الأيتام، وبناء المســـاجد، وحفر الآبار، غير أن جهودهم لم تصل إلى مخيمات اللاجئين الصوماليين في كينيا، وهم الذين يقدَّر عددهم بأربعمائة ألف شخص».

الغفلة الإسلامية والعربية عمَّا يدور في الصومال:

إن الصومـــال - على الرغم من كل ما يحـــدث فيه - بعيد كلَّ البعد عن محلِّ اهتمام العرب والمسلمين؛ فبالكاد نسمع عن الصومال حينما تشتد وتيرة المعارك بين المتنازعين المتقاتلين، وبالكاد نسمع عنه حينما يكون هناك بعض التطورات السياســـية الهامة، وما عدا ذلك فلا نســـمع عن الصومال شـــيئاً؛ فالجامعة العربية نسيت (أو تناســـت) أن الصومال دولة عربية لهـــا مقعد في هذه الجامعة المتفرِّقة، وليســـت المنظمات الإسلامية - كمنظمة المؤتمر الإسلامي وغيرهـــا - بأفضل حالاً من الجامعة العربية؛ إذ يبدو أن الداء الذي أصابهـــم جميعاً واحد، بـــل إن الصومال غائب عـــن مجال اهتمام العلماء والدعاة والمفكرين الإسلاميين، وقليل منهم من يتذكره، وقليل منهـــم من يدرك ما الذي يحدث في الصومـــال؛ حتى عندما قامت القوات الإثيوبية باحتلال الصومال لم تتحرك الجامعة العربية ولا المنظمات الإسلامية لإجبار إثيوبيا على الانسحاب من الصومال، وكأن الصومال جزء من روســـيا أو الصين؛ لا يهمنا ولا يعنينا الذي يجري فيه من أحداث؛ وهذه مصيبة وربِّ الكعبة!

مقترحات لمواجهة التنصير في الصومال:

إن الواقـــع الصومالـــي بتعقيداته هو فرصـــة كبيرة جداً للمنصِّرين، وعلى هذا فلا بد من سُـــبُلٍ ذاتِ تأثيرٍ قوي تشترك فيها كل التيارات الإسلامية والمؤسسات الحكومية والوطنية في الصومـــال، خصوصاً في ظل وجود حكومـــة كانت ضمن قوات المحاكم الإســـلامية التي عملت على صـــد التنصير لوقت كبير وقامت بدَور إغاثي فـــي العاصمة وغيرها من المدن حتى أرَّقت المنصِّرين وعجَّلت بالغزو الإثيوبي للبلاد، ومن هذه السبل:

أولاً: السياسة:

فالسلطة الصومالية الحالية برئاسة شيخ شريف شيخ أحمد يجب أن يكون لها دور فعال وقوي في مواجهة التنصير؛ من خلال إصدار القوانين والتشريعات اللازمة لوقف هذا الخطر الذي يهدد الصومال بأكمله، وعليها أن تقوم بمراقبة البعثات الدبلوماســـية وهيئـــات الإغاثـــة الأجنبية، وعلى هذه الســـلطة الصومالية أن تُثبِت بحـــق أنها تعمل لخدمة الإســـلام في الصومال؛ وذلك من خلال صد هذه الهجمة التنصيرية.

ثـانـيـاً: هـيـئـات الإغـاثـة الإسلامية العالمية:

فيجـــب على هيئـــات الإغاثة الإســـلامية العالمية أن تعمل على الدخـــول مجـــدداً إلى الســـاحة الصومالية للحدِّ من تأثير ووجود هيئـــات الإغاثـــة النصرانية التي

تستغل هذا الفراغ في التأثير على المحتاجين وفرض النصرانية عليهم، ولأن هذه الهيئات متهمة دائماً بدعم الإرهاب، فعليها أن تعمل على تغيير هذه الرؤية عنها. ونحن لا نطالبها بالدعوة إلى الإسلام بل بالحضور فقط؛ فبمجرد حضورها ينحسر وجود المنصِّرين؛ وهذا في ذاته خدمة جليلة تقدِّمها هذه الهيئات، وفي الوقت نفسه فإن هذه الهيئات بحاجة إلى دعم إسلامي وعربي رسمي خصوصاً من الدول الصديقة للإدارة الأمريكية؛ بحيث تسعى إلى رفع تهمة الإرهاب عن هذه الهيئات وإيجاد موطئ قدم لها في الصومال.

ثالثاً: جمعيات وهيئات الإغاثة المحلية:

يجب أن تكون هناك جمعيات وهيئات إغاثة محلية يكون تمويلها من أهل الثراء في الصومال؛ بحيث تعمل هذه الهيئات على سدِّ الفراغ الذي تركته الهيئات الإغاثية العالمية، والأهم أن تكون هذه الجمعيات على مستوى مقبولٍ تقدِّمُ خدمات مقبولة من الناس حتى تستطيع تضييق مجال عمل الهيئات التنصيرية.

رابعاً: العلم بالنصرانية والحوار مع النصارى:

وهذا دور الشباب وطلاب العلم وكذلك المنظمات الإسلامية العالمية، مثل: (منظمة المؤتمر الإسلامية والندوة العالمية للشباب الإسلامي)؛ فهذه المنظمات مطالَبَة بأن تقوم بعمل دورات تأهيلية لتدريب الشباب الصومالي على محاورة النصارى؛ حيث يجري استقطاب عدد من هؤلاء الشباب خارج الصومال وتُجرَى لهم دورات مكثفة على أيدي أهل العلم المتخصصين في محاورة النصارى؛ وهذه معركة إن جرى الإعداد لها جيداً فإن النصر فيها والتوفيق من الله - عز وجل - للشباب المسلم.

خامساً: العلماء وتوعية الناس بخطر التنصير:

إن العلماء هم رأس حربة الأمة في مواجهة كافة التحديات؛ فبهم يقتدي الناس وعلى خطاهم يسيرون.

والعلماء هم أصحاب الصوت المسموع وأصحاب الأفكار البنَّاءة التي تؤرِّق العدو وتجعله يتخبط.

والعلماء هم الذين يملكون القدرة على التأثير في الناس وتنبيههم بخطورة التنصير وخطورة منظمات الإغاثة وخططها المشبوهة للتأثير على هوية وعقيدة الشعب الصومالي؛ ولهذا فالعلماء مطالَبون بأن يعيشوا وسط الناس ليل نهار لا يفارقونهم؛ يحدثونهم عن الخطر المحدق بهم ويدعونهم إلى الثبات على دين الله ويبيِّنون لهم كيفية التعامل مع المنصِّرين ويبينون لهم أيضاً فساد العقيدة النصرانية؛ وأنها عقيدة هشة سرعان ما تهتز إذا اقترب منها المتخصصون في النصرانية من المسلمين، ومهما تحدثتُ عن دور العلماء فلن تكفينا المصنفات؛ لكننا نؤكد على أهمية دورهم ونترك لهم اختيار الوسيلة المناسبة للقيام بهذا الدور.

سادساً: الدوريات والبحوث:

وهذه مهمة المجلات والصحف التابعة للهيئات أو الأشخاص الذين يؤمنون بخطورة التنصير في الصومال؛ فهذه مطالَبَة بأن تُصدِر دراسات وبحوثاً ودوريات حول نشاط المنصِّرين في الصومال، وأسماء المنظمات التنصيرية، وكيفية عملها واستقطابها للناس، والأماكن المنتشرة بها، وهو ما يؤدي إلى أن يصير جزء كبير من الشعب مدركاً لتطورات نشاط المنصِّرين.

سابعاً: محاولة لم شمل الفِرَق المتنازعة على كلمة سواء:

لن أكون من المتفائلين أكثر من اللازم وأطالب المتخاصمين الصوماليين بالوحدة ونبذ الخلاف؛ بل فقط أطالبهم بأن يكون بينهم تنسيق في بعض القضايا المهمة؛ وخاصة قضية مواجهة التنصير؛ فهذا التنسيق لن يضرَّ أيّاً من هؤلاء المتخاصمين لكنه سيؤدي إلى توحيد الجهود في مواجهة التنصير، وإنشاء هيئات إغاثية مستقلة لا تتبع أيّاً من هؤلاء المتنازعين، وتكون بعيدة عن النزاعات بينهم. ويكون من شأن هذه المنظمات تقليص المساحة التي تملؤها المنظمات الإغاثية التنصيرية.

أهم المصادر

- السياسات الثقافية في الصومال الكبير، د. حسن مكي محمد.
- الإسلام والحبشة، لفتحي غيث.
- بحث: التنصير في الصومال، بقلم حسن محمد إبراهيم.
- مقال: حملة مقاومة التنصير في الصومال، بقلم حسن محمد إبراهيم.
- تاريخ التعليم في الصومال، لمحمد علي عبد الكريم، وعبد القادر شيخ عبد الله، وعبد القادر شيخ يوسف، وعمر علسو، وأحمد جمعالة.
- النزاع الصومالي الإثيوبي، لعلي أحمد نور.
- مقال: التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته، لسيد أحمد يحيى.
- مقال: التنصير وإستيراتيجية الانتشار في الفراغ، لعمرو توفيق.
- مقال: الدور المشبوه لمنظمات الإغاثة الغربية في الصومال، لمحمد شافعي.
- مقال: غزو تنصيري لإفريقيا، لأحمد أبو زيد.

موسوعات ومواقع إنترنت.

- موقع المسلم.
- شبكة الصومال اليوم للإعلام.
- شبكة محيط للإعلام.
- موسوعة البيان الإلكترونية.
- مفكرة الإسلام.
- شبكة الألوكة.

مرصد الأخبار

حسين يعقوب: مصر بحاجة لقائد لا يستخفُّ به أحد

استقبل طلاب جامعة القاهرة الشيخ محمد حسين يعقوب بتقبيل الأيدي، وسط حضور مئات من الطلاب والطالبات بمسجد المدينة الجامعية. وافتتح محاضرته بما تمرُّ به مصر من أحداث الفتن قائلاً: «الظروف الحرجة تحتاج لإجراءات حرجة، وإن مصر تعيش منذ شهور فترة اختلطت فيها الآمال بالآلام، والأمل في الشباب. والمخرج هو أن يكتب الله النجاة ويرد كيد الأعداء، مؤكِّداً أن الأمة مستهدفة، وتتعرض لأحداث تتلاعب بمصير الوطن، وأن هذه الأحداث وراءها أيادٍ خفية، قائلاً: «أدعوكم أن نكون على المستوى في الهدوء وعدم الاستجابة للاستفزازات لتمرَّ الأمة لبر الأمان».

«مصر بحاجة لرجل على مستوى المسؤولية، وألا يكون همه الشهوات والكلام الفارغ، وأن تكون إرادته قوية؛ لا يتلاعب به ولا يستخف به أحد» كانت هذه كلمات الشيخ يعقوب حول أمَلِه في من يحكم مصر خلال الفترة القادمة، مضيفاً: أن النجاة من الفتن هي أن يكون الإنسان واحداً وليس بوجهين قائلاً: «أنا عمري ما شوفت حدٍّ بوشين بل بعشرة وشوش: وش في الجامع، ووش مع البنات، ووش مع الأكابر، وآخر مع الفقراء، وآخر في البيت والعمل. مؤكداً أن يكون الإنسان عبداً لواحد هو الله وألا يكون عبداً لشهوة أو مال».

[اليوم السابع/ الإثنين، ١٦ مايو ٢٠١١م]

جلال سعد الشايب
galal_elshayp@hotmail.com

القاعدة بين عوامل القوة و الضعف

تحاول الدراسة التي كتبها المحلل الإسرائيلي (أساف موغادم) فَهْم مكامن القوة ونقاط الضعف عند تنظيم القاعدة من وجهة نظر إسرائيلية.

ويعدد الكاتب النقاط التي يعتبرها نقاط قوة، مثل: تمركز قيادته في منطقة آمنة نسبياً على الحدود الأفغانية الباكستانية، كما أن فكر تنظيم القاعدة ما زال له قوة تأثير عند بعض المسلمين، بالإضافة إلى سهولة تحوُّل المسلم إلى نصير أو عنصر في تنظيم القاعدة، وأخيراً استخدام القاعدة لوسائل الإعلام الحديثة للتواصل مع عناصرها.

أما نقاط الضعف بالنسبة للكاتب؛ فهي اغتيال واعتقال كثير من رموز وقيادات القاعدة، فضلاً عن عن الانشقاقات التي حدثت في صفوفها.

ويرى (أساف موغادم) أن إيران وحزب الله تمثل مشكلة للقاعدة؛ لأنهما بالرغم من كونهما من الطائفة الشيعية (التي تعاديها القاعدة) إلا أنهما يقفان ضد الأطماع الأمريكية، ويمارسان القتال ضد الكيان الصهيوني وهو ما يحرج القاعدة.

ويؤكد الكاتب أن القاعدة خسرت كثيراً من شعبيتها؛ جراء العلميات التي تقوم بها، وتؤدي إلى قتل كثير من الأبرياء.

ويخلص (أساف موغادم) إلى أن نتائج الحرب بين القاعدة وأمريكا ستكون لصالح الطرف الذي يستطيع أن يثبت أنه يعمل لصالح الأمة، والذي يكشف نقاط الضعف عند الطرف الأخر.

[أساف موغادم – معهد دراسات الأمن القومي الإسرئيلي ٢٠١١/٥/١٠م]

سلسلة الاستعانة ببلاك ووتر

نشرت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية تقريراً أكدت فيه أن وليَّ عهد أبو ظبي (الشيخ محمد بن زايد آل نهيان)، كلف إيريك برنس (مؤسس شركة بلاك ووتر الأمنية الأمريكية) بتشكيل قوة سرية من المرتزقة مؤلَّفة من ٨٠٠ عنصر أجنبي لمساعدة الإمارات على التصدي لأي تهديد داخلي أو خارجي.

ونقلت الصحيفة عن مسؤولين أمريكيين لم يكشفوا هويتهم: أن برنس الذي انتقل للإقامة في الإمارات العام الماضي بعد سلسلة مشكلات قانونية تعرَّضت لها شركته في الولايات المتحدة، تلقَّى ٥٢٩ مليون دولار لإنجاز مهمته.

وبحسب الصحيفة، فإن هدف تشكيل هذه القوة هو القيام بمهامَّ خاصة داخل الإمارات وخارجها، وحماية أنابيب النفط وناطحات السحاب من أي هجمات إرهابية، وإخماد أية ثورة داخلية.

وأشارت الصحيفة إلى أن الإمارات يمكن أن تستعين بهذه القوة لمواجهة أي اضطرابات داخل المخيمات المزدحمة بالعمال في الحقول النفطية، أو مظاهرات مطالبة بالديمقراطية على غرار تلك التي اجتاحت العالم العربي هذا العام، كما يأمل حكام الإمارات أن تتمكن هذه القوة من التصدي لأي عدوان إقليمي تشنه إيران. [جريدة الشروق المصرية ٢٠١١/٥/١٥م]

نبيل العربي... وزير خارجية العرب الجديد

عُيِّنَ وزير الخارجية المصري (نبيل العربي) أميناً عامّاً لجامعة الدول العربية بتوافق قَطَري مصري بعد أن سحبت القاهرة ترشيحها للدكتور مصطفى الفقي بناءً على طلب من قطر. ويعتبر الإعلام الصهيوني الأمين العام الجديد للجامعة العربية معادياً في مواقفه للكيان الصهيوني.

ولد العربي في ١٥ مارس ١٩٣٥م، وتخرَّج من كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام ١٩٥٥م، وحصل على ماجستير في القانون الدولي، ثم على الدكتوراه في العلوم القضائية من مدرسة الحقوق بجامعة نيويورك.

وترأس وفد مصر في التفاوض لإنهاء الصراع حول طابا مع الكيان الصهيوني من (١٩٨٥ - ١٩٨٩م)، وعمل سفيراً لمصر لدى الهند من (١٩٨١ - ١٩٨٣م)، وممثلاً دائماً لمصر لدى الأمم المتحدة في جنيف من (١٩٨٧ - ١٩٩١م)، وفي نيويورك من (١٩٩١ - ١٩٩٩م). كما عمل مستشاراً للحكومة السودانية في التحكيم بشأن حدود منطقة أبيي بين حكومة السودان والحركة الشعبية لتحرير السودان.

وعمل قاضياً في محكمة العدل الدولية من (٢٠٠١ - ٢٠٠٦م)، وكان عضواً بلجنة الأمم المتحدة للقانون الدولي من (١٩٩٤ - ٢٠٠١م).

تم تكليفه في ديسمبر ٢٠٠٩م بإعداد الملف المصري القانوني لاستعادة تمثال الملكة نفرتيتي من برلين. وفي ٤ فبراير ٢٠١١م تم تعيينه عضواً في لجنة الحكماء التي تم تشكيلها أثناء اندلاع ثورة ٢٥ يناير عام ٢٠١١م.

[إعداد مجلة البيان]

هيئة أمريكية: اضطهاد الأقليات الدينية في مصر!

أوصت اللجنة الأمريكية لحماية الحريات الدينية في العالم (وهي هيئة تابعة للحكومة الأمريكية) - للمرة الأولى - بإدراج اسم مصر على لائحة البلدان المتهمة بانتهاكات وممارسات خطيرة ضد الحريات الدينية.

وقالت اللجنة: إن هناك تدهوراً ملموساً في أوضاع الأقليات الدينية في مصر، وإن الحكومة المصرية ضالعة، وتتقبل الانتهاكات التي تمارَس على حرية المعتقد الديني، قبل عهد الرئيس المصري السابق حسني مبارك وبعده.

وغضت الهيئة الطَّرْف عمَّا يحدث للأقليات الدينية في كل دول أوروبا بدءاً من فرنسا وقانون الحجاب الغاشم، مروراً بسويسرا وقانون منع بناء المآذن، إلى بقية الدول الغربية؛ وخاصة بعد حالة التأهب القصوى، والقيام بعلميات اعتقال للمسلمين بعد مقتل ابن لادن.

وفي إطار الرد على ما ادَّعته الهيئة الأمريكية يقول المحلل السياسي محمد جمال عرفة في دراسة أجراها في أواخر التسعينيات: إن الأقباط في مصر يمتلكون نسبة «٣٥ - ٤٠٪» من الاقتصاد المصري؛ حيث يمثلون نسبة «٥,٢٢٪» من الشركات التي تأسست ما بين سنة ١٩٧٤ - ١٩٩٥م، ويملكون «٢٠٪» من شركات المقاولات في مصر، و «٥٠٪» من المكاتب الاستشارية، و «٦٠٪» من الصيدليات، و «٤٥٪» من العيادات الطبية الخاصة، و «٣٥٪» من عضوية غرفة التجارة الأمريكية وغرفة التجارة الألمانية، و «٦٠٪»» من عضوية غرفة التجارة الفرنسية، و «٢٠٪» من رجال الأعمال المصريين، و «٢٠٪» من وظائف المديرين بقِطَاعات النشاط الاقتصادي في مصر، وأكثر من «٢٠٪» من المستثمرين بمدينتي (السادات والعاشر من رمضان)، و «٩,١٥٪» من وظائف وزارة المالية، و «٢٥٪» من المهن المميزة مثل الصيادلة والأطباء والمهندسين والبيطريين والمحامين، وكذلك صناعة الدواء ومكاتب التمثيل العلمي لشركات الأدوية الأجنبية، ومكاتب الاستشارات الهندسية بجانب تجارة الذهب والتوكيلات التجارية.

كما أن كذب هذه الادِّعاءات تظهر في رسالة البابا شنودة نفسه إلى أقباط المهجر، مُوثِّقاً فيها بخط يده: «إن الرئيس مبارك يمثل التوازن السليم في كل سياسة مصر، وسياسة كل جيرانها وأشقائها، وهو في مصر يبذل كل جهده من أجل وحدتها الوطنية، ويتعامل معنا بروح سمحةٍ نبيلةٍ، وفي كل مرة نلجأُ إليه في مشكلة تحيط بنا، يحلها بكل سماحة وعدل، وقد اختبرت هذه الروح الطيبة بنفسي في كل تعاملي معه». [بتصرف من مواقع مختلفة ٢٠١١/٤م]

دفن بن لادن على الشريعة الأمريكية، وليست الإسلامية!

صرَّح مسؤول رفيع المستوى في وزارة الدفاع الأمريكية، أن زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن دُفن في البحر من على متن حاملة طائرات أمريكية في بحر العرب، وَفْقاً لأحكام الشريعة الإسلامية.

وقال المسؤول: «عندما لا يمكنكم الدفن في اليابسة، فإن الشريعة الإسلامية تقضي بوجوب دفن الجثة في غضون ٢٤ ساعة وهذا ما حصل».

وأضاف المسؤول «جرت الشعائر الدينية على سطح حاملة الطائرات كارل فينسن وفي بحر العرب، وغُسِّل المتوفى ثم لُفَّ في كفن أبيض، ووضع الجثمان في كيس ثم تلا ضابط كلمات دينية ترجمها آخر إلى العربية، ووضع الجثمان على لوح مسطح وألقي في البحر».

وقال مسؤول دفاعي آخر: «لا يوجد بلد راغبة أو قادرة على قبول الجثة لدفنها، والقوات الأمريكية حرصت كل الحرص على مراعاة الشريعة الإسلامية». [دويتشه فيله (DW) ٢٠١١/٥/٣م]

قالت المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة: إن أكثر من ٣٠ ألف ليبيٍّ عبروا الحدود الغربية نحو تونس هرباً من القتال بين قوات العقيد معمر القذافي والثوار الذين يطالبون بإسقاطه، في حين دعت تركيا إلى وقف إطلاق النار، وتوقعت المفوضية ارتفاع عدد هؤلاء اللاجئين ليصل إلى ٥٠ ألفاً على الأقل مع نهاية الشهر الحالي.

واتهمت المنظمة في تقرير لها قوات القذافي بشن «هجمات عشوائية لا تتوقف» على مناطق سكنية بالمدينة، بما في ذلك استخدام صواريخ غراد عيار ١٢٢مم تطلق من خيام على بعد عشرات الكيلو مترات، واستخدام قذائف الهاون والقذائف المدفعية من عيار ١٥٥مم.

[موقع الأمم المتحدة باللغة العربية (بتصرف) ٢٠١١/٥/٧م]

أكد الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء المصري، أن المتعطلين عن العمل بلغ عددهم ٢,٣٥١ مليون متعطل بنسبة بطالة ٩,٠٪ من إجمالي القوى العاملة، كما بلغت نسبة البطالة بين النساء إلى ٢٢,٦ ٪ مقابل ٤,٩ ٪ بين الرجال.

ووَفْقاً لإحصائيات سوق العمل في مصر من خلال بحث القوى العاملة لعام ٢٠١٠م تتركز البطالة بين الشباب من الذكور والإناث؛ حيث توجد أعلى نسبة من المتعطلين في الفئة العمرية من ٢٠ – ٢٤ سنة؛ حيث بلغت ٤٦,٩ ٪ من إجمالي المتعطلين تليها الفئة العمرية من ٢٥ – ٢٩ سنة، بنسبة ٢٤,٤ ٪، ثم الفئة العمرية من ١٥ – ١٩ سنة بنسبة ١٢,٢ ٪.

وتوجد أعلى نسبة بطالة بين الخريجين من حَمَلة المؤهلات المتوسطة وفوق المتوسطة بنسبة ٥٣,٢ ٪ من إجمالي المتعطلين يليها المتعطلون الحاصلون على مؤهلات جامعية وما فوقها بنسبة ٣٩,٧ ٪ من إجمالي المتعطلين.

[بوابة الوفد الإلكترونية ٢٠١١/٥/١م]

أظهرت دراسة عراقية أعدتها هيئة النزاهة العامة أن تعاطي الرشوة في النجف أكثر من كل المحافظات بين أبريل ٢٠٠٩ ومارس ٢٠١١م وبلغت نسبتها ١٣,٥١٪، تليها محافظتا البصرة وذي قار. وسجلت أقل نسبة في تعاطي الرشوة في محافظة المثنى (٢,٢٧٪).

وأشارت الدراسة التي شملت كلَّ المحافظات عدا إقليم كردستان إلى أن «دائرة الضريبة في محافظة النجف سجلت نسبة فساد كبيرة بالقياس إلى عموم العراق؛ إذ وصلت إلى ٣٧,٣١ ٪، تلتها دائرة الجمارك في أم قصر في البصرة (٣٤,٢٩ ٪)، ثم دائرة الضريبة في ذي قار». أما في بغداد فسجلت مديرية المرور العامة أعلى نسبة تعاطي للرشوة (١٧,٤٣ ٪)، تلتها دائرة الجوازات.

وبين الوزارات سجلت وزارة النفط نسبة ٧,٧٢ ٪ تلتها التربية، ثم البلديات.

[دار الحياة ٢٠١١/٥/١٣م]

أوضح ريتشارد فولك (المقرر الأممي المعني بأوضاع حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة)، أن قوات الاحتلال قتلت ١٣٣٥ طفلاً فلسطينياً خلال عمليات عسكرية مباشرة وعمليات إطلاق رصاص بشكل تعسفي منذ عام ٢٠٠٠ لغاية الآن، مشيراً إلى أن سبعة عشر طفلاً من هؤلاء قتلوا خلال العام الماضي (٢٠١٠م)، بينما كانوا يقومون بجمع الحصى في المنطقة الحدودية بقطاع غزة لمساعدة عائلاتهم في إعادة إعمار منازلهم، في ظل رفض سلطات الاحتلال السماح بإدخال مواد البناء إلى القطاع المحاصر.

[آخبار فلسطين ٢٠١١/٥/٢م]

مرصد الأرقام

ألمح تقرير البنك التنمية الآسيوي (ADB)، الذي يتخذ من العاصمة الفلبينية (مانيلا) مقراً له، والصادر تحت عنوان «تضخم أسعار المواد الغذائية العالمية وتنمية آسيا»، ألمح إلى أن أسعار الغذاء العالمية والنفط التي بدأت ارتفاعها بقوة مع بداية عام ٢٠١١م وستظل على هذا الارتفاع لبقية العام، وهو الأمر الذي قد يخفض النمو في المنطقة بحوالي ١,٥٪.

وأكد التقرير على أن ارتفاع أسعار الغذاء المحلية بنسبة ١٠٪ في بلدان آسيا النامية من الممكن أن يدفع حوالي ٦٤ مليون شخص إلى الفقر المدقع.

[وكالة الأنباء الألمانية د ب أ عن بنك التنمية الآسيوي (ADB) ٢٠١١/٤/٢٦م]

أجمع مسؤولون صحيُّون على أن مكافحة التدخين تشكل تحدياً كبيراً ينبغي مواجهته بمختلف الوسائل؛ لما يسببه من أمراض وأضرار على المجتمع والفرد وما يكبده من خسائر تقدَّر في الكويت بحوالي ٧٢ مليون دينار تنفَق عليه سنوياً.

وأضافوا في تصريحات متفرقة لوكالة الأنباء الكويتية «كونا»: «إن نسبة المدخنين في الكويت وصلت إلى حوالي ٣ ٪؛ وإن وزارة الصحة تعي جيداً مخاطر التدخين وتعمل جاهدة على التصدي لهذه الآفة وللمشكلات المتفاقمة الناجمة عن تعاطي التبغ بأشكاله كافة».

وذكرت مصادر أن تقديرات منظمة الصحة العالمية حتى عام ٢٠٢٠م تشير إلى أن التدخين يتسبب بقتل عشرة ملايين شخص سنوياً، وأن أكثر من ١٥ ألف نسمة يموتون في اليوم الواحد بسببه.

وذكرت أن منظمة الصحة العالمية حذرت من تعرُّض نحو ١٧٥ مليون نسمة للوفاة من تبعات تعاطي «النيكوتين» في الدول النامية بحلول عام ٢٠٣٠م؛ وذلك في وقت تؤكد المنظمة إصابة مليون ونصف المليون نسمة سنوياً بسرطان الرئة منهم ٩٠٠ ألف نسمة في الدول النامية.

[شبكة الإعلام العربية (محيط) ٢٠١١/٥/١٥م]

الموسوعة السياسية

الدراسات الإمبريقية (Empirical Research)

تعرَّف الدراسات الإمبريقية (Empirical Research) – باعتبارها أحد روافد النظرية السياسية الإمبريقية – (Political Empirical Theory) بأنها الدراسات التي تعتمد على أدوات البحث الميدانية، مثل: (الملاحظة، والمقابلة، والاستبيان، وتحليل المضمون). ويهدف هذا النوع من الدراسات إلى تحقيق إحدى النتائج البحثية الثلاث التالية: اختبار صحة (Testing) بعض المقولات التحليلية المتعارضة، أو التأكد من مدى صحة مقولة تحليلية (Verification)، أو التأكيد على صحة مقولة تحليلية (Confirmation).

ومن ثَمَّ فإن العلوم الاجتماعية بشكل عام والسياسية بشكل خاص تقوم على ساقين لا يفترقان أولهما: (التنظير) أو ما يسمى في العلوم السياسية النظريات السياسية المعيارية والتحليلية، وثانيهما: (اختبار) التنظير أو ما يسمى بالدراسات الإمبريقية؛ وذلك عبر تجميع معلومات وبيانات منتظمة بشأن النظرية أو المقولة المراد اختبارها إمبريقياً وَفْقاً للأهداف البحثية الثلاثة سالفة البيان.

[مصادر مختلفة ٢٠١١/٤م]

الأقلية المسلمة في بوروندي

د. أحمد محمود السيد
mr.ah54@hotmail.com

بوروندي: دولة من دول وسط إفريقيا، يحدها من الشمال رواندا، ومن الغرب الكونغو، ومن الشرق والجنوب تنزانيا. وهي دولة داخلية لا سواحل لها، وتقع ضمن هضبة البحيرات.

عدد سكان بوروندي حوالي ١٠ ملايين نسمة (بحسب إحصائية عام ٢٠٠٧م).

تتوزع الأديان على النحو التالي:

٦٠ ٪ كاثوليك، ١٠ ٪ مسلمين، ٣٠ ٪ ديانات تقليدية محلية. وترتفع نسبة المسلمين بين الأجانب، ويقدر عدد المسلمين بحوالي (١,٢٨٨,٠٠٠ نسمة). وصل الإسلام بوروندي من شرقي إفريقيا؛ حيث كانت قوافل الدعاة والتجار تتحرك بين الساحل والداخل، وازدهرت الدعوة الإسلامية في بوروندي في عهد سلاطين زنجبار.

وينتمي السكان إلى ثلاث مجموعات عرقية: الأولى هي الجماعات الزنجية من قبائل الهوتو ويشكلون أكثر من ثلاثة أرباع سكان بوروندي ٨٥ ٪. والمجموعة الثانية تتكون من قبائل التوتسي وتنتمي إلى أصول حاميَّة اختلطت بالزنوج، وتشكل حوالي ١٤ ٪ من جملة السكان. والمجموعة الثالثة من الأقزام ونسبتها ضئيلة ١٪، وهناك جماعات تشكل أقلية مهاجرة من مالي والسنغال وغينيا ومن الهند وباكستان وعربية أيضاً. وتعد السواحلية لغة التجارة في بوروندي ويلم بها معظم السكان، والفرنسية هي اللغة الرسمية.

ويعمل معظم أفراد هذه القبائل في الزراعة لتوفير المحاصيل الضرورية لأسرهم، وبعضهم يُعنَى بتربية الأبقار وزراعة البن.

بحلول القرن الخامس عشر الميلادي غزا التوتسي بوروندي من جهة إثيوبيا. وكانوا أكثر قوة من الهوتو الذين وافقوا على زراعة المحاصيل من أجل التوتسي، وبالمقابل وافق التوتسي على حماية الهوتو؛ إلا أن مجموعة صغيرة من طبقة النبلاء تعرَف باسم الجانوا، ظلوا يحكمون بوروندي. وينحدر الجانوا من سلالة التوتسي غير أنهم لم يعتبَروا من التوتسي أو الهوتو. ولقد حكموا كلاً من التوتسي والهوتو، وحازوا ثراء عريضاً. ولبوروندي ملك يطلق عليه اسم الموامي، غير أن الجانوا يقيِّدون سلطاته.

في ١٨٩٧م احتل الألمان بوروندي ورواندا. وفي عام ١٩٢٣م أصبحت رواندا أورونديإقليماً تحت الانتداب تديره بلجيكا، وفي عام ١٩٤٦م صوتت أورونديلتصبح مملكة بوروندي المستقلة. واقترعت رواندا لتصبح جمهورية رواندا، ثم أصبحتا دولتين مستقلتين في الأول من يوليو ١٩٦٢م. وكان التوتسي حينئذٍ قد سيطروا على بوروندي.

عقب استقلال بوروندي أدى سوء الظن المتبادل بين الهوتو والتوتسي، إلى اضطراب مستمر في المنطقة؛ حيث عارضت الهوتو حكم التوتسي. وفي عام ١٩٦٥م اغتال متعصبون رئيس الوزراء بيير نجندادوموي. وفي وقت لاحق من العام نفسه أطلق متمردون من الجيش النار على ليوبولد بيهيا، خليفة نجندادوموي. ثم شُفي ليوبولد، ولكن حل محله مايكل مايكامبيرو قائد الجيش في بوروندي. وفي عام ١٩٦٦م أطاح مايكامبيرو بالملك وأعلن بوروندي جمهورية، ونصب نفسه رئيساً. وفي عام ١٩٧٢م أدت ثورة فاشلة قام بها الهوتو ضد التوتسي إلى مقتل حوالي مائة ألف شخص، معظمهم من الهوتو. وفي عام ١٩٧٦م أصبح العقيد جان باتيستا باجازا رئيساً؛ بعد أن قاد مجموعة من ضباط الجيش ضد الحكومة. وفي عام ١٩٨١م أقر الناخبون دستوراً جديداً للبلاد، نص على قيام مجلس وطني. وفي ١٩٨٢م انتخب المجلس باعتباره أول هيئة تشريعية في بوروندي منذ عام ١٩٦٥م.

تدهورت العلاقات تحت قيادة باجازا بين حكومة بوروندي والكنيسة الكاثوليكية ذات النفوذ؛ حيث أصبحت إقامة الصلوات تحتاج إذناً من الحكومة. وأدى عدم الرضا في صفوف الجيش، بسبب العلاقات مع الكنيسة، إلى الإطاحة بباجازا في سبتمبر ١٩٨٧م. خَلَف الرائد بيير بيويوا باجازا وعمل من أجل إتاحة حريات دينية أكبر في بوروندي. أقرت بوروندي دستوراً ديمقراطياً جديداً في مارس ١٩٩٢م. وجرت أول انتخابات رئاسية بالبلاد في يونيو ١٩٩٣م، فاز فيها زعيم الجبهة من أجل الديمقراطية ملتشور نداداي، من الهوتو، وأصبح رئيساً لبوروندي. وفي أكتوبر من العام نفسه اغتاله بعض الجنود التوتسي في محاولة انقلابية. أعقب هذه المحاولة حرب أهلية عرقية واسعة قتل فيها أكثر من نصف مليون شخص وألقيت جثثهم في النيل، وهو ما أدى إلى تلوث مياه النيل بدرجة كبيرة.

أهم مشاكل المسلمينفي بوروندي:

يعاني المسلمون في بوروندي من الفقر، والجهل، والمرض، والتبشير، وعدم وجود دعاة يعلمونهم أصول دينهم، وعدم وجود مدارس إسلامية فضلاً عن انتشار الأمراض الأكثر فتكاً في إفريقيا مثل الإيدز والملاريا وغيرها من الأمراض.

يحتاج المسلمون إلى كتب تعلمهم شؤون دينهم باللغة السواحلية أو الفرنسية ويحتاجون إلى المساجد والمصاحف والوقوف بحزم أمام حملات التنصير والتبشير التي تتبناها الكنيسة الغربية (أمريكا وأوروبا).

المراجع والمصادر:

- د. محمد عاشور، دليل الدول الإفريقية، معهد البحوث الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧ م.
- الأقليات المسلمة في إفريقيا، سيد عبد المجيد بكر.
- موقع المعرفة.
- شعبان عبد الرحمن، مثلث الرعب الإفريقي (زائير – رواندا – بوروندي)، مكتبة الأسرة، ٢٠٠١م.
- fact book

المسافر

عبد الغني محمود(*)

كيف حالك؟ بجميع مشتقاتها، والجواب واحد غير متعدد؛ بل هو محصور في كلمة واحدة: مسافر.

ذلك ما كان يُحيِّر أصدقاءه المقربين! أجل، ويفتح دائرة الاستغراب عندهم على مصراعيها لكنَّهم - وأنا واحد منهم بالطبع - لم يعودوا يستغربوا سماع هذه الكلمة وقد اقتربو منه أكثر.

إن أنسى لا أنسى ذلك المساء، وقد تلاقينا في الزقاق الموصل إلى الحيِّ في المدينة، كان يبدو عليه الانهماك وهو يسير على عجلة من أمره. اقتربت منه راسماً مشروع ابتسامة تحاكي ابتسامته العذبة التي عوَّدنا عليها، وعندما لاحظني سرعان ما اتسعت دائرة ابتسامته تغمر وجهه المتعرق.

فاجأته مداعباً:

• يبدو أنك مسافر اليوم أيضاً؟

ارتبك لسماع كلماتي، وأخذ يعلو ويهبط وهو ينظر من حواليه متمتماً وفراشة الابتسامة ترفُّ فوق وجنتيه بجناحيها العريضين.

• لا أدري - والله - متى يحينُ الموعد يا صديقي!

• ولكني مسافر زادي الخيال؛ فهل تراني غير هذا؟

كلماته القليلة النابرة فتحت نوافذ الدهشة عندي بل الاشفاق. اقتربت أكثر وقلت مداعباً:

• لا عليك فكلُّنا - يا أبا حسان - على هذا الدرب سائرون؛ وإنما المفلحُ منَّا هو من يُرشِّد النفقات في هذا السفر، ويعتدُّ بعدَّته وعتادة التي جعلت لنا شواخص نهتدي بها.

اختصرت قاطعاً محاضرتي، حتى لا أبدو ثقيلاً مملاً.

كنت علمت خبر عقد قرانه لولده الوحيد حسَّان من خلال بطاقة الدعوة، فأحسست بفرحتي له؛ لِمَا أكنُّه له من ودٍّ وتقدير، واستأنفت معه فبادرته:

• ولكن يا أبا حسان! ليهنك فرحُك بحسان؛ فما بالك لا تغمرك فرحة فلذتك التي ادَّخرتَها ليوم كهذا؟

تنهَّد طويلاً، وعيناه ترسلان الرضا لحسان، قائلاً:

• الله يرضى عليه، لقد كان صاحب مسيرة معي جنباً إلى جنب، وها هو يستعد لخوض غمار الحياة بإكمال نصف دينه والعقبى لأبنائك يا أخي راشد. وقبل أن أنكفئ مبتعداً عنه، أضفت:

• ولكن قل لي يا أبا حسان: وهل حسان من آل مسافر أيضا؟

قلتها بخباثة تحمل روح المداعبة؛ إذ لا غرابة وقد كنت من أقرب أصدقائه إليه. بادلني النظرات هازّاً رأسه الذي وخطَه الشيب، فندف عليه البياض، وعقَّب بالقول:

• (ذرية بعضها من بعض) وهل ذلك الشبل إلا من ذاك الأسد.

استلطفتُ ما سمعتُه منه؛ إذ لم أتفاجأ، وراحت الكلمات تكرُّ كما لو كانت حبَّات سُبْحَة تدحرجت هنا وهناك.

• يا لك من مسافر أعددتَ (زوادتكَ) ليوم الرحيل!

اكتفى مُغرقاً رأسه بين كتفيه، مؤمناً بتواضع بدا لي حتى في عينيه الغائمتين بالرضا والاطمئنان بقوله:

• الحمد لله، الحمد لله.

عدوت مستودعاً إياه.

نحن مسافرون إزاءه؟ مستبشراً بالهالة التي نرسمها كلما تلاقينا معاً، لنصوغ أنشودة الإيمان فتعلوا غيمة فوق رأسينا تمطرنا أنَّى شاءت وكيف شاءت برضا الرحمن الذي التقينا حول مائدته، وتعاهدنا بعهده المتين.

الصهاينة والمصالحة...

بين الرفض وتوقُّع الانهيار، والانتظار

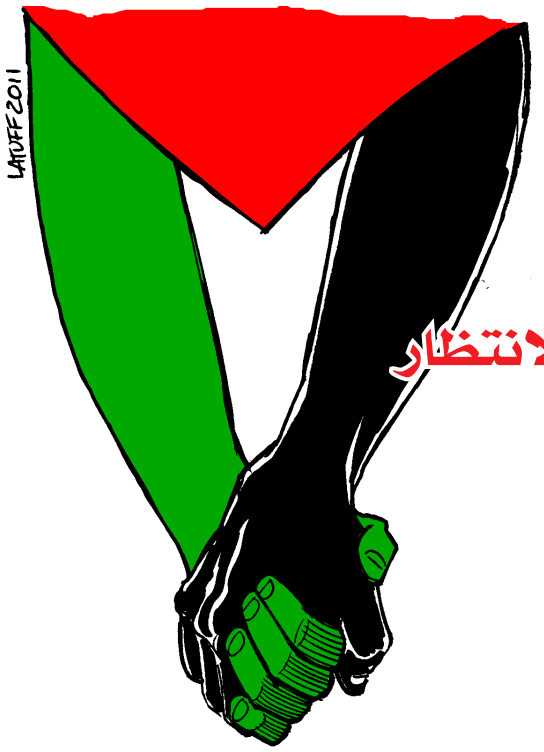

د. عدنان أبو عامر(*)
adnanaa74@hotmail.com

فوجئ الصهاينة بتوقيع اتفاق المصالحة الفلسطيني بين حركتي (فتح وحماس)، وجاءت تقييمات هذا الاتفاق على النحو التالي:

الاتجاه الأول: أن هذا الاتفاق سينهار قبل استحقاق أيلول المقبل؛ أي قبيل توجُّه محمود عباس إلى الأمم المتحدة للمطالبة بالدولة؛ لذا يجب عدم التدخل؛ لأن «فتح» وحماس ستتقاتلان مجدداً. وهذا الاتجاه يمثله كثير من الصحافيين والمحللين وحتى الأكاديميين «الإسرائيليين».

الاتجاه الثاني: تميَّز برفض الصلح ومهاجمته بشدة، دون انتظار تشكيلة الحكومة ومواقفها وبرنامجها. وهذا الاتجاه يتزعمه الرئيس الصهيوني «شمعون بيريز» ورئيس الحكومة «بنيامين نتنياهو».

الاتجاه الثالث: يريد التريث وانتظار الإعلان عن رئيس الحكومة الجديد؛ لأن الهجوم عليها بعد ذلك سيكون أكثر إقناعاً لأوروبا وأمريكا والغرب عموماً، وهو ما صدر عن كثير من الوزراء «الإسرائيليين» وقادة أجهزة الأمن.

وفي ما يلي جملة من المواقف الرسمية الصهيونية:

رأى رئيس لجنة الخارجية والأمن البرلمانية، «شاؤول موفاز» أن توقيع اتفاق المصالحة بشرى إيجابية، مقترحاً أن تعلن «إسرائيل» اعترافها بالدولة الفلسطينية في إطار ما أسماه «حلاً مؤقتاً»، وأشار إلى أن «إسرائيل» أضاعت عامين اعتبرهما ثمينين، وأن الوقت ليس في صالحها، وأنه لا يمكنها انتظار شريك تعتبره مريحاً لها أكثر، محذِّراً من أن يُعرِّض الجمودُ مستقبلَ «إسرائيل» للخطر، مؤكداً أن عليها الإصرار على قبول أي حكومة فلسطينية بشروط الرباعية الدولية.

بينما ندد رئيس الحكومة العبرية، «بنيامين نتنياهو» باتفاق المصالحة، ورفض التعاون مع الحكومة القادمة لمشاركة حماس، باعتبارها حركة «إرهابية»، واصفاً المصالحة بـ «ضربة هائلة للسلام وانتصار كبير للإرهاب»، قائلاً: «عباس عانق حماس»، وتدعو للقضاء على «إسرائيل»، وتُطلق الصواريخ تجاه مُدُنها.

نافذة الفرص:

ومع ذلك، فقد وصف وزير الجبهة الداخلية، «ماتان فلنائي» اتفاق المصالحة بأنه «ذر للرماد في العيون»، ولن يتغير شيء بعده، لأن حماس وفتح لن تتفقا على شيء، كما أن عباس ارتكب خطأً في تمرير الاتفاق، لأن حماس في موقف ضعيف، وهذا ما يبرر تقاربها مع «فتح»، وكان من المفترض الاشتراط عليها أن تصدر إعلاناً واضحاً للاعتراف بإسرائيل، وإدانة العنف قبل التوقيع.

أما نائب وزير الخارجية، «داني أيالون»، فقد اعتبر المصالحة ضربة قوية للسلام في المنطقة، لافتاً النظر إلى أنه على الدول الأوروبية – بصفتها الممول الرئيسي للسلطة الفلسطينية – أن توضح لها أن أي مخالفة لشروط الرباعية الدولية من شأنها أن تفرض عليها عقوبات شديدة.

لكن النائب العمالي، «بنيامين بن اليعيزر» رأى أن «نتنياهو»

(*) كاتب فلسطيني.

أخطأ عندما خيَّر عباس بين «إسرائيل» وحماس، ونظر وزير الأمن الداخلي، «يتسحاق أهارونوفيتش» بخطورة بالغة إلى المصالحة، مطالباً بفرض عقوبات اقتصادية على فتح وحماس، وعدم نقل الأموال للسلطة الفلسطينية.

وقد اعتبر رئيس إدارة الائتلاف الحكومي، «زئيف إيلكين» أن المصالحة تدل على اختيار عباس لما وصفه «طريق الإرهاب»، مطالباً بـ «دفن» فكرة إقامة الدولة الفلسطينية في الضفة، لأنها ستتحول إلى «حماستان» كما حدث في غزة، وستجعل المناطق «الإسرائيلية» عرضةً للعمليات مثل «سديروت»، أو في الحالة الأسوأ كما حدث مؤخراً في مستوطنة «إيتمار».

وطالب حزب «إسرائيل بيتنا» الحكومة والمجلس الوزاري المصغَّر للشؤون السياسية والأمنية بقطع كافة الاتصالات مع السلطة، ووَقْف تحويل أموال الضرائب إليها؛ بزعم أنه لا يمكن الموافقة على تحويل «إسرائيل» الأموال إلى حماس لتمويل العنف ضد مواطنيها، ودعا إلى تطبيق أحد بنود الاتفاق الائتلافي بين الحزب والليكود، الذي ينص على أن الإطاحة بحماس تعتبَر هدفاً إستراتيجياً لإسرائيل؛ وهو ما يعني أنه ينوي خلق أزمة سياسية مع الليكود، قد تهدد بإسقاط الحكومة ما لم تتم الإطاحة بحماس.

واعتبر وزير المواصلات، «يسرائيل كاتس» المصالحة «سد باب» بصورة مدوِّية، وليس فتح «نافذة فرص»؛ لأن حماس ستبقى في غزة حاملة السلاح، وأيديولوجية تدعو للقضاء على «إسرائيل»، وسيستمر عباس في إطلاق تصريحات ليس بمقدوره تنفيذها، زاعماً أن الفلسطينيين يحاولون تضليل العالم، ويرسلون مندوبيهم لإلقاء خطابات تهكمية.

وأكد النائب العمالي، «يتسحاق هرتصوغ» أنه لا يخشى المصالحة؛ لأنه إذا أراد الفلسطينيون توحيد صفوفهم فلا بأس، ومن المحبذ أن تكون هناك دولة فلسطينية واحدة، بدلاً من دولتين؛ ومع ذلك يتوجب على أي حكومة فلسطينية القبول بشروط الرباعية الدولية بخصوص الاعتراف بإسرائيل، وقبول الاتفاقات الموقعة، ونبذ العنف.

تحويل الأموال إلى السلطة:

وقد أخذ الموقف الصهيوني من المصالحة أبعاداً ميدانية؛ من خلال تجميد الأموال المحوَّلة للسلطة الفلسطينية؛ حيث انتقد وزير الجبهة الداخلية الصهيونية، «ماتان فلنائي» القرار «الإسرائيلي» بوقف تحويل الأموال للسلطة الفلسطينية، باعتباره موقفاً خاطئاً؛ لأنها أموال الفلسطينيين التي نجمعها بالنيابة عنهم؛ وهو ما يعني أن قرار التجميد يشكل انتهاكاً للاتفاقات الموقعة، وقال: «إننا في هذه الحالة قمنا «بوضع العربة أمام الحصان»، وكان علينا الانتظار لرؤية كيفية استخدامهم للأموال قبل أن نتصرف».

بينما أبدى رئيس جهاز «الشاباك»، «يوفال ديسكين» تحفُّظه من الاقتراحات حول ضرورة تجميد أموال الضرائب الفلسطينية وعدم تسليمها للسلطة، وقال: «من حيث المبدأ يجب منح السلطة أموالاً، وإذا لم نقدم نحن والأوروبيون والعرب والأمريكان تلك الأموال فلن تكون هناك سلطة فلسطينية، وهذا الأمر يعود لقرار إستراتيجي، وحالياً طالما لم تتغير السلطة لا يوجد سبب لتغيير سياستنا اتجاهها أو تغيير التنسيق الأمني.

كما رفض وزير الدفاع، «إيهود باراك» تجميد تحويل الأموال، باعتباره قراراً «متسرعاً»؛ لأنها ليست أموالاً «إسرائيلية»، بل فلسطينية تجمعها «إسرائيل» بموجب اتفاقيات دولية، ويجب مراقبتها، وبلورة تفاهمات مع الولايات المتحدة والسلطة للتأكد أنها لن تُستخدَم لتمويل «العنف»؛ علماً بأن غالبية الوزراء الإسرائيليين يؤيدون موقف وزير المالية الذي قرار تجميد الأموال.

إن الأمر الأكثر غرابة في الموقف الصهيوني من المصالحة، تمثَّل في التهجمات على نواب الكنيست العرب لمشاركتهم في احتفال المصالحة؛ فقد اعتبر عضو الكنيست الصهيوني، دافيد روتيم، من حزب «إسرائيل بيتنا» أن أعضاء الكنيست العرب الذين حضروا مراسم توقيع اتفاق المصالحة في القاهرة: أحمد الطيبي ومحمد بركة وطلب الصانع، «مخلصون» لحركة حماس أكثر من إخلاصهم لإسرائيل.

ووصف رئيس فريق حزب الليكود، «أوفير اكونيس» حضورهم بمثابة تجاوز «الخط الأحمر»، ويضع علامة استفهام بالنسبة لولائهم. أما عضو الكنيست، آرييه إلداد، من حزب «الاتحاد الوطني، فقد لفت النظر إلى أن الجميع سيفهمون في نهاية المطاف أن النواب العرب يؤيدون حماس، ويتضامنون مع أخطر عدو لـ «إسرائيل». وزعم وزير الإعلام، «يولي ادلشتاين» أن حضور النواب العرب قد «أزال القناع» عن أوجههم الحقيقية؛ لأنهم يثبتون حالياً أنهم يؤيدون القضاء على «إسرائيل».

عرض لكتاب

(المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية)

تأليف أ. د. عبد الرحمن الزنيدي

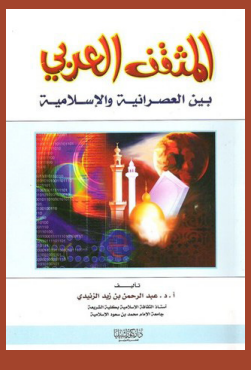

إبراهيم بن عبدالرحمن التركي(*)

من الكتب التي لم تقدَّر حق قدرها رغم أننا في عصر الإعلام كتاب (المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية) تأليف أ. د. عبد الرحمن بن زيد الزنيدي أستاذ الثقافة بجامعة الإمام (الطبعة الأولى ١٤٣٠- دار كنوز إشبيليا)، وقد سألت أكثر من ٥٠ مثقفاً وأستاذاً جامعياً فأجمعوا على عدم قراءة هذا الكتاب أو معرفته؛ ولذا قمت بتلخيصه في ٣٥ صفحة، وهذا عرض تعريفي له في ثلاث صفحات، ولمن أراد مطالعة مختصر الكتاب فسيجده بموقع المختصر على النت وهو لا يغني عن قراءة الكتاب ذي الثلاثمئة صفحة؛ وإنما يعرض لأفكاره الأساسية وقراءة الكتاب تمنح القارئ عمقاً وتشبُّعاً بحُكْم كثرة التفاصيل والأمثلة والشروح.

وقد تميز الكتاب برصد وتحليل واقع المثقف العربي ومساراته خلال هذا العصر، كما تميز بعمقه مع بساطة عباراته واختصاره وتوازنه واعتداله.

كتاب المثقف العربي يقع في فصلين:

الأول: عن الثقافة نظرياً (مفاهيمها وعناصرها)، وعن الثقافة تطبيقياً وعملياً وواقعياً؛ من خلال التأمل في واقع النخبتين المثقفتين في العالم العربي (الإسلامية والليبرالية).

والثاني: عن مرتكزات العمل الثقافي للمثقف المسلم.

في بداية الفصل الأول يورد المؤلف تعاريف الثقافة ويحدد عناصرها الأساسية في: تفسير الوجود، والقيم، والنظم، ويبين علاقة الثقافة بالدين وبالعلم.

وفي المبحث الثاني: يعرِّف المثقف ويحدد عناصر المثقف مبيناً أنها: الصنعة الفكرية (وهي القاعدة التي يقوم عليها تميز المثقف عن غيره)، والتكيف الشخصي (العملي) وَفْقَ المستوى المعرفي (الفكري) الذي يحمله، وامتلاك رؤية تشتمل على منظومة مفاهيم في تفسير الوجود، والواقعية الاجتماعية، والنزعة النقدية قدرة وفعلاً.

ثم يحدد مواصفات المثقف المسلم؛ بأنه شخص يملك صنعة فكرية، وسمتاً شخصياً متسقاً معها، ورؤية شمولية في الإصلاح، وواقعية اجتماعية، ونزعة نقدية. وأنه منطلِق

(*) المشرف العام على موقع المختصر.

من الإسلام منهجاً وموضوعاً.

ويوضح وظيفة المثقف من خلال مجموعة تصورات وآراء.

كما يبين الفرق بين المسلم والإسلامي ويعرض عدداً من الألقاب المتداخلة مع لقب مثقف؛ كالعالِم والمفكِّر والداعية مبيناً الفروق بينها وبين وصف المثقف.

وفي المبحث الثالث: يتحدَّث عن النخب المثقفة في العالم العربي واحتكاكها بالغرب عن طريق الابتعاث وغيره، وانقسامها ما بين منبهر ومتماسك، ويصف عموم النخب المتأثرة بالغرب بالعصرانيين منطلقاً من أن هذا العصر هو عصر الغرب.

ثم يشير إلى أبرز ثوابت الرؤية التي توجِّه الحضارة الغربية المعاصرة.

ثم يعدد إيجابيات النخبة العصرانية ويعرِّج على سلبياتها؛ وعلى رأسها أنها لم تحقق للأمة التقدم في المسيرة النهضوية خطوة للأمام؛ مدلِّلاً بالاعترافات، وبالواقع المتمثل: بسقوط حضاري واجتماعي (قيم)، وثقافي (هوية)، وسياسي (حرية)، وعسكري (إسرائيل)، ومعنوي (ذل).

ومن شواهد فشل النخبة العصرانية الليبرالية: عقم إبداعهم في كتاباتهم، وضعف سمتهم الشخصي أخلاقياً، وانعزالهم عن المجتمع، واضطراب علاقتهم بالإسلام وتفاوتها تفاوتاً بيِّناً؛ فكانت النتيجة لكل ذلك هي: الإفلاس، والفشل، وافتقاد ثقة المجتمع، والأزمة، والغربة، وشلل الفاعلية (تهوُّر - هزائم عسكرية - حكم منفرد مستبد - فشل الوحدة - النزاعات - انتهاك حقوق الإنسان - تفشي الفقر - تفكك سياسي - تغرب ثقافي - حروب إقليمية - تبعية اقتصادية).

ثم يعرِض لمسار ما بعد السقوط للنخبة العصرانية مبيِّناً تحوُّلَهم لعدة مسارات طرائق قدداً؛ ما بين تائب، ومتعولم ومنسحب، ومنتحر، ومهاجر للغرب، وملتحق بطوابير العمالة الصريحة، ودارس للتراث من منطلقات غربية.

ثم ينتقل للحديث عن النخبة الإسلامية مبيِّناً مسارها التاريخي المعاصر بدأً من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والسنوسية والمهدية ثم المدرسة الإحيائية (الأفغاني، وعبده، ورضا، وابن باديس)، ثم الحركات والجمعيات والعلماء والدعاة التي تشكلت في تيارات إخوانية وسلفية وعلمية وفكرية، ويحدد خمسة قواسم مشتركة بينها.

بعد ذلك ينتقل لبيان مميزات النخبة المثقفة الإسلامية، وهي: الإخلاص للأمة بالانطلاق من الإسلام، والقناعة الكاملة بالإسلام، وأنها خلقت ثقافة شرعية، وأوجدت أماناً نفسياً، وقاومت الغزو الثقافي، وسعت نحو النهوض بالأمة، وبعثت الاجتهاد، وخطابها جامع بين النخبوية والجماهيرية، والتدرج نحو التوازن بين المثالية والواقعية، ورد الاعتبار العلمي للنص الديني الأساسي (القرآن والسنة).

كما يكشف أبرز سلبيات النخبة الإسلامية، وهي: الجمود المنهجي في التحول الذي تقتضيه ضرورات التطور، وتغير نمط التحديات وجمود نمط الاستجابة لتلك التغيرات، وتآكل القطعيات الاجتهادية، اضطراب المفاهيم في التعامل مع المصطلحات المعاصرة كالديمقراطية، ومعاناة التعامل مع الواقع، والضمور الشديد للإبداع، ونقص العلمية والتحليلية، ونقص النقد الذاتي، والتطاوح بين الثنائيات، والجمود على اجتهادات سابقة.

ثم يتناول النخبة الإسلامية والمستقبل مبشراً أن المستقبل لها ومعدِّداً أسباب ذلك (كفشل العصرانيين، وفشل التنمية بلا ثقافة، والأصالة مرتكزها وهو الوحي، ولتجاوب الجماهير معها، ولتطورها وإن كان بطيئاً في منهج حَراكها، ولقدرتها على توليد قيادات متوالية ومتنوعة ولاستجابتها للمستجدات، وللمبشرات على مستوى الأمة والعالم.

ورغم أن الكتاب قد كُتِب في مرحلة من أسوأ مراحل الأمة؛ إلا أنه يفيض بالتفاؤل الذي نشاهد واقعنا هذه الأيام يصدِّقه بعد ثورات تونس ومصر وغيرها. وهو ما يشير لبعد نظر المؤلف وحسن قراءته للواقع.

ثم بيَّن ضمانات تحقيق المستقبل المنشود للنخبة الإسلامية: مثل تحرير منهج العلاقة بالمرجعية - وهي الكتاب والسنة - بصورة محكمة، ولملمة التشتت في الأهداف والبرامج نحو التقارب والتنسيق، وتجاوز السلبيات، والشجاعة في الاجتهاد والتجديد، والفرز بين الأشياء المختلفة، والانفتاح على مختلف قوى الأمة وتحديد القواسم المشتركة.

الفصل الثاني: يتناول مقومات ثقافة المثقف المسلم التي تجعل جهد هذا المثقف إسلامياً وواقعياً ومعاصراً.

ويعدد أهداف المثقف المسلم بأنها: التذكير، والبناء، والمساوقة، والمغالبة، واستثمار المنجز الإنساني.

ثم يبيِّن الأسس المنهجية لثقافة المثقف المسلم وهي:

١ – الصنعة الفكرية.

٢ – الإيمان بالإسلام مرجعية للثقافة.

٣ – فقه الدين.

٤ – فقه الواقع.

ويرى المؤلف أن الصنعة الفكرية تتجلى في أمور، هي: المعرفة التخصصية في فن من فنون العلم، والمنهجية العلمية في تخصصه بإتقان، وفي المناهج الأخرى بالاستيعاب، والإبداع والاجتهاد، والبناء العلمي على قواعد وحقائق صحيحة.

وفي حديث المؤلِّف عن مرجعية القرآن والسُّنة يبيِّن أن خلل الانتماء الثقافي للإسلام هو منطلق الأزمات التي يعاني منها المثقف المسلم العصراني.

وأزمة العصراني جهلُه بجوهر الإسلام لا بتفاصيله، والنتيجة أنه يرى إسلامه من خلال رؤية استشراقية، أو تأمُّل في التدين الشعبي في مجتمعه، أو قياس على أديان أخرى خاصة النصرانية.

ويحدد تجليات الانتماء الثقافي للإسلام في خمسة محاور:

الأول: تفسير الوجود: دنيا وآخرة، غيب وشهادة، عقل ووحي، أصل الإنسان وحكمة وجوده ومصيره.

الثاني: التوحيد: وهو التوضيح التطبيقي لتفسير الوجود.

الثالث: هيمنة الوحي على التفكير.

الرابع: الشمولية في مقاصد الشريعة وميادينها وعناصرها.

الخامس: ثبات المعيارية والإطلاق؛ لأنه يرتكز في نظرته للأشياء على حقائق الوحي.

وفي المبحث الثالث: يتحدث المؤلف عن فقه الدين مبيِّناً أن الفقه في الإسلام جهد بشري يتجلى في ثلاثة أنواع:

فقه النصوص الشرعية، وفقه الكون والحياة والوجود الإنساني، وتكييف الحياة وَفْقَ منهج الله.

ثم يفصِّل منهج الفقه في الدين؛ مبيِّناً ارتكازه على صحة النص وصحة الدلالة، محذراً من تحريفات دلالات الألفاظ الشرعية المعاصرة والقديمة، كما يحذر في حديثه عن الاجتهاد من بعض المنهجيات المعاصرة في دراسة النصوص والقراءات التأويلية المعاصرة للنص، الهادفة إلى تحطيم الوحي أن يكون مرجعية موجِّهه وتفتيت الرؤية الموحِّدة للعقيدة.

وداعياً في الوقت نفسه إلى تفاعل إيجابي مع الدراسات اللغوية المعاصرة التي وضعت مناهج لدراسة النصوص دراسة استيعابية نقدية.

وفي المبحث الرابع: يتحدث المؤلف عن فقه الواقع، ويحدد لفقه الواقع ثلاث صور، هي:

١ – التصور الصحيح المتماسك لمجريات الحياة.

٢ – التصور الصحيح للواقع كما هو قائم بأنساقه الفكرية والتنظيمية: ثم صياغة هذا الأنساق صياغة إسلامية؛ ففقه الواقع هنا في الصورة الثانية ينزل إلى الساحة فيصبغها بفعل الحلال ومنع الحرام؛ في مقابل فقه الصورة الأولى الذي يسير خلف المجتمع في تحولاته ويصدر أحكامه على هذه التحولات بالحِل والحرمة والصحة والفساد.

٣ – العلم بسنن الله في الآفاق والأنفس؛ في الكون المادي والحياة الإنسانية: وهو الذي من خلاله يتعرف الإنسان على التغيرات وطبائعها وآلياتها.

وفقه السنن هو أقرب المعاني لمدلول اللفظة في القرآن إذا جاءت منفية عن الكفار والمنافقين.

ثم يلقي المؤلف نظرة تاريخية على فقه الواقع من حيث الاعتقادُ وسننُ الله، ملاحظاً انفصال الفقه عن الواقع العملي شيئاً فشيئاً بعد عهد الصحابة.

كما يلاحظ محاولات التجديد في فقه الواقع منذ عصر النهضة الحديث: بدءاً من جهود فكرية لرواد مدرسة الإحياء إلى رسائل علمية جامعية ومجامع فقهية ومؤسسات.

ويشير المؤلف إلى عدد من العناصر المهمة في فقه الواقع للمثقف المسلم، وهي:

العلم بحقيقة الطبيعة الإنسانية، والعلم بالسنن الربانية الكونية والإنسانية.

كما يدعو إلى توازنات مطلوبة في التعامل مع الواقع؛ بمراعاة شرائح المجتمع والتوازن بين المُطْلَقات التعبوية والبرامج العملية ورعاية التوازن بين العلم وقدرات العمل.

ثم يختم المؤلف بالحديث عن إشكاليات فقه الواقع.

هذا عرض سريع لكتاب المثقف العربي وهو يهدف للتعريف بقيمة هذا الكتاب وبيان أهمية قراءته لكل مثقف عربي.

الآن..

" من لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أُغلق عليه باب التدبر "

بدر
٠٥٠٨٩٤٨٩٤٧

الرياض ـ هاتف ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس ٤٥٣٢١٢١

المشاريع ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ـ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ الجنوبية ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

الشرقية ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ القصيم ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

نصائح في العمل السياسي للإسلاميين في مصر

د. وليد الطبطبائي(*)

فتحت ثورة الشعب المصري المباركة الأبواب واسعة أمام الإسلاميين في مصر للمشاركة السياسية على نحو لم يكن متخيلاً قبل بضعة شهور فقط، وبما أن أرض الكنانة حاضنة كبرى للفكر الإسلامي وللعلم الشرعي وللدعوة؛ فإن مسؤولية الإسلاميين في مصر على اختلاف فصائلهم تصبح مضاعفة؛ فهم لا يحملون مسؤولية نجاحهم كجماعات فحسب بل مسؤولية سمعة الإسلام نفسه باعتباره ديناً صالحاً لحمل وأداء المسؤوليات السياسية.

وتتفاوت حظوظ الإسلاميين المصريين من الخبرة والاحتكاك السياسيين؛ فمدرسة الإخوان المسلمين - مثلاً - لها تجربة ضاربة في عمق تاريخ مصر المعاصر؛ وإن لم تخل التجربة من ملاحظات وأخطاء ربما هم أدرى الناس بها، بينما المجموعات الإسلامية الأخرى أقل حظاً من ناحية الخبرة لعوامل تاريخية وموضوعية كثيرة؛ لذا فإنني أحب أن أخص التيار السلفي المصري بمجموعة من النصائح والملاحظات؛ أقدمها بكل تواضع من منطلق تجربتنا في العمل السياسي والبرلماني الكويتي.

أولاً: ليكن الإخلاص وابتغاء وجه الله - سبحانه - حاضراً في كل ما يفعلون؛ لأن دنيا المؤمن هذه دار ابتلاء وليست دار جزاء، فليكن رضا الله مقدَّماً على كل هدف (شخصي أو جماعي)، ولن يوفَّق أهل الدعوة في حقل السياسة أو غيره إلا بالصلة بالمولى - عز وجل - وحسن الاتكال عليه.

ثانياً: العمل السياسي يجلب معه كثيراً من الإغراءات الشخصية والجماعية ومزالقه كثيرة؛ فالوجاهة والمناصب وفرص الكسب المادي تتكاثر على المشتغل بالسياسة يمنة ويسرة؛ فعلى صاحب الدعوة أن يتفقد دائماً نيته ويتأكد أنها لله وليست لحظ النفس.

ثالثاً: حقل السياسة هو ميدان الخلافات والاحتكاكات وتضارب الآراء واصطدامها؛ سواء داخل الجماعة الواحدة أو بين الصف الإسلامي أو مع الصفوف الأخرى، فَلْيحذر المسلم المشتغل في السياسة أشد الحذر؛ فإن لهوى النفس في هذا الحقل صولات وجولات، فلتكن معاني الولاء والبراء والحب في الله حاضرة في الذهن والقلب؛ لأن من أعطى لله وترك لله... فقد استكمل الإيمان.

رابعاً: لزوم الجماعة واجب في العمل السياسي: فإذا حصل الاتفاق على شيء في أيٍّ من حقول العمل السياسي ومشاريعه فعلى جميع أفراد الجماعة التزامه؛ لأن الجماعة قوة ورحمة والفرقةَ ضعف وعذاب، وينبغي أن يتقدم الحرص على وحدة الصف نزعةَ الاعتداد بالنفس والإعجاب بالرأي؛ فإن الفرد قليل بنفسه مهما قوي، وكثير بجماعته.

خامساً: ليحرص الإسلاميون عموماً - وأخص السلفيين هنا - على حسن بناء الجهاز الذي يقود العمل السياسي؛ لأن قبول القاعدة بالقيادة واقتناعها بها ضروري جداً لنجاح العمل الجماعي، وهذا يستلزم تطوير مبدأ الشورى ليكون قرار وتوجُّه القيادة معبِّراً على توجهات القاعدة مع آلية واضحة للنقد الذاتي والتصحيح، وهذه الآلية ضعيفة أو ربما مفقودة عند معظم جماعات العمل السياسي في عالمنا الغربي؛ سواء كانت إسلامية أو غيرها.

سادساً: ثبت بالتجربة أنه من الأفضل ألا تخوض رموز العمل الدعوي والفقهي للجماعة الإسلامية العمل السياسي المباشر؛ بل

(*) عضو مجلس الأمة الكويتي.

الأفضل أن تلعب دور القيادات المعنوية التي تساعد على ترشيد العمل السياسي ونقده وتصحيح اعوجاجه وتوجيه الجماهير.

سابعاً: ليكن فقه الاختلاف حاضراً عند المشتغلين في العمل السياسي، فالتطابق في الآراء غير قائم بين الناس عموماً والسياسيين خصوصاً؛ فلا يجوز أن يفسد الخلافُ للود قضية، وعلى السياسي أن يبحث عن المتفق عليه ويوسعه لا أن يذهب إلى الخلافات يعظمها؛ سواء كان الخلاف داخل الصف السلفي أو الإسلامي عموماً أو خارجه.

ثامناً: يجب أيضاً أن يكون فقه الأوليات عنصراً في التوجهات والقرارات واختيار البدائل؛ فلا يتم الاشتغال بالفروع عن الأصول، ولا يتم الإصرار على أمرٍ تغلُب مضارُّه على فوائده حتى لو كان في أصله صحيحاً، والسياسة ميدان أساسيٌّ في غلبة درء المفاسد على جلب المصالح.

تاسعاً: من أهم مسائل العمل الإسلامي اختيار الخطاب المناسب للجمهور، والتدقيق على ما يصدر من قيادة وأعضاء الجهاز السياسي من تصريحات وبيانات وما يعلَن من مواقف، وقد جاء في الحديث: «بشِّروا ولا تنفِّروا ويسِّروا ولا تعسِّروا»؛ وخصوصاً أن وسائل الإعلام المعادية غالبة على المشهد المصري ومعظم الدول العربية، وهي تبحث عن المثالب على الإسلاميين سواء وجدت أم لم توجد، والغالب عليها اتهام الإسلاميين بالتعسير والتضييق على الناس والافتقار إلى المرونة في التعايش مع المخالفين، فلا يجب أن نساعد هذه الوسائل بما يروج دعاياتها المغرضة.

عاشراً: السياسة هي فن الممكن: ويجب الانتباه إلى ذلك خصوصاً في الحملات الانتخابية؛ فنزول مرشحي الجماعة يجب أن يدرَس على أسس موضوعية من كفاءة المرشح وإمكاناته ومدى صلاحيته للنزول في هذه الدائرة أو تلك، ويراعى ألا يتم التنافس بين مرشحي الجماعة فيكسر بعضهم بعضاً، وحتى مع إسلاميين آخرين إذا قُدِّر أن فرصة مرشح الجماعة الأخرى أفضل، وإذا قُدِّر أن فرصة النجاح في دائرة ما ضعيفة؛ فالأفضل الاتفاق مع جماعة أو حزب آخر على دعم مرشحه إذا كان أفضل من منافسيه.

أحد عشر: السياسة هي فن الممكن أيضاً: فبعد الدخول إلى البرلمان، يجب أن توزن الأولويات في المواقف كما يوزن الذهب والفضة؛ لأن الطاقة السياسية لأي حزب أو جماعة لها حدودها كما أن البرلمان له وقته وجهده حدود؛ فيجب أن تقدَّر المبادرات والمشاريع بذكاء.

إثنا عشر: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]: فيجب أن تتسلح الجماعة بأفضل الكفاءات القانونية والدستورية حتى يحسب نواب الجماعة موضع أقدامهم في كل خطوة برلمانية يخطونها؛ وخصوصاً أن الممارسة البرلمانية الجادة لم تُعرَف في مصر من قبل، والآن لم تعد القوانين ومواد الدستور حبراً على ورق بل هي خطة طريق العمل السياسي.

ثلاثة عشر: من أكثر جوانب العمل السياسي حساسية هي المشاركة في الحكومة؛ لأن النائب ناقد وفي العادة لا يحمل مسؤولية العمل التنفيذي للدولة بينما الوزير موضع نقد الجميع؛ فإذا رأت الجماعة مصلحة في دخول الوزارة، فيجب اختيار أكثر نواب الجماعة صلاحية لذلك ومن يُعرَف عنه صلابة في الدين والشخصية؛ لأن للمناصب سكرة أشد من سكرة الخمور.

رابع عشر: في دخول العمل الوزاري يجب انتقاء الحقائب المناسبة، وأول ما يجب أن يحرص عليه الإسلاميون هو وزارات التوجيه (التربية، والتعليم العالي، والأوقاف، والإعلام) فإذا لم يروا مناسباً أن يأخذوها فيجب أن يحرصوا ألا تذهب للمعادين للتدين من المغرَّبين فكرياً والبعيدين عن الهوية الإسلامية العربية لمصر.

خامس عشر: لتكن قضايا الدين والدفاع عن ثوابت وقيم المجتمع على رأس اهتمام الإسلاميين، مع عدم إغفال قضايا الفساد والخدمات طبعاً؛ لأنهم إذا لم يهتموا بها فلن يهتم بها غيرهم.

سادس عشر: على مستوى العمل السياسي والبرلماني فإن العامة من الناس في المجتمع المسلم لا يُحمَلون على التورع ولا يطلب منهم الالتزام بالمستوى السلوكي الذي يطلب الداعية من نفسه الالتزام به؛ وإنما يطلَب منهم ترك المقطوع بحرمته وأداء أركان الإسلام.

سابع عشر: في مجال السياسة الخارجية: على الإسلاميين المصريين - خصوصاً - العملُ على أن تستعيد مصر دورها الريادي والقيادي الذي غُيِّبَت عنه على مدى عقود؛ خصوصاً في ما يتصل بالخطر الصهيوني على العرب والمسلمين، ومعاناة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال.

ثامن عشر: يجب ألا ينسى الإسلاميون - وخصوصاً السلفيون - أنهم جماعة إصلاح ودعوة في الأساس، فيجب ألا يشغلهم العمل السياسي عن إعطاء العمل الدعوي والاجتماعي حقه؛ لأنه هو الأساس، وألا يقعوا في ما وقعت به الجماعات الإسلامية في الكويت - مثلاً - في الاشتغال بالسياسة عن مسيرة الدعوة إلى الله.

مجلة البيان

في الأسواق ..

التقرير الاستراتيجي الثامن ١٤٣٢هـ

www.albayan.co.uk

الريـــاض: ـ هـــاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحـــويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فـــاكس: ٤٥٣٢١٢١

التـوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جـدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكـــة والمدينـــة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقـــة الجنوبيـــة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقـــة الشرقيـــة: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقـــة القصيـــم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦